

جاء هذا الدين القيم يهدى الناس إلى معالم السنة ويحذرم عواقب ومزالق الفتن .  
يرشدهم إلى ما فيه عزيم في الدنيا . وفوزهم في الآخرة . وقد آن للمسلمين أن يدققوا النظر .  
وأن يخلصوا النية . وأن يشعروا عن ساعد الجدل انتابهم في هذه السنين . فطالوا  
ركنوا إلى سيئات أعمالهم وشروا أنفسهم . وبعثوا عن ربهم . وخالفوا هدى نبيهم  
ﷺ . ولم يقدروا سنن الله وآياته ونعمه قدرها فكان هذا العدو ونسلطه في حال الضعف  
والفقر . وكان الأجدربنا وعن أمة إسلامية لها دستور ونور بين يهدى لتي هي أقوم  
— أن تعرف ونفعل وأن ندرس ونعتبر من أحوال السابقين وسير الماضين . من كان  
منهم مستقيماً بأمر ربه فأمره . ومن كان منقاداً لسنة فنصره . ومن كان عقدياً يهدى  
نبيه ﷺ فرفعه ، وأحياة الحياة الطيبة . كم شهدنا من سنن الله وآثاره في الأرض أنه  
سبعائه يورثها عباده الصالحين . يستخلفهم ويمكن لهم بعلم وإيمان . وسبق ومرغان . وعمل  
مقواصل يجد وإحسان .

المدة والعتاد سنة لا يحيد عنها في السلم قبل الحرب والأصل في المسلمين أنهم قادة  
وسادة وغداة العالم والناس أنهم أصحاب السلطان أقوياء الأركان بما يقدم به ربهم من  
هداية وتوفيق . وفي ذلك يقول ويقع الأمر ويقرنه ببذل المال اتقاء التهلكة ولأنه قوام  
هذه المدة ولتسمع آية سورة البقرة « وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة  
وأحسنوا إن الله يحب المحسنين » وآية سورة الأنفال « وأعدوا لهم ما استطعتم من  
قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تغفلونهم  
الله يعلمهم وما تغفلون من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون » .

ويمكن من هذا الحق سنة تضافر القوى وبذل الجهد حياة أمة موحدة متضامنة  
متأسكة متعاونة معتمدة بدين ربها مستفيرة بآيات الكتاب حيث يقول « إن عذرة

أممكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون - « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا »  
 « إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص » وقاتلوا المشركين  
 كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين » (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض  
 إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير) . وحال أمة العرب قبل الإسلام معروف  
 لنا - شتات وعجز - وأصبحت بعد أن اهتدت بالدين القويم . قوة منفذة . وبدأ  
 موجبة ، وكلمة موحدة جماعتهم ووحدهم هي وجودهم . ترابطهم وتكافلهم هو بناؤهم  
 وما وجدت أمة كذلك إلا عصمت نفسها ولم تنه عن عدوها ، وكم بقى الله من آيات  
 وعبر على مر الأيام والسنين يذكر بها عباده وكم من حوادث يتلى الله بها تلك للشعوب  
 حتى يحصصهم فيثوبوا إلى رشدكم ويصدقوا في مسئولياتهم . وقد أنعم على الأمة في  
 محنتها هذه بنعمة للتآلف والتناصر وتوحيد الكلمة . فأثمر ذلك ما أريك العدو . وقت  
 في عضده . وقذف في قلوب غير العرب والمسلمين الذين حقرونا وهضموا حقنا ووجدنا  
 طويلاً من هذه الأمم الأوربية . وأيقظ فيهم احترام وتقدير الأمة الإسلامية العربية  
 والنزول على إرادتهم . والله وحده القدير أن يتم علينا النعمة والتماسك والقوة والعزة  
 لنعرف طريقه وفضله والأمانة الملقاة على ما تقنا حتى نكون جديرين بالحياة . وليس بعدما  
 نحزن فيه من شدة : لذلك يجب علينا استخلاص أنفسنا وأمتنا بالجهاد والكفاح والبذل  
 والتضحية . وأن ذلك سنة من سنن ربنا وأن الحياة الطيبة في الدنيا . والجنة  
 والرضوان في الآخرة إنما هي سلعة غالية . تضمن الله بها لمن وفي من المؤمنين وهو المالك  
 لهم ومن أوفى من المالك سبحانه ولكنها البشرية للعاملين ، ما أجل هذا الموقف الرائع  
 بين النبي ﷺ والأنصار في بيعة العقبة إذ يقول تقيهم بعد إدراك وبعين - فنبى  
 ﷺ « اشترط لربك ولنفسك ما أحببت فيقول النبي ﷺ « اشترط لربي أن تعبدوه  
 وحده ولا تشركوا به شيئاً . واشترط لنفسى أن تمنعوني عما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم  
 فقالوا : وما لنا إن فعلنا ذلك ؟ فقال ( الجنة ) فقالوا : ربح البيع ، ( إن الله اشترى من

المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) ولا يقف بنا العجز إلى حد الدعاء وطلب النصر  
 ونحن في غير جد ولا استقامة . فقد كان النبي ﷺ بعد هدته وبأخذ أهبة ويبدل قوته  
 ثم بعد ذلك يستعين بربه ويستغيثه وحده لأنه الولي النصير فيمده من عنده ويعينه بحده .  
 وينصره بقوته ، ليهق الحق ويبطل الباطل . يوم بدر يرصد غير العدو ليصادر تجارتها  
 ويضمف قوته فلما فاته العير استمد للملاقة قريش التي خرجت الحامية تجارتها . فأحسن  
 بخير الموقع . يستولى على الماء وينور ماعدها حتى لا يشرب العدو . يعي المؤمنين ويحرضهم  
 ويلتعم العيش فيدهو ربه فيستجيب له ( إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم  
 بألف من الملائكة مردفين ) ويوم أحد وضع خطته وأخذ حيطته وحى بالرماة ظهره  
 وبيت حتى انصرف العدو وقيل للمؤمنين بعد جراح أصابهم ( إن الناس قد جمعوا لكم  
 فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم  
 يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله وانه ذو فضل عظيم ) ويوم الأحزاب يشارك في حفر الخندق  
 ليدفع ويمنع زحف العدو بل يبعث يخذل العدو عنه ( والحرب خدعة ) ثم يستنصر ربه . فيمن  
 عليه ( بأبيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنود قارسلنا عليهم ريحاً وجنوداً  
 لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً ) حتى الذود عن النفس والأهل والمال والوطن يرضه  
 الإسلام في مرتبة الجهاد ثم الاستشهاد متى كان صادراً عن عقيدة راسخة صادقة تبذل النفس  
 وتحمل السلاح لتكون كلمة الله هي العليا وحتى يعبد الله وحده ويكون الدين له خالصاً وفي ذلك  
 عن الدنيا ونعيم الآخرة . وكان المسلمون مثال الطاعة ومضرب المثل في الشجاعة والإقدام .  
 فكذب لهم النصر والظفر . ولم يحفظ التاريخ أن المسلمين انهزموا في موقعة التزموا  
 حينها سنة ربهم ، ووصية نبيهم ، وقواعد كتابهم . كلمة الدين وصيغته التي لا يسعد  
 المجتمع بدونها .

إن إسلامنا محفوف بالمخاطر إن لم ندمه بالجهاد والقتال تطاميراً وتحريراً حتى القضاء  
 على العدو راجين عون الله ورحمته ( إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل  
 الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم )

# من الأجلال

## بقلم / احمد طه نصر

خلق كريم ذو أثر محمود في سعادة صاحبه وسعادة الناس ذنكم هو خلق التودد . يقال تودد فلان الى فلان أى تحبب اليه وأتى بما يكون سببا في ايجاد رابطة المودة والمحبة بينه وبينه ، وقد جبلت النفوس على حب الاحسان والمحسنين . وكل انسان مهما عظم قدره واستغنى بجاهه وماله في حاجة الى نفس طيبة اليفة ودود يبادلها المحبة والتراحم والمودة ، ولو أن انسانا خلت حياته من نفس ودود تقاسمه ذلك لكان من أشقى الناس . ولكان الموت خيرا له . ولذلك امتن الله على عباده بالزواج وجعله آية من آياته الكبرى التي لا تنقل في خطرهما وجلال شأنها عن خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار . فقال جل شأنه ( ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ) وقد أنبأنا الله تعالى بأن كل من في السموات والارض سيأتيه يوم القيامة فردا . ثم ذكر المؤمنين فقال ( ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا ) فبين لنا بذلك أنه اختص المؤمنين باحسان منه عظيم . وأى احسان أعظم من أن يعقد بينه وبينهم صلة الود والرحمة في وقت انقطعت فيه الصلات ( يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ) .

ومن أسمائه جل شأنه « الودود » وقد جاء في الذكر الحكيم ( ان ربي رحيم ودود ) ( وهو الغفور الودود . ذو العرش المجيد ) ومن معناه أنه الذي يود عباده ويودونه . فوده لهم كثير وعظيم يبداهم بأسباب محبته . ويفيض عليهم من خزائن فضله ورحمته . وآثار

وده سبحانه أجل من أن تحصى فهو يجزى على الود الذي يكون من  
 عباده بود خير منه وأكثر بركة وفضلا ، لواسع رحمته وعظيم احسانه .  
 فلو تاب العبد الكنود واستغفره لقبل توبته وتولاه بخيره وبركته  
 وعفوه . غما ظنك بهؤلاء الغافلين الذين يعرضون عن الودود سبحانه  
 ويتقربون الى الموتى بما ذرأ لهم الودود من الحرث والانتعام وما أمدهم  
 به من الرزق . أما ود المؤمنين له سبحانه فهو معرفتهم نعمته فيحبونه  
 من كل قلوبهم ويتقربون اليه بأداء الفرائض ويزدلفون اليه بالنوافل .  
 شأنهم في ذلك شأن المحب الصادق . أخلصوا دينهم لوحدايته فتولاهم  
 برعايته وكلاهم بعنايته . وكان لهم كما يكون المحب لحبيبه — ولله  
 المثل الأعلى — وقد أمر الله المؤمنين بالاعتزاز بصلة الودة فلا يضعونها  
 الا في مواضعها فقال سبحانه ( ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى  
 وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق )  
 فجعل النهى عن مودتهم مسببا بأكبر جريمة وهي الكفر وغمط الحق .  
 ثم قرر ذلك فجعله قاعدة عامة كما تقرر الحقائق الواقعة والسنن  
 الثابتة . فقال سبحانه ( لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر  
 يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم  
 أو عشيرتهم . أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه أولئك  
 حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون ) وقال لرسوله صلى الله عليه  
 وسلم ( قل لا أسألكم عليه اجرا الا الودة في القربى ) فجعل الودة  
 ثمنا لأعظم نعمة وهي الهداية الى الصراط المستقيم .

وقد ضل الكثيرون عن فهم الآية وزعموا أنها تشير الى زيارة  
 أضرحة آل البيت رضوان الله عليهم . وعبادة المقاصير والتبرك بها  
 جهل بالدين وتحريف للقرآن ، وطعن شنيع على رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم باخراجه من سنة الله تعالى في جميع رسله بأنهم يبلغون  
 رسالاته لوجهه الكريم لا يسألون عليه اجرا لأنفسهم ولا لأولى قريابهم .  
 وحاشاه صلى الله عليه وسلم أن يكون كما زعموا . والآية الكريمة في  
 غير واديبهم ولتستمع الى الحافظ ابن كثير وشيخه ابن جرير والامام

القرطبي فانهم أوضحوا الحق وأثبتوا الصدق ( قل يا محمد لهؤلاء المعاندين من جهة قريش الذين ورثوا عبادة الموتى والترويج لها - قل لا أسألكم على هذا البلاغ والنصح لكم مالا تعطونه . وانما أطلب منكم أن تكفوا شركم عنى وتذرونى أبلغ رسالات ربى . ان لم تنصرونى فلا تؤذونى لما بينى وبينكم من القرابة ) ويروى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما ( أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن بطن من قريش الا كان له فيهم قرابة فقال : الا أن تصلوا ما بينى وبينكم من القرابة ) .

أما التودد الى الناس فهو أقرب طريق لاكتساب محبتهم بشرط أن يكون صادقا صافيا ، لا مصطنعا ولا مشوبا بشائبة من الاغراض الدنيئة ، ولا متجاوزا حدود اللياقة والذوق . وللتودد على هذا النحو أساليب شتى ، ليس مما يدرس أو يعلم . فقد يلتفت رئيس الى مرعوسيه التفاتة كريمة في شأن من شئونهم الخاصة فتجعل هذه الالتفاتة وهذا الحنو والعطف منه محبا يفتدى بالروح . وقد يصنع الزوج مع زوجته صنعا لا يكلفه من أمره شططا ولكنه يكسب به قلبه واخلاصه ويضمن أنسه وتعاونه مدى الحياة . وقد تكون كلمة واحدة من كلمات الخير تقال في موضوعها سببا من أسباب الصلاح والرضا والمحبة فلا يستطيع الشيطان بعدها أن ينزغ بنزغ أو يوسوس بفساد . وقد يصلح الله بين المتخاصمين بزيارة أو تهنئة أو مجاملة أو تكريم أو نحو ذلك من ألوان التودد ، اذا أحسن اختيارها ووضعها في مواضعها . وعماد ذلك كله الاخلاص في القصد ، والحرص على أداء الحقوق في صورة كريمة تستطيع أن تسفر بين القلوب سفارة ناجحة . واذا كان الناس في حاجة الى التودد بعضهم مع بعض فانهم انى التودد مع الله أحوج وألزم . فان التودد الى الناس اما أن يكون شكرا على معروف أو ترقبا لاحسان . والله تعالى هو المنعم على الحقيقة لا ينقطع بره ولا تحصى نعمه (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) ولن يستطيع انسان ولا حيوان أن يبقى طرفة عين اذا تخلت عنه رحمة الله أو تحولت عنه رعايته . فاذا كان هذا أمرا مسلما به تعرفه

القلوب ، وتدل عليه الدلائل في كل لحظة ، أفلا يكون من الحكمة أن يتوود المخلوقون الى مصدر الفيض والجلود سبحانه وتعالى ؟ بلى ! ولكننا نسيتا التوود الى الله واكتفينا بالتوود الى الناس . فخرنا الأمرين جميعا ولم نكسب شيئا . ذلك بأن الله تعالى تأذن لعباده أن من حاول ارضاء المخلوقين باغضاب الخالق سخط عليه وأسخط عليه الناس ، ومن حاول ارضاء الخالق ولو باغضاب المخلوقين رضى الله عنه وأرضى عنه الناس . فالتوود الى الناس لا يتم ولا ينفع الا بعد التوود الى الله . ولكن الناس أكثرهم لا يعلمون .

فالوود سبحانه لا يينغض عبدا أحبه وأخلص له الود وتقرب اليه بما يكون سببا في رضاه حتى يكون من عباده الذين قال فيهم ( فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ) ومن حديث البخارى عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه ( اذا تقرب العبد الى شبرا تقربت اليه ذراعا واذا تقرب منى ذراعا تقربت منه باعا . واذا أتانى مشيا أتيت هرولة ) ويروى أيضا عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أن الله قال ( من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب الى عبدى بشيء أحب الى مما افترضته عليه وما يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها . ولئن سألتنى لأعطينه ، ولئن استعاذنى لأعيزنه ) . واخلاص العبادة لوجه الله وابتغاء مرضاته وقيام الليل توود . تدبر القرآن والاهتداء بهديه والاعتصام به حكما توود . الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم ومعرفة سيرته ودراسة سنته والتمسك بها والمحافظة عليها توود . التعاون على البر والتقوى والتواصى بالحق ومقاومة الباطل ليسلم المجتمع توود . زيارة مريض وعون محتاج وتراحم بين جماعة المؤمنين الموحدين توود . وان ربي لرحيم ودود .

أحمد طه نصر

# الصوفية

ليست من الإسلام

بتأم : أحمد ط (نم) ٩

الصراط المستقيم هو طريق الله ، طريق الحق والخير . والناس في اقبالهم عليه واعراضهم عنه ثلاثة أقسام : منهم من عرف الحق فالتزمه ، والخير فاتجه اليه . وهذا مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا . ومنهم من عرف الحق والخير ولكنه اتخذ الهه هواه . فجمع به الى الباطل، وسار به مع شهواته في طريق الشيطان . وهذا مع الذين غضب الله عليهم وتوعدهم بالعذاب وسوء المصير . ومنهم من أعماه الجهل فضل عن طريق الحق والخير وعاش كالانعام مع ما زوده به الله من أسباب العلم والادراك . وهذا مع الذين قال الله فيهم ( ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون ) على هذا الضوء فالاسلام الحق هو الطريق المستقيم . أما الصوفية أو التصوف فليس من الاسلام في شيء . والمسلم الصادق بيرا من الحادها ومخازيها . ولا يرضى الا بالحنيفية السمحة ملة ابراهيم والنبيين عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ( قل اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم . ديننا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين . قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ) أما عن الصوفية عند المسلمين فلم يكن لها وجود في الصدر الاول من الاسلام . لأن المسلمين لم يعرفوا هذه النحلة المحدثه الا في أواخر القرن الثانى من الهجرة عندما اختلطت ثقافة الاسلام بغيرها من الثقافات



الآخري • ومما لا شك فيه أن الفكرة الصوفية بمعناها المتعارف عليه لم يكن لها وجود في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ولا حياة الصحابة • وما كانت حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ولا حياة أصحابه رضوان الله عليهم إلا التطبيق العملي الأمثل للقرآن الكريم من توحيد الله تعالى واستخلاف من الله للإنسان في هذا الكوكب الأرضي ، وتقرير سيادة الإنسان للكون تحت حكم الله ، ودعوة ومنهج للحرية والجهاد والعمل الصالح وعمارة الأرض • والذين حاولون رد الفكرة الصوفية إلى ما كان عليه أهل الصفة من زهد وعزلة ونهج معين في العبادة والسلوك الاجتماعي يخطئون في ذلك، فما كانت الصفة التي أقيمت بمسجد الرسول صلى الله عليه وسلم والتي آوى إليها الفقراء والضعفاء من المسلمين إلا بمثابة ملجأ للشيوخ والعجزة والضعفاء دعت إلى إقامته ظروف المسلمين الاجتماعية في بدء الدعوة ، وحتى يجد كل منهم ما يلائمه من عمل •

فلما فتح الله على المسلمين آفاق الأرض وتفتحت أمامهم مجالات العمل والكسب والسعي ، وأظلت عدالة التوزيع بجناحيها الشيوخ والعجزة والأرامل ، صار هذا الملجأ عنواناً سيئاً لمعنى غير موجود ، فهدم الفاروق عمر رضى الله عنه الصفة وأخرج من بقى فيها • وإذا كان هذا هو شأن أهل الصفة فلا ينبغي إطلاقاً أن نلتبس بينهم جذور الفكرة الصوفية ، أو أن نقيم على أنقاض ما هدم عمر الخليفة الراشد أفكاراً في السلوك أو مذاهب في المجتمع •

ومضى عهد الخلفاء الراشدين وجاء عهد الولاة من بنى أمية ومن بعدهم عهد بنى العباس بكل ما فيه من تناقضات وانغماس في المذات ، وتوزيع غير عادل للموارد والثروات ، فبدأت الفكرة الصوفية تطل برأسها نتيجة عدم التزام النهج الذي تركه النبي صلى الله عليه وسلم كالمحبة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك • وبنظرة

واعية يتضح افسادها لعقائد العامة والدهماء من مريديها ، وجنايتها على المجتمع فيما شوهدت به جمال وسماحة الاسلام . تصدوا الموتى ، فالاله الواحد عندهم آلهه . وعبدوا القبور فقلبوا التوحيد الخالص تعددا ووثنية . وما أغنى المسلمين وما أبعد الاسلام الحق عن هذا المقت والالحاد . انهم يفهمون في ربهم فهما شرا من فهم النصارى والمجوس من أول آئمتهم وحتى اليوم . أما ابن الفارض فيترجم عقيدة الاتحاد : أى امتزاج العبد بربه — تعالى الله عن ذلك — وصيرورة المخلوق خالقا والعدم الذاتى وجودا واجبا . بل نظر الى حقيقة نفسه فوجدها هى بذاتها الحقيقة الالهية فيقول :

جلت فى تجليها الوجود لناظرى ففى كل مرئى أراها برؤية  
وأشهدت غيبى اذ بدت فوجدتتى هنالك اياها بجلوة خلوتى  
ففى الصحو بعد المحولم أك غيرها وذاتى بذاتى اذ تحلت تجلت

وابن عربى من أصرح دعائهم الى وحدة الوجود ، بل هو زعيمها الاول بين الصوفية ، فيذكر فى كتابه ( الفصوص ) عن تجسد الله فى النساء قوله « فلهذا أحب صلى الله عليه وسلم النساء لكمال شهود الحق فيهن اذ لا يشاهد الحق مجردا أبدا عن المواد » . وحاشاه صلى الله عليه وسلم . وقوله فى دعوته الى عبادة الاصنام : « العارف المكمل من رأى كل معبود مجلى بل يراه عين كل شئ . ولذلك سموه كلهم باله مع اسمه الخاص بحجر أو حيوان أو انسان أو ملك » . أما الجبلى فى كتابه ( الانسان الكامل ) فيهدف الى حقيقة واحدة : أن الانسان فى نهايته يصير الها . . ولذا يقول :

لى الملك فى الدارين لم أر فيهما سوى فأرجو فضله أو فأخشاه  
وقد حزت أنواع الكمال واننى جمال جلال الكل ما أنا الا هو

وفي هذه العجالة ليس لنا من تعليق ، وان كان كفرهم ليس بحاجة الى دليل . ولم يكن هذا الضلال بالامس فحسب ، بل الى يومنا هذا . واليك فقرات من كتاب المنقذ - اسم على غير مسمى لأنه جناية على الانقاذ ، وما أقرب التردى والهلكة فيه ، والعجب أنه مقرر على طلبة معهد الدراسات الاسلامية بالقاهرة . وقد تساءل الطلبة : أهذا اسلام ؟ أيها الشيوخ ارشدوا الناس الى الحق . يقول الكتاب « لا بد في التصوف من شرط جوهرى هو التأثير الروحى أو البركة أو السلسلة . وهى لا تتأتى الا بواسطة شيخ ينقل البركات الى المريدين . ومن لا شيخ له فشيخه الشيطان . وكن بين يدى شيخك كالميت بين يدى الغاسل . ومن اعترض انطرد . وهى نظام الصفة فقط . ولا يزال الصوفية بخير ما تتافروا . فان اصطالحوا هلكوا . والوصول له طريقان بالسلوك أو بالجذبة » ونقول الأبنائنا ان الاسلام لا يعرف شيئا ينقل بركة أو يتخذ واسطة . وما أجمل قوله سبحانه ( واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون ) ولو ذهبت أعداد كثيرا من الاعمال التى نهى عنها الدين القويم واتخذوها شرعة لهم فسوف لا تفى الصفحات ولكن اشارة عابرة . مساجدهم تتخذ على القبور والاضرحة والاسلام يبرأ منه ( وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا ) وحديث الصحيحين قول النبى صلى الله عليه وسلم ( اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحهم مساجد ) وفى رواية ( يحذر ما صنعوا ) الى موالدهم وهى أعياد الجاهلية وعمل المشركين . انتهاك للحرمت واعتداء على القيم والاخلاق وارتكاب كل فسق وزور . صور مزرية وفجور يقيمونها فى كل ساحة وبلد ويشدون اليها الرحال . والحديث الصحيح ( لا تشد الرحال الا لثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الاقصى )

وحلقات القرنح والتمايل مع الصغير وضرب الدفوف فقدانا للاتزان والحادا فى أسماء الله زاعمين أنه ذكر • يكذبون على الله • والقرآن يصف هذا العمل بقوله ( وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ) أما الذكر الحق فى الاسلام فيقررره الكتاب الكريم فى آيات كثيرة منها ( الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله • ألا بذكر الله تطمئن القلوب ) ( الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم • واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا ) ( قد أفلح من تركى وذكر اسم ربه فصلى ) ( واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين ) الى أوراد وعهود مع شياطينهم سولت لهم أن مقبورهم تصرف الامور وتقتضى الحاجات وتفرج الكربات • نقضوا بهذه الوثنية عهد الله « اياك نعبد واياك نستعين » كلمة الاخلاص والتوحيد ، الدين الحق الذى أوحاه الله الى عبده ومصطفاه صلى الله عليه وسلم • الى فرق وطرق ضالة على رأس كل منها شيطان يدعو اليها • والاسلام يعلنها واضحة « ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء » وقوله « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » ان كل مسلم غير مطالب أن يتصدى لهذه الخرافات • ليميز الناس بين الدين الخالص وتلك الصوفية المضللة عن السبيل • وينشر العقيدة السليمة فانها الاساس الذى تقوم عليه الحياة الطبيعية فى الدنيا والفوز والنعيم فى الآخرة •

**أحمد طه نصر**

# محول

## ذكرى مولد النبي

### بقلم الدكتور نصر

قال تعالى : ( لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ) نظرة واعية الى سياق الآية وما تقدمها وأعقبها توضح بصورة قاطعة أن تدبيرا ربانيا حكيما قد تولى أمر هذا الدين ، وتنسيق وقائع الحياة الطيبة القائمة على الايمان والعمل والمكارم والقيم لتتمايز الوجود ، فيحيا من حي عن بيئة ، ويهلك من هلك عن بيئة . ولتتجلى للمؤمنين في كل عهد وحتى تقوم الساعة طريق العز والنصر جليلة بارزة لا يزيغ عنها الا عم لا يفرق بين سبيل المؤمنين ومجاهل الضالين .

وبقليل من التفكير السديد يتبين العقل أن حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم نموذج بشري أسمى ، ومثل أعلى ، لأن الله اصطفاه اماما للمعباد بعد أن رقى في الكمال حتى استحق أن يقول له ( وانك لعلى خلق عظيم ) وأن يوجه المجتمع الايماني الى الاقتداء به في كل الشئون قائلا على سبيل القطع والاستمرار ( لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ) ولا سبيل الى تحقيق الأسوة الا باقتفاء سيرته والاهتداء بسنته .

ان الله أخذ على المسلمين العهد باتباعه منذ أن أعطوا ربهم ميثاق النسم والطاعة بشهادة التوحيد . وكان هذا العلم والعهد واجبا بل فرض عين على كل مسلم حسب طاقته من المعرفة . ولا شك بأن اغفال سواد المسلمين لهذا الجانب الهام من أصول الاسلام هو الذي قذف بالأمة في ظلمات الضياع والتخلف والجاهلية الوثنية لأنه قطع ما بينها وبين نبيها صلى الله عليه وسلم وشائج المعرفة وعلائق الأسوة ، خاصة وأن فطرة العامة قد شوهتها أيضا شعوزات المنحرفين الذين لا صلة

لهم بالدين الا حفلات الموالد التي استحالت ألوانا من اللهو واللغو  
لا تهب المجتمعين عليها والراضين بها أية هداية أو نجاة •

واذا كان للأسوة الحسنة كل هذا الأثر البناء فلا بد من العلم  
الجازم أن كل محاولة لرد المسلمين إليها سيكون مآلها الاخفاق الذريع  
اذا لم تقم على أساس الفهم السليم لحياة الرسول صلى الله عليه وسلم  
من خلال الكتاب الحكيم والسنة الثابتة الصحيحة •

ونظرة الى واقعنا نجد أن الكثير من المسلمين قد اعتادوا الاحتفال  
في كل شهر ربيع بحفلات لذكرى ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم •  
يذيعون الأحاديث ويلقون الخطب ويقيمون الزينات يحتفلون بأعياد  
وموالم — هي أصلا أعياد الجاهلية — يحتشدون فيها لانباع رغباتهم  
وعقائدهم الباطلة ، بالاعتكاف حول الأضرحة والهتاف بها مددا وبركة  
ورجاء واستغاثة ، وحلقات ورثوها عن الجاهلية واليهود ، تمايل وضرب  
على الدفوف زاعمين أنه ذكر • ويغفلون عن قول الله تعالى في شأن  
المشركين ( وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية ) ٣٥ الأنفال  
الى عرائس الحلوى لتبديد الطاقة واتلافها ، فضلا عن مخالفة تعاليم  
الدين في صنعها ، وتشويه مكانة نبي عظيم في نفوس الصغار ، ويقولون  
انها ذكرى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين •

ولقد كان المسلمون الصادقون وفيهم الخلفاء الراشدون المهديون،  
الذين باعوا أنفسهم لله واتبعوا الرسول ونصروه حتى بلغ رسالة ربه •••  
كانوا لا يعرفون احتفالا خاصا يقام في مثل هذه الأيام على هذا القصد،  
لأنهم كانوا يؤمنون أن دعوته دين وأمانة وهداية تترتب عليها السعادة  
والنجاة بالعمل ابتغاء مرضات الله والدار الآخرة • وأيقنوا أن قدره  
ومكانته نبوة واصطفاء ليست من جنس ما ألفوه في أفذاذهم وأبطالهم  
والتي يخلعها التاريخ والحوادث على بعضهم في بعض نواحي الحياة  
من ثورة أو ما شابهها • لم تكن ذكراه كذلك عندهم محدودة يذكرها  
الناس يخشون عليها من الضياع • لم تكن كذلك لأنه أرفع قدرا وأعلى  
منزلة بل هو صفوة الله من خلقه ، لا يرقى لمكانته أحد ، ولا يهبط هو

الى درجة من يحتفلون بهم هنا وهناك • ولكنها كانت بحكمة الله وأمره خالدة لرسوله مؤاخية للعقيدة ماثلة في القلوب ممتزجة بالأرواح • بل لم تنف عند هذا الحد ، بل شملت جميع نواحي الحياة وامتدت الى الآخرة • انها دين ووحى بينت ما يكون للمحسنين من نعيم ، وما يكون للمسيئين من شقاء • كانت ذكراه سماوية قد رفعها الله سبحانه حيث يقول ( ورفعنا لك ذكرك ) بهذا آمن المسلمون في عصورهم الأولى يوم أن كان الايمان صادقا في القلوب ، والعمل على بينة وبصيرة • ولسنا بأهدى منهم ولا بأصدق حبا لهذا النبي صلى الله عليه وسلم • لأنهم هم الذين افتدوه بأنفسهم وأهليهم ، وعلموا أن الايمان الحق يثمر المحبة الصادقة •

وللمحبة حقوق وعليها واجبات ( قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ) وحديث الصحيح ( لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من نفسه وماله ووالده وولده والناس أجمعين ) أما ابتداعهم فهو ابتلاء بعمل ينزل من قدر الرسول صلى الله عليه وسلم في أعين غير المسلمين • فهل سألنا عن السر أنه لم يكن ثم كان • لقد كان العالم والجزيرة العربية بوجه الخصوص قبل الاسلام تغط في ظلام دامس وجاهلية عمياء تعم جميع نواحيهم وبالأخص الناحية الدينية • فقد كانوا يسيرون على أوامهم لا يعرفون هم أنفسهم مؤداها ولا معناها • كانوا يعبدون أوثانا وأصناما ( مقاصير ) صما بكما ، يعلمون حق العلم أنها لا تضر ولا تنفع ، وأنها أعجز من أن تحمي نفسها من طعنات الساخرين منها • ولكنها آلهة الأبناء والأجداد والآية ٢٥ من سورة العنكبوت تعنى عمل هؤلاء وعمل الجاهلين اليوم ( انما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا ) أى ليس عن دليل واقتناع ، وانما الوراثة وصدقة السدنة والشيوخ والمروجين من الصوفية والعوام •

ولقد لعب التصوف والمتصوفة دورا خطيرا في التسلط على عقول ضعاف المسلمين وقلوبهم بما أذاعوا من أوامهم وخرافات ، ووجدوا الطريق ممهدا لاستجابة كثير من العوام وأشباههم لتمكن الجهل فيهم •

وكان من ذلك مقولاتهم التي تتصل برسول الله صلى الله عليه وسلم ،  
 والتعالى في شخصه حتى تكاد تخرجه من العالم البشرى الى عالم الملائكة  
 الأعلى ليكون الها مع الله أو مشاركا في سلطانه ، وهو ما يعرف في  
 معتقداتهم « بالحقيقة المحمدية » • ان الجزيرة العربية كانت في ذلك  
 الحين تعيش وسط دوامة من التناقضات قد ضلت الطريق الى الحق  
 والخير • وتداركهم الله برحمته بالرسالة الخاتمة التي تكفل الكرامة  
 وعز الدنيا وفوز الآخرة ، يحمل أمانتها رسول كريم بلغه الله منه على  
 المؤمنين حيث يقول سبحانه ( لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم  
 رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة  
 وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين ) ١٦٤ آل عمران • من أنفسهم  
 ولكنه خير الناس • بشر : تلك هي الحقيقة وكل الرسل كذلك ، ولكنه  
 يمتاز بالوحى والرسالة • يلخص الكتاب الكريم ميزته صلى الله عليه  
 وسلم وحقيقته وما حمل من دعوة التوحيد والافتداء به حتى نلحق  
 بزمرته ، ونحشر تحت لوائه ، ونرد حوضه برحمة الله وفضله ( قل انما  
 أنا بشر مثلكم يوحى الى أنما المهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه  
 فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ) ١١٠ الكهف • من  
 أنفسهم ولسانهم يتلو ويبلغ الدين القويم ، ويعلم الانسانية ويقودها  
 الى أرقى مستوى من المكارم والفضائل حكمة وسدادا وهداية ورشادا ،  
 بعد أن كانوا في تيه وضياع الوثنية وعبادة الموتى وتقديس القبور ،  
 وما يقام لها من أعياد ومعابد تصد الناس عن ربهم وتصرفهم عن  
 الاسلام الحق ، الذي هو الاتجاه والعبودية الخالصة لله رب العالمين  
 ( اياك نعبد و اياك نستعين ) ومن حديث مسلم ( من قال لا اله الا الله  
 وكفر بما يعبد من دونه دخل الجنة ) •

لئن كان ميلاد محمد بن عبد الله في شهر ربيع وهو يوم عاد عليه  
 بالايجاد والسلام ، فان هناك مولدا لمحمد عبد الله ورسوله وكان ذلك  
 في شهر رمضان حينما التقى به جبريل عليه السلام ، فكان الاصطفاء

البقية صفحة ( ٣٩ ) ••



بقية مقال ( حول ذكرى مولد النبي صلى الله عليه وسلم ) ..

والرسالة ، وكان القدر والشرف وكل ذلك ميراثه صلى الله عليه وسلم  
أمانة في أعناقنا وحجة علينا .

ان آفة المسلمين اليوم أحد بلايين بل كلاهما جميعا ، أفنتهم أنهم  
أحد رجلين : رجل يتقلب في نعيم دنياه . منصرفا عن الاسلام وشأنه  
لا يبالي بالمصير الذى ينتهى اليه ، وآخر ينتسب الى الاسلام بزعمه  
وبغير علم الا من عصم الله ، يحكم عادات وتقاليد ، وهو يجهل جوانب  
الهدى والعظمة فى حياة هذا النبي الذى أدبه ربه فأحسن تأديبه ثم  
بعثه الى العالم بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله بأذنه وسراجا منيرا .

ان هذا الرسول صلى الله عليه وسلم نعمة من الله عليكم فلا  
تكفروها . وهبة منه انيكم فلا تجحدوها ، معلم كل خير فاجعلوه قدوتكم  
وامامكم . وليكن الحكيم السابقين حتى يتبعهم المحكومون ، ولنعم  
خيرات هذه الرسالة البيت والمدرسة والحياة وكل المجتمعات . حتى  
نصبح حقيقة مسلمين مؤمنين ، وحتى تكون قد وفينا بشكر ربنا على  
مفنه . وصلى الله وسألم وبارك على نبينا محمد وعلى آله أجمعين .

أحمد طه نوري

# الحسد والاستعاذة منه

## بقلم أحمد طه نصر

« قل أعوذ برب الفلق • من شر ما خلق • ومن شر غاسق إذا وقب • ومن شر النفاثات في العقد • ومن شر حاسد إذا حسد » الحسد مرض من أمراض القلب ، وداء من أدواء النفس • والحاسد هو الذي يتمنى زوال نعمة محسوده ، ولا يرضى أن تتجدد له نعمة وهو — إذا حسد أى أنفذ حسده وحققه بالسعى والمكيدة فى إزالة نعمة من يحسده — من أشد خلق الله أذى ومن أخفاهم حيلة • وليس فى طاقة محسوده ولا فى استطاعته الوقوف على ما يدبره من المكائد • فلا نجاة ولا ملجأ منه الا الى الله وحده • فهو القادر سبحانه على كفا أذاه ، واحباط سعيه •

وقد نفر الدين من كل ذلك ، وبين أن الحسد خلق النفس الذميمة النوضيعة التى ليس فيها حرص على الخير • فلعجزها ومهانتها تحسد من يكسب الخير والمحامد ، وتتمنى أن لو فاته كسبها حتى يساويها فى العدم • كما قال تعالى « ودوا لو تكفروا كما كفروا فتكونون سواء » وقال أيضا « ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم » وقد أوضح الكتاب الكريم أن الحسد من أخلاق المنافقين وأمرنا بالاستعاذة منه • والحسد مفسد للطاعات ، مذهب للحسنات ، باغث على الخطيئات • وهو نار تضطرم فى صدر الحاسد ، وسعير يتلظى فى أحشائه • انه داء يفعل فى الحاسد أكثر مما يفعل بالمحسود • وصدق من قال : « الحسد ما أعدله • بدأ بصاحبه فقتله » •

وان تعجب فعجب للانسان اذ يحسد على نعمة أخيه • فان كان الله الذى أعطاه قد كرمه ومنحه فلم (١) يحسد من أكرمه الله ؟ وان

(١) ظلم : تقرا بكسر اللام وفتح الميم •

كانت النعمة أو العطاء له استدراجا واملاء ، فلم يحسد من مصيره الى بلاء أو شقاء ؟ ان أول خطيئة عصى الله بها هي الحسد فقد حسد ابليس آدم عليه السلام اذ كرمه ربه وجعله خليفة في الأرض وأمر الملائكة بالسجود له تكريما وتقديرا • فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر واعتلج في قلبه الحسد • فحمله على معصية ربه • وتقلد بذلك الخزي والهوان • وأصبح من الهالكين أهل الحرمان •

ثم ما الذى حمل أحد ولدى آدم عليه السلام على أن يقتل أخاه ؟ ان هو الا داء الحسد • يقول تعالى « واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر • قال لأقتلك • قال انما يتقبل الله من المتقين • لئن بسطت الى يدك لتتقتلنى ما أنا بباسط يدي اليك لأقتلك انى أخاف الله رب العالمين • انى أريد أن تبوء باثمي واثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين • فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين » فالحسود ناقم على أقدار الله • قد عادى حكمته سبحانه « أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله » •

وكم سبب الحسد في نفس صاحبه عقدا نفسية تركت به أمراضا لا تذهب آثارها ولا تنتهي مضاعفاتها • والحسد يجعل من أصلب الرجال عودا وأقواهم صحة وأوفرهم بنية — مرضى قد ذبلت أجسامهم وضعفت قوتهم ووهنت أعصابهم • وانك لن تر الحسود الحقود الا رجلا قد رسم الحقد في وجهه تجاعيد الكبر ولفحة الشيب المبكر وان كان لا يزال في نضج حياته وعنفوان شبابه • فالآلام النفس أفنتك بالأرواح من آلام الجسد • فقل لحاسدى الناس وذوى الأحقاد الذين سعوا في الأرض بالفساد : ألم يأن لكم أن تخشع قلوبكم لذكر الله مقسم النعم وأن يستمع وجدانكم لقوله تعالى « أهم يقسمون رحمة ربك ؟ نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا • ورحمة ربك خير مما يجمعون » فعلام الجشع والطمع ولماذا الحقد والحسد ؟ وقد

خلق الله الناس متفاوتين في الأرزاق مختلفين في الأعمار ، متباينين في الأحوال • كتب سبحانه لكل انسان ما كتب و سطر ، وقضى له من هذه الدنيا بما قضى وقدر ، وكل ذلك خير له وان خفى عليه • فلن يكون الانسان مؤمنا حتى لا يرى لنفسه تدبيرا وتقديرا مع تدبير ربه ، وحتى يرضى بالقضاء والقدر • فلا ييأس المحروم على ما فاته ، بل يرضى بما قسم له ويسعى ويبذل الجهد في الخير والعمل ، وينقى صدره من الحقد والحسد ، لأن القلب النقي السليم من أدران الحسد يقود صاحبه الى السعادة في الدنيا والجنة في الآخرة •

ولنسمع الى صحابي جليل - رضوان الله عليهم أجمعين - أنس ابن مالك يقول « كنا يوما جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يطلع عليكم من هذا الفج رجل من أهل الجنة • قال فطلع رجل من الأنصار فسلم • فلما كان الغد قال صلى الله عليه وسلم مثل ذلك فطلع ذلك الرجل • وفي اليوم الثالث مثل ذلك فطلع ذلك الرجل • فلما قام النبي صلى الله عليه وسلم وقام الرجل تبعه عبد الله بن عمرو فقال له : انى لاحيت أبى فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثا • فان رأيت أن تؤوينى اليك حتى تمضى الثلاث فعلت • فقال نعم • فبات عنده ثلاث ليال فلم يره يقوم من الليل شيئا غير أنه اذا انقلب على فراشه ذكر الله تعالى • ولم يقيم حتى يقوم لصلاة الفجر • قال عبد الله غير أنى ما سمعته يقول الا خيرا • فلما مضت الثلاث وكدت أن أستصغر عمله قلت يا عبد الله : لم يكن بينى وبين أبى غضب ولا هجر • ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كذا وكذا فأردت أن أعرف عمك فلم أرك تعمل كثيرا فما الذى بلغ بك ذلك ؟ قال ما هو الا ما رأيت غير أنى لا أجد على أحد من المسلمين فى نفسى غشا ولا حسدا على خير أعطاه الله اياه • قال ابن عمرو فقلت هى التى بلغت بك » •

ويبقى ما أمرنا الله أن نستعيذ به وأن نلجأ الى حماه من شر الحاسد ومن كل شىء والحياة فيها الخير وفيها المحن حيث قال سبحانه

« أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون • ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين »  
واحدى السورتين المعوذتين تنص على الوقاية منه ( ومن شر حاسد اذا حسد ) بل كل هذه الشرور الخفية بعد تحفظك وحذرك تعالج بالجوء الى الله والاستعاذة به لأنه القائل ( وان يمسهك الله بضر فلا كاشف له الا هو • وان يردك بخير فلا راد لفضله ) وقوله تعالى ( ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها • وما يمسهك فلا مرسل له من بعده ) انه طريق السلامة والنجاة • والقرآن يصف عصمة المؤمنين بربهم ( الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل • فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم • انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين ) ولا شك أن قوة الايمان واليقين تحمل المحسود على الاستهانة بالحاسد وتمنعه منه •

وقد كان صلى الله عليه وسلم يستعيذ بالله من العين الالامة • وهى التى تلم بالحسود حينما يكون الحسد بالعين لأنها نافذة يطل منها غل القلب وسموم النفس • ويكون بغير العين أيضا • وفى الحديث ( أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين الامة ) انه الايمان الخالص بالله يتحصن به المؤمن ( قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون ) أما ما يرتكبه الجاهلون أرباب الوثنية من لجوء الى الخرافة والدجل حتى غشيهم الضعف والوهن فأشركوا بالله بما أضلهم به الشيطان اعتقادا فى الودعة والتمايم أنها تقى العين وتحفظ من الحسد • ففسد ايمانهم وازدادوا بذلك مرضا وغواية ولم يحصلوا على شىء لأنهم طلبوا العافية من غير مالکها الذى هو خير حافظا وهو أرحم الراحمين • وفى الحديث عند أحمد « من تعلق تميمة فلا أتم الله له • ومن تعلق ودعة فلا ودع

الله له « وعند الترمذى توجيه حكيم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ( يا غلام احفظ الله يحفظك • احفظ الله تجده تجاهك • تعرف لربك فى الرخاء يعرفك فى الشدة • واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك • وما أخطأك لم يكن ليصيبك ) وختاما بحديث أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها عند البخارى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا أوى الى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما وقرأ فيهما قل هو الله أحد والمعوذتين ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه • يفعل ذلك ثلاثا » •

وهذا الحسد فى شأن الحياة ومتاعها • أما ما يتعلق بالمنافسة والغلبة فى الخير والعمل الصالح من أجل مرضاة الله والدار الآخرة فالى مقال آخر • والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم •

أحمد طه نصر

### ان غطى رأسه بدت رجلاه

عن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف أن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه أتى بطعام وكان صائما فقال : قتل مصعب ابن عمير رضى الله عنه وهو خير منى ، فلم يوجد له ما يكفن فيه الا بردة ان غطى بها رأسه بدت رجلاه ، وان غطى بها رجلاه بدا رأسه ، ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط – أو قال أعطينا من الدنيا ما أعطينا – قد خشينا أن تكون حسناتنا عجلت لنا • ثم جعل يبكى حتى ترك الطعام •

رواه البخارى

# ليلة القدر

بقلم: د. محمد طاهر

هذه ليلة القدر • ليلة العفو والاصطفاء • أو الطريق الى الجنة • ولم سميت بليلة القدر ؟ قال كثير من المفسرين : انها سميت ليلة القدر بمعنى ليلة التقدير لأن الله ابتداءً فيها اصطفاه نبيه صلى الله عليه وسلم ، وتقدير دينه وتحديد المنهج في دعوة الناس الى ما ينقذهم مما كانوا عليه من الكفر والفساد ، ويهديهم الى طريق الايمان • وبمعنى العظمة والشرف • وهى جليلة بجلالة ما وقع فيها من انزال القرآن العظيم • فليلة يسطع فيها نور الرسالة خير في شرفها من ألف شهر • لأنه قد مضى على البشرية آلاف الشهور وهم يتخبطون في ظلمات الوثنية والضلال ، افتراء على الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ، وأن العمل فيها له فضل وتترتب عليه آثار تؤدى الى النجاة من النار والفوز بالجنة • أوليس الرسول صلى الله عليه وسلم يقول عنها من حديث السنن « وفيه ليلة هى خير من ألف شهر • من حرم خيرها فقد حرم الخير » وقوله « وآخره عتق من النار » •

ومع الآيات التى يمدح الله تعالى فيها شهر رمضان من بين سائر الشهور بأن اختاره واختصه بانزال القرآن الكريم — وان ورد أنه الشهر الذى كانت الكتب الالهية تنزل فيه على الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين — يقول سبحانه « انا أنزلناه فى ليلة القدر » وأختها من سورة الدخان « انا أنزلناه فى ليلة مباركة • انا كنا منذرين • فيها يفرق كل أمر حكيم • أمرا من عندنا انا كنا مرسلين • رحمة من ربك انه هو السميع العليم » وهذه الليلة المباركة هى بعينها ليلة القدر • وهى ليلة من شهر رمضان المبارك بلا شك لقوله تعالى « شهر رمضان

الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » وكل  
ذول بغير هذا عن الليلة المباركة كادعائهم أنها ليلة النصف من شعبان.  
وما ينسج حولها فهو كذب يصادم النص • وما يقال من نزول القرآن  
جملة واحدة الى بيت العزة فى السماء الدنيا ثم نزوله بعد ذلك منجما  
تبعا للحوادث فهو مضطرب ولا يصح الأخذ به لضعفه • والتنزيل فى  
الآيات الثلاث يراد به الابتداء بانزاله ، وشرفها ليس مما يسهل  
احاطة العلم به الا ما ذكر الله •

ولا شك أن ابتداء نزول القرآن كان فرقانا بين الحق والباطل •  
وكل ما جاء منه كان كذلك • ثم توالى النزول بعد الليلة الأولى بما هو  
من نوع ما نزل فيها • ولأن كل ما جاء فيها كان أمرا حكيما يقف بك  
عند الحق ، ويبعد بك عن الباطل ، ويصرفك عما فيه شقاؤك الى ما فيه  
سعادتك ونجاتك • فلا ريب أن تكون الحكمة أوله وآخره •

كان صلى الله عليه وسلم يخرج الى غار على قمة جبل قريب  
من مكة المكرمة يسمى غار « حراء » ويأخذ زاده ليقضى فيه الليالى  
ذوات العدد ، يتأمل فى هذا المكان الفسيح وصولا الى أن هناك الها  
واحدا • والتوحيد فطرة فى كيان الانسان الذى يتأمل أدنى تأمل ،  
حتى لتسمع الاعرابى فى الصحراء يقول : اذا كانت البعرة تدل على  
البعير ، وأثر الاقدام يدل على المير ، فسماء ذات أبراج ، وأرض  
ذات فجاج ألا يدلان على اللطيف الخبير ؟ •

وكان صلى الله عليه وسلم بشرا كسائر البشر ، نشأ حياته  
وظفولته وصباه كسائر الناس ، عمل فى رعى الغنم ، وتاجر فى مال  
السيدة خديجة رضى الله عنها • نعم كان أمينا طاهرا صادقا عفيفا  
محبوبا وثقة لدى قريش بأسرها • نظر حوله صلى الله عليه وسلم  
فوجد أن المجتمع الذى يعيش فيه مجتمع ملئ بالانحرافات وعبادة  
الموتى والأصنام التى تحطم حرية الانسان وكرامته • فاتخذ موقفا



هو الرفض لهذه العبادة الباطلة والتي لا يقبلها عاقل يحترم آدميته •  
وذلك ببعده عن القوم للتأمل في ملكوت الله وخلقته وصنعتة •

وبينما هو صلى الله عليه وسلم — وقد بلغ الأربعين من عمره —  
جالس في هدوء الليل حيث السلام والهدوء اذ به يسمع من يناديه  
يا محمد « اقرأ » • ونظر صلى الله عليه وسلم ليرى زائراً غريباً  
اقتحم عليه وحدته وتأمله • ولم يدر ماذا يفعل • ان الملك يطلب منه  
ما لا يستطيعه وهو القراءة • انه صلى الله عليه وسلم أمى لا يعرف  
القراءة ولا الكتابة — لحكمة الاعجاز — وخرج صوته : ما أنا بقارىء •  
وتكررت المحاولة • وفي الثالثة أضاف الملك شيئاً قال له ( اقرأ باسم  
ربك الذى خلق • خلق الانسان من علق • اقرأ وربك الأكرم • الذى  
علم بالقلم • علم الانسان ما لم يعلم ) حتى هذه اللحظة من هذه  
الليلة المباركة كان محمد بن عبد الله « الأمين » • ثم أصبح من غده  
محمد عبد الله ورسوله الى الناس أجمعين بهذا اللقاء ، لقاء الوحي  
والاصطفاء •

ويعود الى بيته صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده ويدخل على  
السيدة خديجة رضى الله عنها — النعمة الجليلة على هذا النبى الكريم  
لما بذلت وآمنت وواست وآزرت — يقول زملونى زملونى • زملته  
حتى ذهب روعه • وأخبرها بما حدث وأن الزائر قد غطه ثلاثاً حتى  
أجهده — احياء بما سوف يحمل من أعباء الرسالة والجهاد فى سبيلها —  
وقال : لقد خشيت على نفسى ، فقالت له : « كلا فوالله لا يخزيك الله  
أبدا • انك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحفظ الأمانة ، وتكسب  
المعروف ، وتحمل الكل ، وتعين على نوائب الدهر » • ثم ذهبت به الى  
ابن عمها ورقة بن نوفل ( شيخ كان يقرأ صحف أهل الكتاب » وفيها  
صفته » ) وأخبره بما رأى صلى الله عليه وسلم • فبشره ورقة بأن  
ذلك الناموس الذى كان ينزل على موسى عليه السلام •

هذه الليلة التي أشرق فيها ضياء الوحي ونور الرسالة واتصلت  
 السماء بالأرض ، كانت أول عهد النبي صلى الله عليه وسلم بشهود  
 الملائكة بل بأمينهم « الروح » عليه السلام وهو الذى تمثل له مبلغا  
 للوحي • وهو الذى يسمى فى القرآن بجبريل • حيث تغير وجه التاريخ  
 بالقيم والمكارم والطريق المستقيم ( العبودية الخالصة لله رب العالمين )  
 طريق الحياة الطيبة فى الدنيا والجنة والنعيم والفوز فى الآخرة •  
 أما متى تكون هذه الليلة ؟ فهى فى كل شهر رمضان من كل عام فى  
 العشر الأواخر فى الوتر منهن • ووجه الدلالة الأحاديث الصحيحة •  
 روى الشيخان وغيرهما عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رجلا  
 من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أروا ليلة القدر فى المنام فى  
 السبع الأواخر من رمضان ، وأخبروا النبي صلى الله عليه وسلم  
 فقال : أرى رؤياكم قد تواطأت فى السبع الأواخر ، فمن كان متحريرا  
 فليتحررها فى السبع الأواخر » وفيهما أيضا عن أم المؤمنين عائشة  
 رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « تحروا ليلة القدر  
 فى الوتر من العشر الأواخر من رمضان » وعند البخارى عن عبادة  
 ابن الصامت رضى الله عنه قال « خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 ليخبرنا بليلة القدر • فتلاحى رجلان من المسلمين فقال « خرجت  
 لأخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان • فرفعت • وعسى أن يكون  
 خيرا لكم • فالتمسوها فى التاسعة والسابعة والخامسة » والمقصود  
 رفع خبر تعيينها لا أنها رفعت كلية من الوجود كما يقول الجهلة الشيعة  
 لقوله صلى الله عليه وسلم ( عسى أن يكون خيرا لكم ، فانها اذا كانت  
 مبهمة اجتهد طلابها فى ابتغائها فى جميع محال رجائها فكان أكثر للعبادة  
 بخلاف ما اذا علموا عينها فان الهمم تتقاصر على قيامها فقط • وانما  
 اقتضت الحكمة ابهامها لتعم العبادة جميع الشهر وتريد اجتهادا فى

العشر الأواخر • ولهذا كان صلى الله عليه وسلم يعتكف العشر الأواخر حتى توفاه الله عز وجل • وفي الصحيحين عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها كان صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر الأواخر أحبى ليله وأيقظ أهله وشد المنزر » •

إزاء هذا الهدى النبوى يجب الاقبال على الله كلية بعد أداء واجب المعاش ومسئولية الحياة ، ليتحقق اغتنام واستمطار رحمة الله سبحانه • وهو كريم يتعمد بها عبادة القانتين • ومن قيم هذا الدين العظيم ما تترك هذه الليلة من آثار ومعان وإيحاءات تنفع المؤمنين دراسة وقراءة وعلمًا وعملاً ، ليسخروا بها الحياة ويسودوا الدنيا بالسلام وأى سلام ، سلام الحق والعز ، سلام القوة والاستخلاف ، وهو ما ينشده العالم كله – والمؤمنون بخاصة « سلام هي » أى أنها سالمة من كل شر وأذى ، بل هي أمن وعفو كلها ، لأن الله يفرج فيها عن كل مكروب ، ويفتح فيها سبل الهداية والارشاد • وينال المؤمن ما يتطلع اليه مدى الشهور والأعوام لما ينزل فيها من كل أمر وتدبير وأحكام من الخير والفضل والانععام •

انها ليلة تعلق قدر العمل الجاد الخالص اذ يوصى صلى الله عليه وسلم بقوله « من قام ليلة القدر ايمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه » قام يصل نفسه بالله ربه المنعم المتفضل ويستقيم على دينه عملاً وصبغةً وسلاماً وهدايةً لنفسه وأهله ومجتمعه • وقد روى أصحاب السنن عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم : أرأيت ان وافقت ليلة القدر فما أقول فقال لها « قولى اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عنى » والعافية والسلامة

أعظم أهداف المسلم الناصح لنفسه ، الذى لا يجعل حظه منها أمانى وأحلاما وهدايا مادية ، كواقع أكثر الناس — عافانا الله — بما يحيلون هذه العشر الى بلاء وشر ونزاع لتقديهم بعبادات باطلة خدعهم بها الشيطان فحال بينهم وبين السلام والأمان • وربما هدمت الأسرة وشرد أبنائها • وقد مر حديث الماراة وهو يؤكد أن الخلاف يدفع الخير ويرد الفضل • انها غفلة أحاطت بالمجتمع وقد جاء من حديث السنن ( ان العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ) أما السلامة فهي ميسورة قريبة بالتزام الحق وفهم الدين وعمل الخير والفوز بالغنيمة المرجوة من وراء ذلك • لأن الشهر كله موسم خير ومغنم بر • وقد حذرنا النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث السنن بقوله « آمين » لما ذكر له جبريل عليه السلام أنه يرغم أنف العبد يوم القيامة فى التراب حسرة وندامة ، اذا أدركه رمضان فلم يخرج مغفورا له ( لما ضيع وفرطه ، وسخر من الشهر والعبادة بالسهرات التى فتن بها أرباب اللهو واللغو والشهوات • ولبعض الصحف مشاركة من لون البر وفعل الخير ، وهو أمر حبيب اليه الدين وحث عليه غير أنهم يسمون ذلك « بليلة القدر » استمالة للناس بتقديم عطاياهم ثم يقومون بتوزيعها على المتطلعين لها • ان هذا العمل لو سمي باسمه — البر وفعل الخير — لكان جميلا ، حتى لا يظن العامة أن هذه الليلة هى هذه الأعطيات • انها الرجاء والقصد الى الله بالعمل الصالح والعبادة الخالصة والهداية بالكتاب الكريم ، لنيل الرحمة والمغفرة والعتق من النار ، أى الطريق الى الجنة • حقق الله لنا ذلك بمنه وكرمه • وصلى الله وسلم وبارك على نبيينا محمد وعلى آله أجمعين •

أحمد طه نصر

# المنافس في الخير

## بقلم الدكتور أحمد المنصور

روى البخاري ومسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ( لا حسد الا في اثنتين : رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها ) والحسد كما علمنا هو تمنى زوال النعمة من المنعم عليه وهو مذموم ومرض يضر بصاحبه . وقد لا يبلغ بالمحسود شيئا اذا قوى ايمانه واحتمى بالله وكل ذلك ليس مرادا من حديثنا . انما المراد أمر آخر هو الغبطة بمعنى أن تسر للمؤمن المنعم عليه ، وتطلب له المزيد وتتمنى من الله بعد بذلك وسعيك أن يكون لك مثل ما لغيرك من غير أن يزول عنه شيء . وحديث صاحب الجنة صاحب الرضا والقلب المنعم بالخير المتعلق بالله السعيد بما أوتى قد درسناه في مقال سابق .

ويمكن القول بأن تكون الغبطة على نحو المنافسة والمبادرة الى الكمال الذي تشاهد على غيرك فتتافسه فيه حتى تلحقه أو تجاوزه . فهي شرف النفس ، وعلو الهمة . قال تعالى ( وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ) بعد ذكر الأبرار وما ينتظرهم من نعيم ونجاة ورضوان وجزاء على ما قدموا من عمل وايمان وجهاد لاعلاء كلمة الله ونصرة دينه . والقرآن بليغ معجز ، لأن المنافسة أصلها من الشيء النفيس الذي تتعلق به النفس طلبا ورغبة ، وربما فرحت اذا شاركها فيه الآخرون كما كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يتنافسون في الخير والطاعة والبر ، ويفرح بعضهم ببعض باشتراكهم فيه ، بل يخض بعضهم بعضا عليه مع تنافسهم فيه . وهي نوع من المسابقة . وقد قال الله

عز من قائل كريم ( فاستبقوا الخيرات ) وقال تعالى ( سارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ) وكان عمر الفاروق رضى الله عنه يسابق أبا بكر رضوان الله عليه فلم يظفر بسبقه أبدا وقال : ما سبقته الى خير الا وجدته قد سبقنى اليه ) والله در الامام ابن القيم حيث يصف المتنافسين كعبيدين بين يدي سيدهما يتباريان ويتنافسان في مرضاته ويتسابقان الى محابة فسيدهما يجب ذلك منهما ، ويحثهما عليه • وكل منهما يحب الآخر ويحرضه على مرضاة مولاه ) أه •

فالحسود عدو النعمة يتمنى زوالها عن المحسود كما زالت عنه • والمنافس مسابق للنعمة متمن تماماها عليه وعلى من ينافسه • فهو ينافس غيره أن يعلو عليه ويحب لحاقه به ، أو مجاوزته له في الفضل والقرب من الصالحات • وأكثر النفوس الخيرة تنتفع بالمنافسة •

وقد يطلق اسم الحسد مجازا على المنافسة والغبطة ، كما في الحديث الذي نحن بصدده ، الذي يدل على علو الهمة والتشبه بأهل الفضل مع سلامة النفس • وإذا كان الانسان المؤمن يريد أن يغبط أحدا على نعمة أنعمها الله عليه ، فلا غبطة أعظم من الغبطة في أمرين: الأول أن يغبط على من أنعم الله عليه بمال وفير ، ووقفه لانفاقه في سبيل الخير ، فيتمنى أن يكون له مثل ماله فينفقه في سبيل الله ومرضاته • والثاني أن يغبط من آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها • لأن هذا العمل كله شكر للمنع سبحانه واعتراف له بالفضل والمنة •

والحكمة التي جاء ذكرها في الحديث هي القرآن أولا • لأن هذا الحديث ورد بلفظ آخر « ورجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وأطراف النهار » وكل من الروايتين تفسر احدهما الأخرى • فالأولى أن تفسر الحكمة في الرواية الأولى بالقرآن الذي صرح به في

الرواية الأخرى • وهى أيضا سنة النبى صلى الله عليه وسلم وهدية لأنه مبین للقرآن ومنفذه خلقا وعملا يرضى لرضاه • ويسخط لسخطه (١) •

والحكمة هى كل ما يمنع من الجهل ، ويذكر من غفلة ، ويجزر عن التقيح • أى أن الحكمة هى العلم الذى يعلى ارادة الخير ، ويخبط نزوات النفس ، ويسيطر على أعمال الانسان المؤمن وبه يعرف ويفرق بين الحق والباطل ، وبين الوسوسة والالهام • لأن الوسوسة من الشيطان ، والالهام من هداية الله ، ومنها لمة الملك ، وهى من أجل نعم الله تعالى على المصطفين من عباده • قال تعالى ( يؤتى الحكمة من يشاء • ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا • وما يذكر الا أولو الألباب ) •

وانما كانت الغبطة فى هذين الأمرين أعظم وأفضل فى غيرهما لأنهما الطريقتان الموصلان الى الخير والصرراط المستقيم • فالمال اذا أنفقه صاحبه النعم عليه به من ماله الحق سبحانه فى الوجوه المشروعة كان ينفعه بعد أداء زكاته على أهله وتربية أولاده وصلة رحمه ، ويمين به البائسين والمكروبين ، ويغيث المهوفين ، ويساهم فى المدالح العامة التى تثير السبيل لمجتمع المسلمين وتزودهم لخيرى الدنيا والآخرة كالمساجد والمدارس والمستشفيات والصانع التى يقوم عليها عماد حياة الأمم ، خصوصا فى عصرنا هذا الذى صار للصناعات أثر بارز فى نهضات الشعوب ، والمسلمون هم الجديرون بكل ذلك لأن مكانتهم التى أرادها الله لهم أن يكونوا خير أمة تحفظ الحق وتوجه الخلق •

ولنا فى سلفنا الأول وصحابة النبى صلى الله عليه وسلم خير مثل وأسوة • فقد استجابوا لوعد الله لهم بالتمكين والاستخلاف والعز فى الدنيا والفوز فى الآخرة الذى يتحقق بالعبودية الخالصة لله والأسوة برسوله صلى الله عليه وسلم والاستمسك بهذا الكتاب الكريم والقيام

---

(١) وقد امتحن الله سبحانه عليه بقوله « وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما » .

بالاصلاح فى الأرض وعمارتها • وعد الله ولا يخلف الله وعده حيث يقول سبحانه « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا • يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً • ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون » •

وهن أحسن الانفاق ما كان فى سبيل اعداد العدة وعون الغزاة المسلمين ووسائل الدفاع التى يزداد بها عن حياض الأمة ، وسبل الاصلاح كثيرة • ومن فعل ذلك ايماناً بالله وابتغاء مرضاته فقد فاز بالكرامة والنعيم والأجر العظيم ، الذى وعد الله به المحسنين يوم القيامة • فما أجدد من يغبط مؤمناً على نعمة أنعمها الله عليه بأن يغبط الموفق فى انفاق ماله فيما يحب ربنا ويرضى • وقد أصبح هذا الأمر نادراً ، لأن أصحاب الأموال فى عصرنا هذا قد استهوتهم فتنة المال فأعمتهم عن سبل الخير — الا من عصم الله — فانكبوا على رعوسهم فى طريق الغواية ، ينفقون المال فى سبيل شهواتهم الدنيئة وفنهم الماجن المدمر • منهم من يرحل الى بلاد الغرب وغيرها ، فلا يدع سبيلاً من سبل الشيطان الا سلكه ، وبدد فيه أمواله ، فلا هو أفاد ولا حفظ • والمخازى فى تصرفات هؤلاء كثيرة وتبرأ منها الفضيلة • وآخرون قد غلوا أيديهم الى أعناقهم وبخلوا بأموالهم على أنفسهم واخوانهم ، وأقاموا من أنفسهم حراساً عليها ولا يزلون هكذا حتى يأتيهم الموت ، فيتركونها نهبا للسفهاء من ورثتهم بيددونها حتى ينضب معينهم ، ويعيشون كلاً على المجتمع •

ومن هنا كان الموفق بالانفاق محظوظاً لأن الله من عليه بما حرم منه الكثيرون من السفهاء الطائشين وكما جاء فى الحديث ( نعم المال الصالح للعبد الصالح ) وكما أن المال من أعظم القرب الموصلة الى خيرى الدنيا والآخرة • فكذلك الحكمة من أعظم نعم الله التوذية لسعادة الدارين ، سواء فسرنا الحكمة بأن المراد منها القرآن ، أو ليس

( البقية صفحة ٣٢ ) •



## بقية مقال ( التنافس في الخير ) ..

هو الذكر الحكيم ؟ أليس هو الذى أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ؟ وخوطف النبي صلى الله عليه وسلم « وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم » والسنة أيضا جاء ذكرها في آيات كثيرة « لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين » بمعنى أن الخدمة أى العلم بكل ذلك هو الذى يحيى النفس والناب ويهين على كل أعمال المؤمن • وكانت سببا في الهداية والسعادة إذ لا هداية إلا بالكتاب • انه القرآن الذى يمس الروح ويزكى النفس ويسمو بالمؤمن الى سماء مرضاة الله ورضوانه • ومن أجدر أن ينبطه المؤمنون ويتسنون أن يكونوا مثله من صاحب القرآن والسنة والعلم والعمل • وأنه الموفق للصواب •

أحمد طه نصر

# أَبَان

## تَكْرِيمٍ وَتَثْبِيتٍ

بِقَلَمِ زَهْرَةَ نَصْرٍ

مع اليقين بأن القرآن العظيم معجزة الاسلام الكبرى ، والنعمة الشاملة والحجة الخالدة ، والذكر الحكيم ، بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ، وهو مع السنة النبوية الصحيحة المصدر الحق للتشريع ، المنهاج المستقيم ، كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد ، مصدق لما بين يديه من الكتاب ومهيمن عليه ، باق ما بقيت السموات والأرض ، محفوظ الى آخر الدهر ، جل منزله القائل « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » تأتي آيات التأييد والتثبيت في مواقف التضحية وبذل النفس والمال لله ابتغاء مرضاته والنجاة عنده ، ونصرة رسوله صلى الله عليه وسلم والجهاد معه في وجه الوثنية والكفران والفساد والطغيان ، بعد افراغ الجهد كله صدقا ويقينا .

فتتدارك العناية الالهية هؤلاء الصحب الكرام الذين ارتضاهم الله وجعل منهم البذور الطيبة والمعدن الأصيل واللبنات الأولى في بناء صرح الأمة الاسلامية الناهضة الراسخة التي حملت مع امامها العظيم صلى الله عليه وسلم أمانة الدعوة وافساح الطريق أمامها . وحتى يقول قائلهم ( ان الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد الى عبادة الله وحده . ومن ضيق الدنيا الى سعتها . ومن جور الأديان الى عدالة الاسلام ) وقال الله فيهم « ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رءوف بالعباد » .

جاءت هذه الآيات تكلمهم أن اثبتوا فانكم على الحق ورسولكم صلى الله عليه وسلم رسول صدق • والقرآن الكريم يحدثنا عن آيات الله مع أنبيائه ورسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين « وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا باذن الله » منها « وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها » يقول نبيهم انها لكم آية • وعن نجات الخليل ابراهيم من النار بأن جعل الله خاصة الاحراق بردا وسلاما آية • وآية احياء الموتى « خذ أربعة من الطير ، فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيًا » والذي مر على قرية خاوية وأماته الله مائة عام ثم بعثه وآية الطعام والشراب الذي لم يتسنه ، ونشوز العظام وكسوتها ولما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير • أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين • آية العصا ، مرة حية تسعى وثانية ينفلق بها البحر طريقا يبسا ، وثالثة يضرب بها الحجر فتتفجر منه اثنتا عشرة عينا • وقميص يوسف ألقاه البشير على وجه يعقوب عليهما السلام فارتد بصيرا • وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرا باذن الله ، ويكلم الناس في المهد وكهلا • وليس عيسى وحده الذي تكلم في المهد • فقد روى مسلم حديث الصبي في قصة الأخدود وصاحب الصومعة •

ومع خاتمهم وامامهم وصفوتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين • أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله • نعم أظهر الله للرعييل الأول من أمته صلى الله عليه وسلم على يديه آيات حسية وروحية ، ليرسخ يقينهم وتكمل سعادتهم ، ويواصلوا المسيرة جهادا وفتحا • من هذه الآيات اجابة الدعاء والايخبار بالغيب بما أوحى اليه ، ونبع الماء ، وتكثير الطعام وبركته وتسبيحه وهو يؤكل ، وعصمته من الناس ، وتكريمه بالعروج ودخول الجنة ، وآيات أخرى كثيرة آتاه الله

منها ما شاء سبحانه • روى الشيخان البخارى ومسلم عن ابن مسعود وأنس  
رضى الله عنهما أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن  
يريهم آية فأراهم القمر شقين ، حتى رأوا حراء بينهما ، يقول لهم اشهدوا ،  
ويقولون سحرنا محمد • وقال بعضهم ان كان سحرنا فانه لا يستطيع  
أن يسحر الناس جميعا ، انظروا ما يأتى به السفار • وشهدوا له ونزلت  
الآيات ( اقتربت الساعة وانشق القمر • وان يروا آية يعرضوا ويقولوا  
سحر مستمر ) •

وروى البخارى عن ابن مسعود رضى الله عنه ( كنا نسمع تسبيح  
الطعام وهو يؤكل ) والله هو القائل ( وان من شئ الا يسبح بحمده  
ولكن لا تفقهون تسبيحهم ) وروى أحمد عن أنس أن النبى صلى الله  
عليه وسلم دخل على قوم وهم وقوف على دواب ورواحل فقال لهم  
( اركبوها سالمة ، ودعوها سالمة ، ولا تتخذوها كراسى لأحاديثكم فى  
الطرق والأسواق فرب مركوبة خير من ركبها وأكثر ذكرا لله منه )

وروى الترمذى وغيره عن ابن عباس رضى الله عنهما : جاء رجل  
الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله انى رأيتنى الليلة  
وأنا نائم كأنى أصلى خلف شجرة فسجدت فسجدت الشجرة لسجودى  
فسمعتها وهى تقول ( اللهم اكتب لى بها عندك أجرا ، وضع عنى بها  
وزرا ، واجعلها لى عندك ذخرا ، وتقبلها منى كما تقبلتها من عبدك  
داود ) •

وروى الشيخان عدة روايات عن جمع من الصحابة رضوان الله  
عليهم أنس وجابر وسلمة والبراء ومعاذ وابن مسعود وعمران وعلى  
وغيرهم يقولون : حضرت الصلاة ولم يجدوا ما يتوضؤون به • فینطلق  
الرجل منهم بقدرح فيه ماء يسير فيأخذه النبى صلى الله عليه وسلم

فيدخل يده ويفرج أصابعه ثم يقول حى على الطهور المبارك والبركة من الله • فلقد رأيت الماء ينفجر من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم فتوضأ الناس وشربوا • مرة وعددهم سبعون وبالحديبية يوم بيعة الرضوان يوم بدأ الفتح المبين يروونه صلى الله عليه وسلم وهم ألف وأربعمائة والبئر جافة يتوضأ ويتمضمض وما شاء من دعاء ثم يصبه فيها فتصدرهم ما شاعوا وركائبهم •

وعين تبوك : يقول معاذ رضى الله عنه غرفنا بأيدينا من العين قليلا حتى اجتمع شئ فمسه صلى الله عليه وسلم ثم أعاده فجرت العين بماء منهمر وهم ثلاثون ألفا غير ركائبهم وخيلهم • وصاحبة المزدتين حينما استوقفوها يسألونها عن الماء ، وقالت عهدى به الأمس هذه الساعة وجيء بها الى النبي صلى الله عليه وسلم ودعا باناء ففرغ فيه من أفواه المزدتين وربط أفواههما ونودى فى الناس ودعا النبي صلى الله عليه وسلم فسقوا واستقوا وهى قائمة تنظر الى ما يفعل بمائها • وأيم الله لقد أقلع عنها وانها ليخيل ليينا أنها أشد ملاءة منها حينما ابتداء فيها • وكافئوها بطعام وقال لها النبي صلى الله عليه وسلم « تعلمين ما رزئنا من مائك شيئا ولكن الله هو الذى أسقانا » • فأتت أهلها وذكرت لهم ما رأت وقالت فوالله انه لأسحر الناس بين السماء والأرض ، وانه لرسول الله حقا ، أقتطف ولا أحصى هذا العطاء وأقول عصا موسى التى انفجرت بها اثنتا عشرة عينا لو أن الأرض ملئت بمثلها فانها لا تساوى أصبعا واحدا من أصابع هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم •

وما كان الرعوف الرحيم سبحانه ليترك هؤلاء الصادقين المجاهدين ليهلكوا وهم يومئذ كل جند الاسلام ورجاله المخلصين • أما عن الطعام فالشيخان أيضا يرويان هذه الآيات فى عدة مواقف هى الصمود بالدين

وحمايته والتفرغ لاعلاء كلمة الله ونصرة دينه ورسوله صلى الله عليه وسلم ، تبوك والأحزاب وفي المدينة ذاتها • تبوك (١) : يجمع فضل أزوادهم ويدعو ويستمطر بركة الله وتجاب دعوته ثم يقول خذوا في أوعيتكم حتى ما تركوا في العسكر وعاء الا ملئوه ، فأكلوا وشبعوا وقال صلى الله عليه وسلم أشهد أن لا اله الا الله وأنى رسول الله • لا يلقي الله بهما عبد غير شاك فيحجب عن الجنة» أما الخندق وهم ألف يتصدون لمن تحزبوا على مدينتهم يريدون ان يطفئوا نور الله ويكذبوا رسوله ويقتلوا المؤمنين معه ، ويأبى الله القاهر فوق عباده العلى التقدير، إلا أن يتم نوره • وسورة الأحزاب تصف الهول والكره وثبات المؤمنين وصدقهم مع الله وعنايته سبحانه بهم اذ يقول « ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا » • وعند نفاذ الزاد يومها يقول جابر رضى الله عنه : رأيت برسول الله صلى الله عليه وسلم خمصا فانكفأت الى امرأتى فقلت لها هل عندك شىء ؟ فأخرجت جرابا فيه صاع من شعير ، ولنا بهيمة داجن فذبحتها ، ووليت الى رسول الله فساررته انا ذبحنا بهيمة وطحنت صاعا من شعير فتعال أنت ونفر معك • فماذا ينتظر من نبي البر ، والذي بلغ بالمؤمنين ما بلغ به ، وهو القدوة ومعلم الخير ؟ لم تطب نفسه صلى الله عليه وسلم أن يطعم الا أن يطعموا جميعا • فصاح في الناس يأهل الخندق ان جابرا قد صنع وليمة فحى هلا بكم • وقال لى لا تنزلن برمتكم ولا تخبرن عجينكم حتى آتى • وجاء يقدم الناس وقالت لى امرأتى بك سنفضح، وعمد صلى الله عليه وسلم الى عجينا والى برمتنا فدعا وبارك فيهما وفعل ماشاء وأمر بالخبيز ، وأن يغرفوا من البرمة ولا ينزلوها ، وهم ألف ، فأقسم بالله لأكلوا حتى تركوا وان برمتنا لتغط وعجينا كما هو •

(١) وقد نهض المسلمون مع الرسول صلى الله عليه وسلم رغم شدة الحر وبعد السفر ، وبعد أن بذلوا نفيس أموالهم في تجهيز الجيش •

وحنين الجذع ، واجتماع الشجرتين ليكونا سترًا له صلى الله عليه وسلم ثم افتراقهما وعودتهما على أصولهما من حديث مسلم ، ومن رواية الشيخين عن اخباره بغيب أعلمه الله اياه كتاب حاطب الى أهل مكة . حديث أم حرام وركوب البحر • هلاك كسرى وتمزيق ملكه • والبخارى عن دور الحسن بن علي رضي الله عنهما في الصلح بين المسلمين • مقتل عمار • حديث سعد بن معاذ الى صفوان بمكة بخبر النبي عن قتله • انباؤه بشهداء مؤتة زيد وجعفر وابن رواحة رضوان الله عليهم قبل أن يأتي خبرهم • سراقه وسوار كسرى • نزول المطر فور استجابة دعائه منمهرًا ، ولحوق فاطمة سيدة نساء أهل الجنة بالرسول صلى الله عليه وسلم بعد موته • وكذلك أم المؤمنين زينب رضي الله عنها • ورواية الامام مسلم في عصمته وحفظ الله له حينما قال أبو جهل يعفر وجهه ( يعنى السجود ) بين أظهركم قالوا نعم قال لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن رقبتة • قال فما فاجأهم منه الا وهو ينكص على عقبيه ويتقى بيديه فقيل له ما لك ؟ فقال ان بيني وبينه لخذقا من نار وهولا وأجنحة • فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو دنا لاختطفته الملائكة عضوا عضوا •

وختاما مع الايمان القائم على آلاء الله والتفكر في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار ، وأن القرآن العظيم يوجه النظر دائما لمعالى الأمور ، ويفيض في ذكر آلاء الله وآياته في الآفاق وفي الأنفس ، وهذا هو الايمان الراسخ • لأن هذه الآيات باقية ما بقيت السموات والأرض • أما ما كان من شأن الآيات الأخرى فهي استثناء للمتأملين • يقول سبحانه ( أو لم يفهم أنا أنزلنا الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون ) •

أحمد طه نصر

## التحذير من فتنة الأزواج والأولاد

### بقلم: أحمد طه نصر

لا أحد أعير من الله سبحانه • من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن • رحيم بعباده • أعذر اليهم حتى يعودوا الى رشدهم وبأخلاق دينهم دين الحياء والعفة والفضيلة والخلق الكريم • آيات كريمة تذكركم بأمر قد يغفل عنه الكثيرون « يأيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم ، وان تغفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم • انما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم • فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيراً لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » التغابن •

انه خطاب من الله موجه الى المؤمنين يحذرهم من فتنة الأزواج والأولاد والأموال ويدعوهم الى تقوى الله والسمع والطاعة والانفاق • كما يحذرهم شح النفس واتباع هواها • ويعددهم على ذلك مضاعفة الرزق والمغفرة والفلاح • ويذكرهم في الختام بعلم الله وقدرته وحكمته • نعم لفظة « من » في الآية للتبويض • فليس كل الزوجات والأولاد يكون عدواً • فمن الحديث عن الصالحات « خير ما ينعم الله به على العبد بعد الايمان الزوجة الصالحة » •

وليس حديثى حملة على النساء بقدر ما هو هداية الله للمؤمنين والمؤمنات • روى الترمذى أن رجلاً من أهل مكة أسلموا فأرادوا أن يلحقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فأبى أزواجهم وأولادهم



أن يدعوهم • فلما أتوه بعد ذلك رأوا الناس قد فقهوا في الدين فهموا  
أن يعاقبواهم فنزلت الآيات •

والنص القرآني أشمل من الحادث الجزئي وأبعد مدى ، والتنبيه  
الى أن من الأزواج والأولاد من يكون عدواً يثير الى حقيقة عميقة في  
الحياة البشرية وملابساتها ، ويمس صلات متشابكة في التركيب  
العاطفي • وكل من يحول بينك وبين تحصيل الخير والفضل يكون عدواً •  
والعدو هو من لا يريد لك السلامة والفوز ، كالشيطان وهوى النفس •  
فالأولاد والأزواج قد يكونون مشغلة وملهاة عن ذكر الله ، ودافعا  
للتقصير في تبعات الايمان خشية المتاعب والتضحيات كمن يجاهد في  
سبيل الله أو يضرب في الأرض ساعيا على رزقه • ومنهم من يكون  
على نزع مع الموالدين والأقارب ، ويبخل الرجل أو يجبن ، فيقع العقوق  
وتترك الحقوق • وقد يكونون من تاركى الصلاة والعبادة ويخضع  
الزوج ويستسلم ، قد يكونون منغمسين في التبرج وفتنة هذا المجتمع  
الذي لا يحكى ايماننا •

انهم بذلك كله ليسوا عوناً على طاعة الله وانما العكس أى أعداء ،  
لما يقع من المسؤولية عنهم وعن المجتمع لأنهم ألحقوا بالآباء والأزواج  
الضرر وترك الواجبات ، ولأن الولاية عليهم أمانة ومسئولية • فكلكم  
راع وكلكم مسئول عن رعيته •

ان النساء حتى الفقيات وطالبات العلم — الا من هدى الله —  
أخرجن الرجال بثيابهن التي لا يكاد يثوب معها أحد الى رشده من تركهن  
الاسلام الى مدنية السفور والاثارة وابرار مفاتن الجسم • ان هذه  
المدنية المزعومة دعوة الى الرذيلة تعادى الفطرة وتقتضى الدين •

ان هذه الفتنة في الأزواج والأولاد تجر الى الاثم فتكون بمثابة العدو . والتحذير من الله لاثارة اليقظة في قلوب الذين آمنوا حتى لا تضغط عليهم هذه المؤثرات . ثم يكرر سبحانه التحذير في صورة أخرى أنهم فتنة بمعنى أن الله يختبركم بالأموال والأولاد والأزواج . أليست العاطفة الكاذبة وحب الهوى بالفتنة فيهم تثمر المخالفة والمعصية أليس مالك هو الذي يشتري به ثوب التبرج والزينة في معرض الأزياء الفاضحة . فالله يحذر من كل هذا ويأمرنا أن نقوم أنفسنا ومجتمعنا بالحق والفضيلة والتفاهم والتناصح حتى لا نبعد عن طريقه ومرضاته والنجاة عنده يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم .

والآيات التي مرت بك هي تمهيد ومدخل للآداب الايمانية من سورة النور في قوله تعالى ( قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون . وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها . وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبناءهن أو أخواتهن أو بنى أخواتهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن . وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ) انه الخلق الكريم وما يجب أن يتحلى به المؤمن والمؤمنة على سواء ايماننا واذعاننا ورغبة في الحياة الفاضلة في الدنيا ومرضاة الله ونعيم الآخرة . أمر واضح من الله تعالى للمؤمنين أن يغضوا من أبصارهم عما حرم الله عليهم . فلا ينظروا الا الى ما أحل لهم النظر اليه . وأن يغمضوا عن المحارم فان اتفق أن وقع البصر من غير قصد فليصرف بصره سريعا . لما روى مسلم أنه سئل صلى الله عليه وسلم

عن نظر الفجأة ( فأمرنى أن أصرف بصرى ) والترمذى ( لا تتبع النظرة  
النظرة فان لك الأولى وليس لك الآخرة ) والبخارى ومسلم ( زنى العينين  
النظر • الحديث ) ومن رواية أخرى ( كل عين باكية يوم القيامة الا عينا  
غضت عن محارم الله ) • وأحمد ( ان النظرة سهم مسموم من سهام  
ابليس من تركها لخافتى أبدلته ايمانا يجد حلاوته فى قلبه ) ويروى  
البخارى ( من يكفل لى ما بين لحييه وما بين رجليه أكفل له الجنة ) وكل  
هذا من مراقبة الله وخشيته وهو على المرأة المؤمنة كما على المؤمن •  
وأمر منظمة لحياتها أنزلها الله يخاطبهن بها تشريفا وتكريما ولقضى  
الايمان والصبغة به •

ولا يبيدين زينتهن الا ما ظهر منها • وقد روى عن ابن مسعود  
وابن عباس رضى الله عنهم أن ذلك هو الرداء والوجه والكفان •  
ورداء المؤمنة له مواصفاته اذا كان للطريق ويعرف بالجلباب وجاء ذكره  
صريحا فى آية سورة الأحزاب ( ياأيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء  
المؤمنين يدينن عليهن من جلابييهن • ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين )  
وعلى لسان النبى صلى الله عليه وسلم فى خروجهن لصلاة العيد  
( لتلبسها أختها من جلابابها ) •

والجلباب يكون سابغا ساترا غمضا غير محدد الخصر والوسط  
ولا بحزام فيبرز الصدر والأرداف ويصف بدنها ، ولا يكون من قطعتين  
بحال • ويحرم تماما أن تلبس المرأة لباس الرجل من « البنطلون »  
وما ترتب عليه من تحد وخذش لكل خلق • وقد روى البخارى ( لعن  
الله الرجل يلبس لبسة المرأة ، والمرأة تلبس لبسة الرجل ) ومسلم  
( صنفان من أهل النار لم أرهما • • • • ونساء كاسيات عاريات مائلات

• مميلات على رءوسهن كأسنمة البخت المائلة • لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وان ريحها ليوجد من مسيرة كذا ) •

وليضربن بخمرهن على جيوبهن • جمع خمار وهو غطاء الرأس مع العنق والصدر • ديننا وايماننا لأمر الله الذى فرض ذلك على المؤمنات • انها صورة المؤمنة المستترة التى عرفت الفضيلة والعفة والحياء • ترضى بذلك ربها وتحترم دينها وتصون عرضها أن يחדش أو يؤذى من خائنة الأعين • بل وتفرض احترامها على المجتمع وتدخل فى زمرة المؤمنات •

يروى البخارى عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها فى ايجابية الايمان قالت « يرحم الله المهاجرات ونساء الأنصار ، لما نزل قوله تعالى ( وليضربن بخمرهن على جيوبهن ) وانقلب رجالهن اليهن يتلون ما أنزل الله اليهن ، يتلو الرجل على امرأته وابنته وأخته وكل ذى قرابته فما منهن امرأة الا اختمرت تصديقا وايماننا •

ولا يبيدين زينتهن الا لبعولتهن هى للزوج كاملة هناء وسعادة وسكنا ومودة وتكون بالبيت ، وما ذكر فى الآية من المحارم نسا فلا جناح عليها ان رأوها بثوب البيت أو بغير خمار عند دخولهم عليها ويحرم عليها غيرهم • ولفظة نساثن - أى المسلمات - ربما لأمر مرض أو عرس ونحوه • وغير المسلمات لا يجب مخالطتهن • وحتى المسلمات بأدب كريم • روى الشيخان قوله صلى الله عليه وسلم ( لا تبأثر المرأة المرأة تتعتها لزوجها كأنه ينظر اليها ) ورويا أيضا فى أمن البيت واذن الدخول لأنه مملكتها تتعم فيها بكل ضمانات الايمان والسلامة قوله صلى الله عليه وسلم ( اياكم والدخول على النساء • قيل أفرأيت الحموا؟ قال : الحموا الموت ) وهم الأقارب غير المذكورين فى الآية الكريمة •

ولا يضرين بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ) وقد تطور اليوم بالعطر ونحوه • تستعرض هي - غير المؤمنة - ويشم الرجال وتحركهم فيطمع الذى فى قلبه مرض • روى الترمذى ( كل عين زانية والمرأة اذا استعطرت فمرت بالمجلس فهى كذا ) وفى رواية ( استشرفها الشيطان ) أغراها وحبب اليها الفسوق والعصيان • أما أبو داود فيروى عن أبى هريرة رضى الله عنه : أنه لقي امرأة شم منها ريح طيب • فقال لها يا أمة الجبار : جئت من المسجد ؟ قالت نعم ( ليس فى حفلة وناد ونزهة وزمالة عمل ورفقة دراسة وصداقة عائلة ونحوه بل دور عبادة وذكر لله • وبالرغم من ذلك ما هو الحكم ) قال لها تطيبت ؟ قالت نعم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا يقبل الله صلاة امرأة تطيبت حتى ترجع فتغتسل غسلها من الجنابة » وقد سبق هذا الحكم أمره صلى الله عليه وسلم اليهن فى حديث مسلم ( اذا شهدت احدكن المسجد فلا تمس طيبا ) ومن رواية أبى داود ( وليخرجن تفلات ) أى بغير طيب ولا زينة •

ان هذه الآيات دعوة من الله للمؤمنين ليؤكدوا صدق ايمانهم وعزيمتهم لتستقيم حياتهم وينتظم مجتمعهم • والحياة اختبار وستتقضى حتما • وان الآخرة هى الموعد وهى دار القرار • ولن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم • يوم القيامة يفصل بينكم • فالسعيد الموفق من أثر آخرته وعائش دنياه فى مرضاة الله ، وبالله العون والتوفيق •

أحمد طه نصر

# الدعاء لله وحده بقتل أحمد بن نصر

ان سلامة العقيدة وصحتها يتوقف عليها مصير المسلم كله .  
ومن هنا كان التركيز على تصحيحها وتوضيحها هو الركن الأساسي  
في دعوة الأنبياء ومن سلك سبيلهم من المصلحين . وهو القاعدة التي  
قدمها رسول الله صلى الله عليه وسلم لصناديد قريش يوم جاءوا  
يفاضون عمه أبا طالب بغية اصلاح ما بينه وبينهم فقال لهم :  
نعم كلمة واحدة تعطوننيها تملكون بها العرب ، وتدين لكم بها العجم ،  
تقولون لا اله الا الله وتخلعون ما تعبدون من دونه . وكان مفهوم  
كلمة التوحيد من الوضوح في أذهان زعماء المشركين يومئذ بحيث لم  
يجدوا حاجة الى أى جدل في شأنه فرسول الله صلى الله عليه وسلم  
لا يقبل منهم الا التحرر الكامل من كل عبودية لغير الله . وهم لا يريدون  
الانسلاخ من تقاليد الشيوخ والآباء ولو كانوا لا يعقلون شيئا ولا  
يهتدون . ان التوحيد توجيه الولاء كله لله . فكما أنه الخلاق الرزاق  
وحده ، كذلك هو المنفرد بحق الطاعة والعبادة واسلام الوجه . وان  
ضراعة المؤمن لربه من أوجب أمور الايمان لما فيه من دوام الصلة به  
سبحانه وتعالى ، ولما يحمل من معانى الانابة والاختبات لجلال وجهه  
الكريم .

ان الدعاء سلاح المؤمن ، بل هو العبادة ، لما له من مكانة في  
رسوخ الايمان ، وحفاظا على الافادة من تكامل جوانبه والامام به  
بصورة توضيحية ، لنعرف ما يذخر به من معان عظيمة في جانب الصلة  
بالله رب العالمين . وتلك الغاية والمبتغى . وفي الكتاب الكريم كثير

من الآيات في فضل الدعاء واستجابته وآدابه وأحواله • وهى تشترط الاستقامة على أمر الله الذى له الخلق والأمر ، وعنده الخير وبيده الملك وهو على كل شىء قدير • من ذلك قوله تعالى ( وقال ربكم ادعونى أستجب لكم ) ٦٠ - غافر • وقوله ( واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون ) ١٨٦ البقرة • وقوله ( أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ) ٦٢ النمل • وهى توضح أن الدعاء سبيل الهداية والرشاد وطمأنينة وأمن الخائف والمعائذ والمضطر ، وتبشر الداعين والمستغفرين بجنات النعيم والرضوان والمغفرة والرحمة لأنهم آمنوا بأن لهم ربا كريم يغفر الذنوب فأنا ابوا اليه مخلصين •

وأما السنة فهى كثير أدعية من جوامع الكلم الطيب تبين واسع فضل الله العظيم الذى لا ينفد عطاؤه •

والدعاء ضرورة للمؤمن واقرار منه بكمال الله فى صفاته ، فيدعوه العبد بطلب العفو والمغفرة والرحمة لأنه سبحانه الغفور الرحيم • ويدعوه بطلب الرزق لأنه الرزاق • ويدعوه بالعافية وتيسير الأمور والتوفيق لأنه المنعم المتفضل الذى بيده ملكوت كل شىء الغنى الحميد • منها حديث مسلم يجمع بين خيرى الدنيا والآخرة ( اللهم اغفر لى وارحمنى واهدنى وعافنى وارزقنى ) وحديث أبى داود اعتراف بالفضل وواجب الشكر ( من قال حين يصبح - وحين يمسى - اللهم ما أصبح بى من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر ) أما البخارى فيروى سيد الاستغفار عنه صلى الله عليه وسلم ( اللهم أنت ربى لا اله الا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت • أعوذ بك من شر ما صنعت • أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبنى فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب الا أنت ) من قالها موقنا بها فمات دخل الجنة •

ولا تتقف فضائل الدعاء عند حد • ففي كل شأن من شؤون المسلم ذكر ودعاء واستعانة بالملك العظيم الذى اليه تصير الأمور • أما حالة الدعاء فحضور القلب وتيقن الاجابة وعدم التعجل وحسن الظن لحديث الترمذى ( ادعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه ) والحديث المتفق عليه ( يستجاب لأحدكم ما لم يعجل • يقول قد دعوت ربي فلم يستجب لى • فقيل ما الاستعجال ؟ قال يستحسر عند ذلك ويدع الدعاء ) بمعنى أنه يغفل عما يدخره الله له من الخير ، وأن لا يدعوا باثم أو قطيعة رحم لحديث الترمذى ( ما على الأرض مسلم يدعو الله تعالى بدعوة الا آتاه الله اياها أو صرف من السوء مثلها ما لم يدع باثم أو قطيعة رحم ) والبعد عن الحرام والباطل كله لحديث سعد رضى الله عنه ( أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة ) •

وقد شملت الآيات كثيرا من القواعد والقيود من ذلك قوله تعالى ( ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين • ولا تفسدوا فى الأرض بعد اصلاحها ، وادعوه خوفا وطمعا ، ان رحمة الله قريب من المحسنين ) ٥٦ - الأعراف • ارشاد منه سبحانه الى دعائه الذى هو صلاحهم فى دنياهم وأخراهم • وفى الصحيحين رفع الناس أصواتهم بالدعاء فقال صلى الله عليه وسلم ( أيها الناس اربعوا على أنفسكم فانكم لا تدعون أصم ولا غائبا • ان الذى تدعون سميع قريب وهو معكم ) يروى ابن جريج عن ابن عباس رضى الله عنهما فى الآية قال : فى السر • أما ابن جرير يقول : تضرعا وخفية أى تذلا واستكانة لطاعته • وخفية بخشوع قلوبكم وصحة اليقين بوحدانيته وربوبيته فيما بينكم وبينه لا جهارا مرأاة • أما ابن المبارك فيقول : لقد كان المسلمون يجتهدون فى الدعاء وما يسمع لهم صوت • ان كان الا همسا بينهم وبين ربهم • ذلك أن الله ذكر نبيا صالحا رضى فعله فقال ( اذ نادى ربه نداء خفيا ) فالتضرع أنسب وأليق فى مناجاة الله • والخفية أفضل لأنه أمر بين العبد وربّه بلا وسيط • وهو مخ العبادة وروحها • انه لا يجب



المعتدين • والاعتداء كثير • منه المظالم فى الأموال والدماء والأعراض،  
والعقوق للوالدين والأرحام وترك الفرائض • وشر أنواع الاعتداء  
فى الدعاء التوجه فيه الى غير الله ، ولو ليشفع عنده ، لأن الله قريب  
مجيب • والمسلم هو من يدعوه تعالى وحده ، ولا يدعو معه غيره  
(فلا تدعوا مع الله أحدا) ١٨ - الجن • ومن دعا غير الله فيما يعجز  
هو وأمثاله عنه - من شفاء وسلامة ونصر وحفظ وغيره - فقد اتخذ  
الها ، لأن الاله هو المعبود الذى يقصد ويرجى • وما من اله الا الله •  
قال تعالى ( قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر  
عنكم ولا تحويلا ) ٥٦ - الاسراء • وقال ( ولا تدع من دون الله مالا  
ينفك ولا يضرك • فان فعلت فانك اذا من الظالمين ) ١٠٦ - يونس •  
وقوله ( ذلكم الله ربكم له الملك • والذين تدعون من دونه ما يملكون  
من قطمير • ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا  
لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم • ولا ينبئك مثل خبير ) ١٤ - فاطر •

نعم ان طلب الدعاء من المؤمن مشروع من الأحياء دون الأموات  
الذين لا يملكون ، وتوقف سعيهم ، ولا يسمعون ولا يجيبون ، ويوم  
القيامة يتبرعون • أما الله فهو الحى القيوم مدبر الأمر • وآية كريمة  
يقول عنها قتادة انها خصومة علمها الله محمدا صلى الله عليه وسلم  
وأصحابه يخاصمون بها أهل الباطل والضلالة ، لأن دعاء غير الله تعالى  
تحول وارتداد عن دعاء القادر الى دعاء العاجز هى قوله ( قل أندعو  
من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد اذ هادانا  
الله - الى قوله وأمرنا لنسلم لرب العالمين ) ٧١ - الأنعام • وأعاد  
الدعاء فى آية الأعراف بشرط آخر بعد أن وسط بينهما النهى عن  
الفساد للايذان بأن من لا يعرف العبودية والاستقامة على أمر الله  
فانه أقرب الى الافساد بعيد عن رحمة الله التى هى قريب من المحسنين •  
الذين يحسنون التوجه الى الله ويحسنون العمل فى الحياة خوفا مما  
عنده من ويل العقاب للمسيئين ، وطمعا فيما عنده من جزيل الثواب

نزلا للمؤمنين • وآية تركز على هذا الاخلاص هي قوله تعالى ( واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول ) ٢٠٥ - الأعراف • حالة لا تخدش الخشوع ولا تناقض الضراعة والعبودية - صوت خفيض - يستثنى من ذلك قنوت الامام في الصلاة وغيرها •

ويسن رفع اليدين لحديث أبى داود قوله صلى الله عليه وسلم ( سلوا الله ببطن أكفكم ولا تسألوه بظهورها فاذا فرغتم فامسحوا بها وجوهكم ) وحديث أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها عند البخارى أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا أوى الى فراشه كل ليلة جمع كفيه ونفخ فيهما ثم قرأ قل هو الله أحد والمعوذتين ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده • يبدأ بهما على رأسه ووجهه ( يفعل ذلك ثلاثا ، مع الالاح فيه •

ويجب استفتاح الدعاء بحمد الله والثناء عليه ثم يختم بالصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم لحديث أصحاب السنن عن غزالة رضى الله عنه قال سمع النبى صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو فى صلاته ولم يصل على النبى فقال : عجل هذا • ثم دعاه فقال : اذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه ثم ليصل على النبى صلى الله عليه وسلم ثم ليدع بعد بما شاء ) وأيضا يختم بآمين منفردا وجماعة لحديث أبى داود ( خرجنا مع النبى صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فأتينا على رجل قد ألح فى المسألة فوقف النبى يسمع منه فقال : أوجب ان ختم ففعل بآى شىء ؟ قال : آمين • وانصرف فقيل للرجل يا فلان قل آمين وأبشر ) •

وبما أن المؤمن دائم الصلة بربه ، فان هناك أوقاتا تكون أدعى للجاجة ، لما لها من أهمية ليحرص عليها • منها : عند النداء لحديث

جابر بن عبد الله رضى الله عنهما عند البخارى • وبين الأذان والاقامة  
لحديث أنس رضى الله عنه عند أبى داود قوله صلى الله عليه وسلم  
( لا يرد الدعاء بين الأذان والاقامة • قيل ماذا نقول ؟ قال : سلوا  
الله العافية فى الدنيا والآخرة ) وفى السجود لما روى مسلم ( أقرب  
ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثرُوا الدعاء فقمْن أن يستجاب  
لكم ) وفى جوف الليل وبعد الصلوات ، لحديث الترمذى ( قيل للنبي  
صلى الله عليه وسلم أى الدعاء أسمع ؟ قال : جوف الليل الأخير ودبر  
الصلوات المكتوبات ) وحديث البخارى ( ينزل ربنا الى سماء الدنيا  
حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : من يدعونى فأستجيب له • من  
يسألنى فأعطيه • من يستغفرنى فأغفر له ) يتضمن هذا وأكثر منه  
قوله تعالى ( تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا )  
١٦ - السجدة • وعند نزول المطر والحرب ودعوة المظلوم وعند افطار  
النائم ، والمضطر والساعة التى فى يوم الجمعة حيث لا يوافقها مسلم  
يسأل الله خيرا الا أعطاه اياه • ولعل هذه الظروف مما يجعل المسلم  
حريصا فى صلته بربه دوما صباحا ومساء وما بينهما ، امتثالا لهداية  
الله فى مثل قوله ( فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها  
ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى ) ١٣٠ - طه •  
والدين شمول للخير ، من ذلك دعوتك لأخيك لحديث مسلم أنه صلى  
الله عليه وسلم قال ( دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة •  
عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به آمين  
ولك بمثله ) •

ومن ثمارها صفاء النفس وتركيبه القلب واخلاص العبودية  
ومعرفة اللجأ والافتقار الى الغنى الحميد ، وتحقيقا لوعد الله بالسلامة  
بيوم القيامة للمؤمنين مئة منه لقوله تعالى ( فمن الله علينا ووقانا عذاب  
السموم • انا كنا من قبل ندعوه ، انه هو البر الرحيم ) ٢٨ - الطور •

وبعدا عن قوم ذمهم الله حيث ابتلاهم بالمصائب والشدائد « فما استكانوا لربهم وما يتضرعون » ٧٦ - المؤمنون ، أى فما ردهم الابتلاء عما كانوا فيه من المخالفة بل استمروا على ضلالهم ، ما خشعوا وما دعوا ربهم ، ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون .

وأجمل سؤال ما كان بأسماء الله الحسنى ، وما كان من فضله ، وما كان برحمته الواسعة ، لقوله تعالى ( واسألوا الله من فضله ) ٣٢ - النساء . وقوله ( ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ) ١٨٠ - الأعراف . روى الامام احمد عن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ما أصاب أحد قط هم ولا حزن فقال اللهم أنى عبدك ابن عبدك ابن أمتك ناصيتى بيدك ماض فى حكمك عدل فى قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته فى كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبى ونور صدرى وجلاء حزنى وذهاب همى الا أذهب الله حزنه وهمه وأبدله مكانه فرحا . فقيل أفلا نتعلمها ؟ فقال بلى ينبغى لكل من سمعها أن يتعلمها ) وكما دعا صلى الله عليه وسلم يوم الطائف (ياحى ياقيوم يا بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام برحمتك أستغيث فأغثنى ) وفى الكتاب الكريم نماذج من دعوات الأنبياء وهم أئمة الهدى فبهدهم اقتده . ان الدعاء قوة يتزود بها المؤمن حتى يمضى الى صلاح دينه ودنياه وآخرته . اللهم آتتنا من لدنك رحمة وهى لنا من أمرنا رشدا . وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله أجمعين . آمين .

أحمد طه نصر

# معركة سرية النذر

## بقلم الدكتور محمد

روى الشيخان وأبو داود والنسائي وابن ماجه عن عبد الله ابن عمر رضى الله عنهما قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النذر . قال ؛ « انه لا يرد شيئا . وانما يستخرج به من البخيل » وعند البخارى « انه لا يأتى بخير » والنذر شرعا أن يلزم الانسان نفسه بقربة لم تكن واجبة عليه بأصل الشرع ، كقولك لله على نذر أن أتصدق بعشرة جنهات ، أو بصيام ثلاثة أيام . ولا نذر الا فى طاعة الله عز وجل . فان نذر فى معصية فلا ينعقد نذره ، ولا يحل له أن يفعل ما نذر من المعاصى .

والنهى عن النذر فى الحديث هو تأكيد لأمره ، وتحذير عن التهاون به بعد ايجابه . ولو كان معناه الزجر عنه حتى لا يفعل كان فى ذلك ابطال حكمه ، واسقاط لزومه وعدم الوفاء به ، اذ يصير بالنهى معصية فلا يلزم . وانما وجه الحديث أنه قد أعلمهم أن ذلك الأمر لا يجبر اليهم فى العاجل نفعا ، ولا يصرف عنهم ضررا ، ولا يغير قضاء . فقال : لا تنذروا على أنكم تدركون بالنذر شيئا لم يقدر الله لكم ، أو تصرفون به عنكم ما قدره عليكم فاذا أنذرتم فاخرجوا بالوفاء . فان الذى نذرتموه لازم لكم . وقد بين ذلك الكتاب الكريم وحث على الوفاء به . فقال سبحانه « يوفون بالنذر » وقال « أو نذرتم من نذر فان الله يعلمه » وقد روى الطبرى عن قتادة فى الآية الأولى : كانوا يندرون طاعة الله تعالى من صلاة وصيام وصدقة وحج وما افترض عليهم . كما جاء فى حديث عمر رضى الله عنه عند البخارى

حينما استفتى النبي صلى الله عليه وسلم عن نذره باعتكاف ليلة بالمسجد الحرام • فأمره بالوفاء ولذلك سماهم الله أبرارا وهذا صريح في أن الثناء وقع في غير نذر المجازاة ، وهو المعلق على شرط كقولهم ان نجحت فعلى كذا •

وقال القرطبي : يحمل ما ورد في الأحاديث من النهي على نذر المجازاة ، والتعبير بالبخیل في الحديث ، وهو من تكاسل عن الطاعة كقوله صلى الله عليه وسلم من حديث النسائي « البخیل من ذكرت عنده فلم يصل على » وخاصة اذا كان النذر بالمال • فان اخراج المال في القرب طاعة • والبخیل يحرص على المال • فلا يخرجها الا في نحو المجازاة • ولا تتيسر طاعته المالية الا بمثل ذلك أو ما لا بد له منه كالزكاة • فلو لم يلزمه الوفاء لاستمر على بخله ، ولم يتم الاستخراج المذكور ، وهو طعمة أو نفقة في صالح المحتاجين •

ويمكن تقسيم النذر الى مباح ، ومنهى عنه • أو نذر الطاعة ونذر المعصية • وأن أساس العبادة ومنها النذر أن يبتغى بها وجه الله تعالى ومرضاته وشكر نعمه • والعبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة • والنذر من ذلك ، على أساس قوله صلى الله عليه وسلم في حديث البخارى وغيره عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها « من نذر أن يطع الله فليطعه • ومن نذر أن يعصه فلا يعصه » وما رواه البخارى وأبو داود عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : بينما النبي صلى الله عليه وسلم يخطب اذ هو برجل قائم فسأل عنه فقالوا أبو فلان ، نذر أن يقوم في الشمس ولا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم وأن يصوم • فقال صلى الله عليه وسلم ( مروه فليتكلم وليستظل وليقعد وليتم صومه ) وعند أحمد وأبى داود قوله ( لا نذر الا فيما ابتغى به وجه الله تعالى ) وفي رواية أحمد ( ليس هذا نذرا ، انما النذر ما ابتغى به وجه الله ) ويترتب على ذلك كفارة ، لحديث أحمد ومسلم ( كفارة النذر كفارة

يمين ) وحديث ابن عباس عند أحمد وأبي داود قال : جاءت امرأة الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله : ان أختي نذرت أن تحج ماشية فقال : ان الله لا يصنع بشقاء أختك شيئا • لتخرج راكبة ولتكفر عن يمينها ) وآية سورة الحج « يأتوك رجالا » لا تعنى هذه المشقة من المسافات البعيدة • وانما ربما قصدت من كان قريبا ولا يتيسر له غير ذلك ، اقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم فانه حج راكبا مع كمال قوته وقدوته •

وأما النذر الحرام ، والمنهى عنه المخالف لقوله تعالى « قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له » ولما روى أحمد وابن ماجه وأبو داود : أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم : انى نذرت أن أنحر ببوانة • قال : هل كان فيها عيد من أعياد الجاهلية — الموالد — ؟ قالوا : لا • فقال هل كان فيها وثن يعبد ؟ قالوا : لا • فقال صلى الله عليه وسلم : أوف بنذرك ، فانه لا وفاء لنذر فى معصية الله ، ولا فيما لا يملك ابن آدم ) وفى الحديث دليل على أنه يجب الوفاء بالنذر فى المكان المعين ، اذا لم يكن فى التعيين معصية ولا مفسدة من اعتقاد وتعظيم جاهلى مما يشاهد فى الموالد وحول الأضرحة • والوثن يطلق على كل ما يرمز به الى تقديس جاهلى لما جاء فى حديث عدى بن حاتم : قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم وفى عنقى صليب من ذهب فقال « ألق هذا الوثن عنك » • وسؤال النبي صلى الله عليه وسلم عن أعيادهم وأوثانهم تأكيد بأنه لا يحل فعل شيء عندها • بل يترتب عليه الخروج من دائرة التوحيد لما ورد عنه صلى الله عليه وسلم من حديث مسلم ( لعن الله من ذبح لغير الله ) ومن آية سورة المائدة ( وما ذبح على النصب ) وتضافرت الآيات من سورة البقرة والمائدة والأنعام والنحل على تحريم ( ما أهل به لغير الله ) وفى توضيح معنى النصب التى هى رجس من عمل الشيطان • كتص الآية ( والأنصاب والأزلام رجس من عمل

الشیطان فاجتنبوه لعلمكم تفلحون ) - المائدة ذكر ابن اسحاق عن  
الأعشى هذا البيت .

وذا النصب للنصب لا تأتینه ولا تعبد الأوثان والله فاعبد

وذكر ابن كثير عن مجاهد وابن جريح : كانت النصب حول البيت  
وكانت العرب في جاهليتها يذبحون عندها . فنهى الله المؤمنین عن هذا  
الصنيع ، وحرم عليهم أكل هذه الذبائح التي فعلت عند النصب حتى  
ولو كان يذكر عليها اسم الله في الذبح ، لأن هذا الصنيع أى الذبح  
عند النصب من الشرك الذى حرمه الله ورسوله وقد تقدم قوله تعالى  
( وما أهل لغير الله به ) ويقول الامام محمد عبده عن الآية هو ما يذبح  
ويقدم للنصاب - من المقاصير والتراكيب - مما يعبد بمعنى يقصد  
وتلتمس بركته المزعومة .

والمنع فى الآية دينى محض لحماية التوحيد فكل من أهل ونذر  
وذبح لغير الله فانه بذلك يتقرب بنذره الى من قصده . والتقرب  
عبادة وهى من حق الله وحده . وهذا العمل المنهى عنه اشراك واعتماد  
على غير الله تعالى . ومنه ما يجرى حول الأضرحة وفى الموالد من  
قولهم عند الذبح بسم الله - ويا سيدهم فلان - ليلتفت اليهم  
ويتقبل نذرهم ويقضى حاجتهم ، وكيفما توهموا أو أولوا فهو محرم  
عمله ومحرم أكله . اذ لا يجوز أن يتقرب أو يقصد أو يذكر عند  
الذبح غير اسم الله وحده ، المنعم بالبهجة ، والآذن بذبحها . فهى  
تؤكل حلالا طيبا باسمه لا يشاركه فى ذلك كله سواه ، ولا يتقرب بها  
الى من عداه ممن لم يخلق ولم ينعم ولا يملك من ذلك شيئا . «ويجعلون  
لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم تالاه لتسألن عما كنتم تفترون »  
٥٦ النحل .

فيعلم من النصوص أن ما ذبح على النصب وهى التراكيب التى  
تنصب باسم أوليائهم هو من جنس ما أهل به لغير الله ، ووضع صناديق  
النذور حول أضرحة الموتى ، وتقديمها وقسمتها وأخذها عمل غير اسلامى



حرمه الشارع الحكيم ولعن فاعله • وتهافت مشايخ البدعة والتصوف وترويجهم لها لا يعبر عن شرعيتها بحال • وقد أوضح صلى الله عليه وسلم ذلك من حديث أحمد عن الرجلين اللذين قيل لهما قريبا شيئا لهذه النصب فقال أحدهما ليس عندي شيء أقرب • قالوا له قرب ولو ذبابا فقرب ذبابا فخلوا سبيله فدخل النار • وقالوا للأخر قرب • فقال : ما كنت لأقرب لأحد دون الله عز وجل شيئا • فضربوا عنقه فدخل الجنة ) •

ونعود الى السنة الهادية التي توضح قواعد طيبة منها : من نذر في جاهليته ثم أسلم — وهو من يعيش منتسبا الى الاسلام بغير عمل ولا عبادة ولا التزام ثم هداه الله فاستجاب واستقام على أمره — يفى بنذره متى أسلم • لحديث عمر رضى الله عنه قال : نذرت نذرا في الجاهلية فسألت النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما أسلمت فأمرني أن أوفى بنذري ) ، من نذر الصدقة بماله كله يجزئه الثلث فقط لحديث كعب بن مالك رضى الله عنه المتفق عليه ( أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم : ان من توبتى أن أنخلع من مالى صدقة الى الله عز وجل • فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك ) وفي رواية : أن أخرج من مالى كله صدقة ؟ قال النبي : لا • قلت فنصفه ؟ قال لا • قلت فثلثه ؟ قال نعم ) •

ومن نذر الصلاة في المسجد الأقصى أجزاء الصلاة بالمسجد الحرام أو مسجد المدينة لما روى أحمد وغيرهما عن أم المؤمنين السيدة ميمونة رضى الله عنها أنها أمرت امرأة نذرت أن تصلى بالمسجد الأقصى أن تصلى بمسجد المدينة لما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : ( صلاة فيه أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد الا مسجد الكعبة ) وحديث جابر رضى الله عنه عند أحمد وأبى داود أن رجلا قال يوم الفتح للنبي صلى الله عليه وسلم انى نذرت ان فتح الله عليك مكة أن أصلى في بيت المقدس • فقال صلى الله عليه وسلم : صل ها هنا • فسأله فقال صل ها هنا • وثالثة فسأله • فقال شأنك اذا ،

ثم قال : والذي بعث محمدا بالحق لو صليت ها هنا لفضى عنك ذلك كل صلاة في بيت المقدس •

ومن مات وعليه نذر من صوم وحج وصدقة أداه عنه وليه •  
كما ورد في حديث العباس عند أحمد والنسائي وأبي داود أن امرأة قالت للنبي صلى الله عليه وسلم أن أمى ماتت وعليها صوم نذر أفأصوم عنها قال : صومى عن أمك ( وحديث أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها المتفق عليه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ( من مات وعليه صيام صام عنه وليه ) وحديث بريدة قال بينما أنا جالس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أتته امرأة فقالت انى تصدقت على أمى بجارية وانها ماتت • فقال صلى الله عليه وسلم وجب أجرك وردها عليك الميراث • قالت : انه كان عليها صوم شهر أفأصوم عنها ؟ قال : صومى عنها • فقالت انها لم تحج قط أفحج عنها ؟ قال حجى عنها ) رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذى • ومن الأئمة من قال : صام عنه وليه : أى فعل عنه ما يقوم مقام الصوم وهو الاطعام • وليس فى السنة ما يدل على أن حكم الصوم كحكمه فى سائر الأمور • وفى الحج أيضا بشرطية أن يكون سبق له الحج عن نفسه • فقد روى أهل السنن عن ابن عباس رضى الله عنهما أن امرأة من خثعم قالت للنبي صلى الله عليه وسلم ان أبى أدركته فريضة الله فى الحج شيخا كبيرا لا يستطيع أن يستوى على ظهر بعيره قال : فحجى عنه « وقوله صلى الله عليه وسلم لشبرمة : أحججت عن نفسك ؟ وأيضا ما رواه الشافعى رحمه الله تعالى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال : ان أبى مات وعليه حجة الاسلام أفأحج عنه ؟ قال : نعم ( وفقنا الله لطاعته والوفاء بعهده والعمل بما يحبه ويرضاه وأن يختم لنا جميعا بخاتمة الايمان •

أحمد طه نصر

# سُرُوعِيَّةُ زِيَارَةِ الْقُبُورِ

## بقلم: أحمد طاهر

من حقيقة الايمان وعقيدة المسلم أن الدار الآخرة حق ، وأن الساعة لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور . والناس جميعا راجعون الى ربهم بعد موتهم ليوفيهم أعمالهم ، ولتجزى كل نفس ما كسبت « انه يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط . والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون » ٤ يونس « واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون » ٢٨١ البقرة .

وإذا كانت الآخرة حقا فان اغفالها من حياة وسلوك الانسان ضلال وخسران مبين . والناس يعملون للدنيا بوحى غرائزهم . بل ان عملهم للدنيا يستولى على ألبابهم ، ويستغرق أوقاتهم . فالمنتظر من الدين والحالة هذه أن يندثر بالآخرة ، وأن يسوق من صور الوعد والوعيد ما يغزو القلوب بالرغبة والرغبة . وليس يفهم أبدا من الحديث عن الآخرة ثل الأيدي التي تعمل للحياة وعمارة الدنيا والاصلاح فيها . ولكن الحق أوضحه الكتاب فقال « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا » ٧٧ القصص . وآيات القرآن الكريم تلفت أنظار المؤمنين دائما الى هذه الحقيقة وتركز على الايمان بالآخرة لأنه يرقق القلوب ويفجر العواطف بالخير ويأخذ بنفس المؤمن الى طريق الحق والاستقامة . بل ويحفزها الى المسارعة الى مرضاة الله وجنة عرضها السموات والأرض . كما أن الكفر بالآخرة والغفلة

عنها ، أو الاستهانة بأمرها وعظم شأنها يولد القسوة والاعتداء واشباع  
 الغرائز في أودية الشهوات والركون الى متع الدنيا والانغماس في  
 في لهوها وباطلها • وتتمكن هذه الغفلة حتى تودي بصاحبها الى الهلاك  
 والحسران « بل يريد الانسان ليفجر أمامه يسأل أيان يوم القيامة »  
 ٥ - ٦ القيامة « يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت  
 من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله  
 رءوف بالعباد » ٣٠ آل عمران « ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا  
 بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون • أولئك  
 مأواهم النار بما كانوا يكسبون » ٧ - ٨ يونس • والانسان في زحمة  
 الحياة قد ينسى نهايتها بالموت - وهو حتم لا يرد - وفي غمرة العمل  
 قد يغفل عن لقاء ربه والمثول بين يديه للحساب والجزاء ، وذكر الموت  
 يخفف من بريق الدنيا ويقلل من اندفاع الناس في طريق المادة -  
 والمادة وحدها - حتى لا يكون الانسان عبدا لمرغباته • ان ذكر الموت  
 يرد الى النفس المؤمنة صوابها فتبتغي الدار الآخرة ، وتعيش حياتها  
 في مرضاة الله وهدية على صراط مستقيم « أمن هو قانت آناء الليل  
 ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه • قل هل يستوى الذين  
 يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر أولو الألباب » ٩ الزمر •

لهذا أرشد النبي صلى الله عليه وسلم الى مواطن العبرة التي  
 تحرك القلوب الى خشية الله عز وجل ، وتشد المؤمنين الى ما وراء هذه  
 الدنيا لترى الآخرة وكأنها تعيش فيها • انه صلى الله عليه وسلم يدعونا  
 انى زيارة القبور ، لتذكر المصير • فقد روى مسلم والترمذى عن بريدة  
 الأسلمى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تذكر الآخرة » وأمرنا  
 بأعمال وسنن كثيرة من تشييع الجنائز والصلاة على الموتى والدعاء لهم  
 والقيام على قبورهم ضراعة الى الله أن يثبتهم عند المسألة ويرحمهم

ويغفر لهم ويجعلهم من الناجين من عذاب وفتنة القبر • وقد أرشدنا صلى الله عليه وسلم أنه لا ينجى هناك وينور هذه القبور ويجعل منها روضة من رياض الجنة وأنيسا في هذه الوحشة الا الايمان بالله وانعمل الصالح وعفوه سبحانه أولا وآخرا • الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى •

والنهي الذى فى الحديث كان فى فجر الدعوة الاسلامية نهيا عاما والحكمة فى ذلك واضحة وهى تجريد التوحيد والايمان من كل خرافة ووثنية ، حتى لا يختلط الدين بالعادات والتقاليد البالية الجاهلة • وذلك أن منشأ الشرك وعبادة الموتى والأصنام وتقديسها كان من جهة القبور وتعظيم أصحابها • وكان أول ذلك فى قوم نوح عليه السلام • لما روى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما تفسيراً لقوله تعالى « وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا » قال هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان الى قومهم أن انصبوا الى مجالسهم التى كانوا يجلسون فيها أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا ولم تعبد • حتى اذا هلك أولئك ونسى العلم عبدت •

وقد عادت هذه الجاهلية اليوم وفتن بها الكثيرون ممن ينتسب الى الاسلام • بل وتروج لها الصوفية الدخيلة ، وسكت بعض العلماء وأعمتهم حصيلة النذور وقرابين الأعياد الجاهلية فاتخذوا القبور مساجد والأضرحة معابد • والاسلام براء من هذه الشرك •

من أجل ذلك نهى صلى الله عليه وسلم أصحابه رضوان الله عليهم فى صدر الاسلام عن زيارة القبور سدا لذريعة الشرك لكونهم حديثى عهد بجاهلية • ثم لما تمكن التوحيد — افراد الله بالعبودية واخلص الدين كله له — فى القلوب أذن لهم فى زيارتها ، وعلمهم كيف يزورونها

بفعله وقوله • فقد روى الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال  
« مر النبى صلى الله عليه وسلم بقبور المدينة فأقبل عليهم بوجهه فقال:  
« السلام عليكم يا أهل القبور يغفر الله لنا ولكم • أنتم سلفنا ونحن  
بالأثر » كما روى مسلم أنه صلى الله عليه وسلم أمرهم إذا خرجوا  
الى المقابر أن يقولوا « السلام عليكم يا أهل الديار من المسلمين  
والمؤمنين وأنا ان شاء الله بكم لاحقون • أنتم لنا سلف ، ونحن لكم  
تبع نسأل الله لنا ولكم العافية » وكان يزور قبور أصحابه للدعاء  
والاستغفار لهم والترحم عليهم • وهذا تشريع وقاعدة قرآنية «والذين  
جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان»  
١٠ الحشر « وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا » الاسراء « ربنا  
اغفرلى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب » ٤١ ابراهيم •

ومن هديه صلى الله عليه وسلم فى زيارة القبور أنها لا تهان  
بحيث توطأ ويجلس ويتكأ عليها • فقد روى مسلم قوله صلى الله عليه  
وسلم « لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه فتخلص الى  
جلده خير له من أن يجلس على قبر » كما أنه يحرم تعظيمها واتخاذ  
المساجد عليها والصلاة فيها لما روى مسلم من قوله صلى الله عليه  
وسلم « لا تصلوا الى القبور ولا تجلسوا عليها » أما دعاء الميت  
والاقسام على الله به وسؤاله الحوائج والطواف حول ضريحه والتمسح  
به وتقبييل أعتابه فهو اشراك وعبادة لغير الله • وخير الهدى هدى محمد  
صلى الله عليه وسلم • وقد روى أحمد وأبو داود والترمذى أنه صلى  
الله عليه وسلم قال « لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد  
والسرج » وروى الشيخان عدة روايات يحذر فيها صلى الله عليه وسلم  
من صنيع البطلين « أولئك قوم اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على  
قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله »  
« ألا وان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد • ألا فلا  
تتخذوا القبور مساجد انى أنهاكم عن ذلك » •

وخلاصة ذلك أن الاسلام لا يجمع بين مسجد وقبر • فالمساجد  
 لله ولله وحده « وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا » ١٨ الجن •  
 ويخطيء من يلحق بزيارة القبور أضرحة الموتى وهذه المقاصير ، لأنها  
 من النصب والأوثان ، وهي رجس من عمل الشيطان أمرنا الله باجتنابها  
 نسا في أكثر من آية « يأيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب  
 والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » ٩٠ المائدة •  
 وقوله تعالى « فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور •  
 حنفاء لله غير مشركين به » ٣٠ الحج • ولا وزن لرأى علماء البدعة ووثنية  
 الصوفية البغيضة وواقع الأمر الجاهلى بتلك المساجد الشهيرة واستغلال  
 بعض أسماء الصالحين من عباد الله وآل بيت النبي صلى الله عليه وسلم  
 فهم يبرعون من هذه العبادة • « وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم  
 قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك فألقوا اليهم  
 انكم لكاذبون • وألقوا الى الله يومئذ السلم وضل عنهم ما كانوا  
 يفترون » ٨٦ النحل • « ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول  
 أنتم أضللتم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا السبيل ؟ قالوا سبحانك ما كان  
 ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا  
 الذكر وكانوا قوما بورا • فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفا  
 ولا نصرا ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا » ١٩ الفرقان •

وما جاء في صدر الحديث عن النساء اذا اتخذن القبور ميادانا  
 لشهوتهن وعاداتهن فيتبرجن تبرج الجاهلية الأولى ويختلطن بالرجال  
 ويتخذن الزينة في مواطن الحزن والعبرة ويشتغلن بالزور والغيبة في  
 موضع الخشية •• كانت زيارتهن حراما حرمة شديدة • وعلى الأزواج  
 وذوى الغيرة على الدين والعرض مقاومة هذا المنكر • فان الله سائل  
 كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع حتى يسأل الرجل عن أهل بيته •  
 لقد قالت أمنا السيدة عائشة رضى الله عنها ذات يوم في مسجد الرسول

صلى الله عليه وسلم « لو رأى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ما صنعتن لمنعكن المساجد » فما بالك بما يصنعن حول القبور الآن من ضياع الفضيلة والندب والنياحة واهدار الأخلاق الكريمة وذهاب الحياء ؟ ان النبي الكريم صلى الله عليه وسلم أباح زيارة القبور للرجال لعلتين واضحتين : تذكر الآخرة ، والاستغفار للميت • فهل يتحقق هذان الهدفان في زيارة القبور ؟ نسأل الله الهداية والتوفيق وخاتمة الايمان •

**أحمد طه نصر**



# البر في الإسلام

بقلم  
احمد طه نصر

ان بناء الأمم يخضع لقواعد وأسس وحضارة أقامها الاسلام .  
وكما هو معلوم أن هذه القواعد والأسس متكاملة مترابطة القيم . وفي  
ذلك التكامل والترابط يكمن سر عظمة الاسلام وقدرته لاصلاح حياة  
البشرية — والمسلمين بخاصة — وعلاقاتهم . وآية في كتاب ربنا عز  
وجل تشمل من هذه القواعد أموراً يترتب عليها نجاح الأمة ونهضتها  
وعافيتها في ناحية العقيدة والدين والمال والمجتمع والأخلاق والثبات في  
الأمر والصدق في العمل . فيقول سبحانه « ليس البر أن تولوا وجوهكم  
قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة  
والكتاب والنبیین ، وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين  
وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة ،  
والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس  
أولئك الذين صدقوا ، وأولئك هم المتقون » ١٧٧ البقرة

وقد وردت كلمة البر في مواضع متعددة من القرآن العظيم . منها  
قوله تعالى « لن تتالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » ٩٢ آل عمران ،  
وقوله « وتعاونوا على البر والتقوى » ٢ المائدة ، وقوله « وتناجوا بالبر  
والتقوى » ٩ المجادلة ، ووصف الله عز وجل نفسه بأنه « البر الرحيم »  
ووصف الملائكة بأنهم « كرام بررة » ووصف العباد المتقين بأنهم أبرار  
« ان الابرار لفي نعيم » وجعل كتاب الأبرار في عليين ، في مقابل كتاب

الفجار في سجين • ومن هذا يتبين أن البر بالنسبة للعبد المؤمن هو جماع الخير الذي يشمل المعاني السامية والأخلاق الحسنة وما ينشأ عنهما من أعمال صالحة طيبة يتقرب بها الى ربه • وأما بالنسبة الى الله عز وجل فهو الانعام والثواب والرضا والمحبة الالهية •

وآية سورة البقرة هي أجمع الآيات في تحديد معنى البر في العقيدة وفي العمل ، وفي الخلق • فالبر في العقيدة بينته الآية وهو خمسة أمور الايمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبیین والايمن بالله تعالى يتضمن معرفة الله معرفة تملك العقل بالبرهان والنفس بالاذعان حتى يكون سبحانه ورسوله أحب الى المسلم من كل ما سواهما مع الثقة واليقين بأنه وحده المنفرد بالألوهية لجميع خلقه المدبر للأمر القاهر فوق عباده ، الذي لا تعنو الوجوه الا له ، ولا تتجه القلوب الا اليه • فيخلص له المؤمن دينه ومحبته ولا يفسد ذلك بالخرافة والأوهام • ان هذا الايمان بالله العظيم هو الذي يرفع النفوس الى مكانة التكريم والسمو التي أرادها الله لعباده • هو الذي يصون المرء من الذلة والاستكانة لشيء ما • هو الذي يعصمه من التورط والنزول • هو نبراس الهداية في جميع نواحي الحياة •

والايمن باليوم الآخر يوم الجزاء على الأعمال ، يوم المحاسبة على ما في القلوب والضمائر ، يوم النعيم الدائم أو الشقاء الدائم هو معنى يغرس في النفوس محبة الخير والحرص على اسداء المعروف وكراهة الشر ، وتجنب الأذى والافساد في الارض • وقد عنى القرآن العظيم عناية عظيمة بتقرير الايمان باليوم الآخر وأقام الحجج والبراهين وضرب له الامثال وأقسم عليه ، وسفه أحلام المنكرين له ومن وقوعه بعد أن تمزق الجسم كل ممزق وصار ترابا وعظاما «وقالوا أنذا كنا عظاما وورفاتا أننا لمبعوثون خلقا جديدا ؟ قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم • فسيقولون من يعيدنا ؟ قل الذي فطركم أول

مرة • فسينغضون اليك رعوسهم ويقولون متى هو ؟ قل عسى أن يكون  
قريبا • يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون ان لبثتم الا قليلا »  
٥٢ الاسراء •

ان الايمان بالله واليوم الآخر هو الحق ولا يتحقق البر الا به •  
كذلك العقل البشرى لا يعرف بنفسه مستلزماته من الواجبات والأحكام  
التشريعية لانه محدود ويحيط به الهوى وفتن الحياة • فلا بد أن يهدى  
من مصدر لا يحد علمه ولا ترقى اليه الأهواء منزه عن كل نقص وهو  
الله الذى لا يعزب عن علمه شئ فى الارض ولا فى السماء وهو الحكيم  
الخبير • واذن فلا بد من واسطة بين هذا المصدر وبين الخلق لمعرفة  
شرعه وواجب الايمان بالله واليوم الآخر • وهى تتكون من ثلاثة عناصر  
الأول فى الطرف الاعلى له بحسب تكوينه وخلقه استعداد يمكنه من  
التلقى عن الله وهم الملائكة والايمان بهم أصل الايمان بالوحى ، فيلزم  
من انكارهم انكار الوحى ، وهو يستلزم انكار النبوة وانكار الدار الآخرة  
وعنصر فى الطرف القريب من الناس وهو منهم بمقتضى بشريته وبه صلة  
بالملا الأعلى باصطفائه وهم الأنبياء يتصلون بالملائكة فيتلقون عنهم  
ما أمر الله به من أحكام وتشريعات • أما العنصر الثالث فهو نفس  
الرسالة والوحى • والتعبير عن ذلك فى الآية : « والملائكة والكتاب  
والنبيين » •

أما البر فى العمل فله شعب كثيرة ترجع كلها الى بذل النفس والمال  
ابتغاء مرضاة الله • والعمل الصالح هو مدد العقيدة وهو ثمرتها يحفظها  
وينميها ويدل عليها • وأعظم مظهر له هو الصلاة ، فهى عماد الدين ،  
وهى الفارق بين المؤمن وغير المؤمن • هى مناجاة العبد لربه ، والناحية عن  
الفحشاء والمنكر ، العاصمة من الهلع والجزع • يقف المرء بين يدى ربه  
وقد خلع نفسه من كل شئ استسلاما له سبحانه • أولها « الله أكبر »

الذى تخضع له الرقاب وتطمئن له القلوب ، وتبذل في سبيل مرضاته المهج والنفوس • فهي عهد بين العبد وربّه على اخلاص العبادة له والاستقامة على أمره ، بحيث لا يفقده في موضع يطلبه فيه ، ولا يراه حيث نهاه • أما الصلاة التي تخلص من هذه الروح واكتفى فيها بالكلمات والحركات فليست من البر في شيء بل ربما ردت على صاحبها •

وذكرت الآية بعد ذلك بذل المال في صورتين احدهما في قوله تعالى « وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب » والأخرى قوله تعالى « وآتى الزكاة » ويجب أن يفهم بمقتضى هذا الوضوح القرآنى - وفي كثير من الآيات - أن الزكاة شيء وأن ايتاء المال على حبه هؤلاء المذكورين شيء آخر يمكن أن نسميه المواساة الاسلامية الانسانية • وهو لا يندرج في الزكاة ولا تغنى عنه الزكاة • انه مد يد المعونة لذوى القربى وسد حاجة المحتاجين ودفع ضرورة المضطرين والقيام بمصالح المسلمين وهو العمل الذى يريده الله من عباده وهو أصل عظيم في تنظيم حياتهم الاجتماعية - من غير انتظار الحول والنصاب - وفي هذا تقليد لأظفار الشر واقتلاع لبذور الفساد والحقد والحسد • بعد ذلك تأتي فريضة الزكاة لتزيد من الخير وتدعم الروابط والعدالة والاحسان •

أما البر في الخلق فذكرته الآية في مبدئين : مبدأ القيام بالواجب المقدس وقد عبرت عنه الآية « والموفون بعهدهم اذا عاهدوا » ومبدأ مقاومة الطوارئ والتعاب على عقبات الحياة ، وقد عبرت عنه الآية « والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس » والعهد لفظ شامل يجمع كثيرا من الارتباطات والالتزامات لا غنى عنها للناس ، ولا استقامة للحياة بدونها وهي على كثرتها فان أعظمها وأولها العهد بين العبد وربّه

« اياك نعبد و اياك نستعين » « واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا و اطعنا » ٧ المائدة • و ياله من حنان و ارشاد منه سبحانه « ألم أعهد اليكم يا بنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين ، وأن اعبدونى هذا صراط مستقيم » ٦١ - يس • ثم يوصينا لعظم هذا العهد « وبعهد الله أوفوا ذلكم و صاكم به لعلمكم تذكرون » ١٥٢ الانعام • و من أوصاف أولى الألباب « الذين يوفون بعهد الله و لا ينقضون الميثاق » ٢٠ الرعد • يخلق سبحانه وحده ، ويرزق وينعم وحده ، حتى قيوم يدبر الأمر وحده ، نعمه غامرة وفضله عظيم ، ومع ذلك يعمى أكثر الناس و يغفلون و ينقضون العهد معه فمن عابد لوثن و نصب و عادات جاهلية ، و من عابد لشيخ و رأى و خرافة ، و من عابد لمدينة مزعومة فاجرة و متبع للذين كفروا و من عابد للمال و المادة و الأهواء و من عابد للشيطان تارك لدينه و عبادة ربه ، و تعس الجميع • فان جماع البر و السلامة و النجاة و الفوز فى الوفاء بعهد الله بعبادته وحده و افراده بكل الحب و الخوف و الرجاء و الأمل ، و اسلام الوجه و القصد اليه باستجابة أمره و اتباع رسوله صلى الله عليه وسلم الذى حمل هذا الخير و بلغ هذا البر •

ثم عهد بين الانسان وأخيه الانسان و بين مجتمعه الذى يعيش فيه وهو تكافل على الخير و الاصلاح أمانة و رقابة لله و خشية منه ، بحيث لا يهدم بعضهم بعضا ، و لا يضرب بعضهم فى نحور بعض • وهى تتمثل فيما يحدث بينهم من عقود و التزامات مالية و غير مالية و تحديد الحقوق و كلها يجب الوفاء بها مالم تكن فى معصية الله عز وجل ، أو تضييع حق ، أو الحاق أذى بفرد أو جماعة • وما أجمل نداء الايمان « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » ١ المائدة • وما أكرم اجابة النبى صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم عن النوانس رضى الله عنه قال : سألت رسول الله

عن البر والاثم فقال : « البر حسن الخلق • والاثم ماحك في صدرك  
وكرهت أن يطلع عليه الناس » •

أما مبدأ المقاومة فقد ذكرته الآية « والصابرين في البأساء والضراء  
وحين البأس » والصبر عدة النجاح في الحياة ، ومصدر جميع الفضائل  
الانسانية ، والسبيل الوحيد للتغلب على جميع الصعاب • وليس الصبر  
هو الخضوع والاستكانة من غير مقاومة ولا عمل ، وإنما الصبر جهاد  
وعمل ومحاولة مع الاحتفاظ برباطة الجأس ، والثقة بحسن العاقبة •  
وقد ذكر الله تعالى حالات ثلاث هي أبرز ما يظهر فيه هلع الهالعين  
وجزع الجازعين : البأساء والضراء وحين البأس • فالبأساء من البؤس  
وهو الشدة والفقر • والضراء ما يضر الانسان من مرض أو فقد محبوب  
أو مال أو أهل • والبأس اشتداد الحرب • وقد عنى القرآن بالحث على  
الصبر في المواطن كلها وقرنه بالصلاة وجعلها مستعان الانسان في المهمات  
والشدائد ، وملجأه عند النوازل لقوله تعالى « استعينوا بالصبر  
والصلاة » وجاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم أن الصبر نصف  
الايمان • وقد أنبأنا الله تعالى أنه مع الصابرين •

هذه هي عناصر البر في العقيدة والعمل والخلق • وهي دستور  
خلق متين ترقى به الامم الى أوج العزة والكرامة • وقد تحقق ذلك  
الفضل للرعييل الأول من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم  
باحسان رضوان الله عليهم • وقد ذكرت الآية بعد ذلك الصدق والتقوى  
في أصحابها المؤمنين بها العاملين عليها المحققين لثمارها « أولئك الذين  
صدقوا وأولئك هم المنتقون » •

وفقنا الله للعمل الصالح وجنبنا ما يبعدنا عن رضاه ومرضاته

أحمد طه نصر

# زوت الخلفاء الراشدين

بقلم العميد نصر

وهم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأصحاب العصر الذهبى للإسلام الذى حقق الخير والعز . وكونوا مجتمع الايمان والفضيلة . وصدقوا الله وجاهدوا فى سبيله . فكتب لهم النصر والمجد والدرجات العلى فى دار النعيم المقيم . وان تاريخهم وسيرتهم لتدعو المسلمين — بعد النبي صلى الله عليه وسلم — الى مزيد من الدراسة حتى نحسن المسيرة اتباعا لهم باحسان على صراط الله الذى له ملك السموات والأرض . وحتى يتحقق أملنا فى الله أن يجمعنا بهم فى مستقر رحمته . « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ، والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه ، وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم » التوبة ١٠٠

نعم ان الخلفاء الراشدين قد نشروا دين الله فى العالمين ، حتى علت كلمة الله عز وجل واتبع شرعه ، ونفذ حكمه . وأول هؤلاء الخلفاء أبو بكر رضى الله عنه وأرضاه . وهو من تعرفه قريش باسم عبد الله ابن أبى قحافة . من بنى تميم . وهم قسوم يعرف رجالهم بالأمانة والأدب . وعرف بعد الاسلام باسم عتيق لأنه اشتهر بشراء العبيد الذين عذبهم سادتهم لما دخلوا فى الاسلام . وسمى بالصديق لأنه أول من صدق الرسول صلى الله عليه وسلم حين أخبر عن أسرائه لتمنك اليقين فى قلبه . وكانت عبارته ( والله انى لأصدقته فيما هو أبعد من ذلك . أصدقته فى خير السماء ) .

وبنو تميم بيت شريف في قريش كان يخصه من جوانب الشرف ما كان يعرف بالأشناق — وهي تحمل الدييات والمغارم فضا للخلافات وحسما للنزاع بين القبائل — وينزل آيات القصاص في القرآن انتهت تلك الوظيفة التي كان أبو بكر آخر من تولاها في قريش .

دخل أبو بكر في دين الله أول من دخل من الرجال . ولم يكتف بدخوله في دين الله ، بل دعا غيره اليه فأسلم على يديه من كبار الصحابة عبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وعثمان بن عفان ، والزبير بن العوام ، وطلحة بن عبيد الله ، وكثير غيرهم من أصحاب الفضل والسبق رضوان الله عليهم أجمعين ، الذين كان أبو بكر في طليعتهم حين ائتمد بأس قريش على رسول الله في مكة . فكان يدافعهم عن يقين وبصيرة . وكان حظه من القرآن عظيما حين اختاره الرسول صلى الله عليه وسلم صاحبا له في الهجرة . فنزل قوله تعالى « الا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا »

ولما أعتق المستضعفين وعده الحق سبحانه بقوله « فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى » حتى نهاية السورة « الذي يؤتى ماله يتزكى . وما لأحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى »

وفي مواقف العون والمواساة كان يجود بماله كله . ويسأله النبي صلى الله عليه وسلم عما ترك لأهله فيقول رضى الله عنه : تركت لهم الله ورسوله .

أما مكانته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي كما حدث الرسول نفسه من حديثه الصحيح « لو كنت متخذا من العباد خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا . ولكن صحبة واخاء وايمان حتى يجمع الله بيننا عنده » ولذلك أجمع الدارسون على أن خلافة أبي بكر وعمر رضى الله عنهما تعتبر امتدادا واتباعا لعصر النبي صلى الله عليه وسلم



الذي مكث يبلغ رسالة ربه ثلاثة عشر عاما في مكة وعشر سنوات في المدينة - للناس عامة يبين لهم ما نزل اليهم من ربهم . حتى ختمت الرسالة . بقوله تعالى « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً »

ولم تمض بعدها الا ثلاثة أشهر حتى لحق صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى . فمن يخلف الرسول على الدين والأمة . انه فراغ عظيم . وكلنا درس مؤتمر السقيفة . والذي جمع الله كلمة المسلمين ووفقهم لبيعة هذا الخليفة العظيم رضى الله عنه . ثم كانت البيعة العامة في اليوم التالي حين تجمع المسلمون في المسجد فبايع المسلمون جميعا أبا بكر الذي أصبح يعرف بعد ذلك بخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعند ذلك بدأ خلافته بخطبة حمد الله وأثنى عليه ثم قال : «أيها الناس انى وليت عليكم ولست بخيركم . فان أحسنت فأعينونى وان أسأت فقومونى . الصدق أمانه ، والكذب خيانه ، والضعيف فيكم قوى حتى آخذ له الحق ان شاء الله تعالى ، والقوى فيكم ضعيف حتى آخذ منه الحق . لا يدع أحد منكم الجهاد . فانه لا يدعه قوم الا ضرب الله أعناقهم بالذل . أطيعونى ما أطعت الله ورسوله . فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم . قوموا الى صلاتكم يرحمكم الله » وعبارة أخرى هى قوله « انما أنا متبع ولست بمبتدع » وهو تأكيد بأن الوحي قد ارتفع بوفاة النبى صلى الله عليه وسلم . واذا فكل المؤمنين سواء لا يتخبرون الا بمقدار ما يؤدونه من العمل الصالح لخير الاسلام والمسلمين . ثم يؤكد أن أمانة الحكم فى الصدق .

وقد سبق أبو بكر ما يردده المصلحون والحكام على مدى التاريخ من أن الحق فوق القوة وسياسة الجهاد وأنها العز والتمكين واعلاء كلمة الله . ودعوة الناس الى الاسلام وهدايتهم به . وأن السمع والطاعة على الأمة طالما سار فيهم الخليفة بالحق والعدل . ورضى الله عنه حين علم أن حياة المؤمنین بسيرهم فى ضوء الكتاب والسنة . فان الأمة ان لم تأخذ بالاتباع والاقتراء بهما ضيعتا الابتداع وجلب عليها الخلاف

والفرقة والفشل • كما نعيش واقعا اليوم • ولكنه التزم بهذا الاتباع  
وأول ذلك انفاذه جيش أسامة الى الشام برغم ما أثير من اعتراض عن  
مسيرته أولا وعن امارته ثانيا • وطلب الاحتفاظ بهذا الجيش من حول  
المدينة حماية لها من محاولات عدوانية قد يبيتها هؤلاء المرتدون • وكان  
رده رضى الله عنه لحدثه : ثكلتك أمك ، استعمله رسول الله وتأمرنى  
أن أعزله • ورد المخاوف بشجاعة الايمان ، والأعجب من ذلك ما أثر عنه  
قبل أن يتحرك الجيش أن تقدم الى أسامة برجاء « ياأسامة ان رأيت  
أن تعيننى بعمر فافعل » فأذن له أسامة به لأنه كان جنديا فى جيشه  
وهو صاحب الولاية عليه • وقد مضى أسامة الى وجهته يودعه أبو بكر  
ماشيا • فلما عزم أسامة على الصديق أن يركب أو ينزل هو • أجابه  
بقوله « والله لا ركبت ولا نزلت وما على أن أغبر قدماى ساعة فى سبيل  
الله » ثم أوصاه بوصية النبى صلى الله عليه وسلم « لا تخفونوا ولا  
تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلا ولا شيخا ولا امرأة ولا  
تعقروا نخلا ولا بعيرا الا للاكل » انها عظمة الاسلام الذى أرسى حقوق  
الانسان والحياة وقد حقق بعث أسامة كثيرا من الخير والعز لأمة  
المسلمين • وأرهب الأعداء فى الخارج وهم الروم ، وفى الداخل وهم  
المرتدون • وعمقت ثقة المسلمين فى خليفتهم •

أما الردة فلم تكن جديدة فى عهد أبى بكر • بل لها أصول سابقة فى  
عهد النبى صلى الله عليه وسلم فقد ادعى النبوة طليحة بن خويلد فى  
نجد فلما علم بذلك الرسول بعث الى ضرار بن الأزور ليقاتله بمن ثبت  
على الاسلام من قومه • فلما قاتله ضرار وأخطأه السيف أذاع فى  
الناس أن السيف لا يؤثر فيه وقبض النبى صلى الله عليه وسلم حتى  
إذا تولى أبو بكر قضى على فتنته •

كما ادعى فى اليمامة مسيلمة الذى أسلم عام ٩ هـ لكنه تجرأ وهو  
فى المدينة فقال : ان جعل لى محمد الأمر من بعده تبعته • فلما رجع  
الى اليمامة جهر بكذبه وادعى النبوة وكتب الى الرسول يعلن أنه أشرك

معه في الأمر • فله نصف الأرض ولقريش نصفها • ورد عليه صلى الله عليه وسلم « من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب • أما يعد : فان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين » وأرسل اليه أيضا من يقتله • وتم ذلك أيضا في خلافة أبي بكر • وفي اليمن بدأ الأسود العنسي ثم ظهر من بعده رجلا من أعوانه تمكن الصديق من القضاء على فتنهم •

ويجب أن نعلم أن هناك من العرب من منع الزكاة • وهى ركن من أركان الاسلام والامتناع عن أدائها ردة • ويمكن القول بأن دولتى الفرس والروم كان لهم توجيه مقصود في حركات الردة بغية القضاء على هذا الدين الجديد الذى يوشك بدولته الفتية أن يقضى على نفوذهم في بلاد العرب • وقد راجع الكثير أبا بكر في قتال مانعى الزكاة فأجاب الخليفة الراشد بحديث النبى صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله • فاذا قالوها فقد عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله تعالى » ومعنى ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم قرر عصمة الدم والمال للمسلم بشرط أداء الحقوق ومنها ركن الزكاة • وأقسم أبو بكر أن هؤلاء لو منعوه عقال بعير كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلهم عليه • وعزم على قتالهم وأمن مداخل المدينة وتصدى للمعتدين •

وبهذا العزم المكين والحجة الناصعة لم تلبث هذه النوازل أن غابت من سماء الدولة الاسلامية • ومضى الصديق في الشوط حتى مده • وردا على شبهة الجاهلين في قتال المرتدين • محتجين بقوله تعالى « لا اكراه في الدين » نعم لا اكراه في الدين لمن لم يدخل فيه من قبل • أما الذى هدى الى الاسلام فما ينبغى أن يرتد عنه عملا بقوله تعالى « ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه » •

وكانت وصيته العادلة الى أفراد الجند الذين أرسلهم للقضاء على الفتن في أرجاء الجزيرة كلها : أن لا يقاتلوا أحدا ولا يقتلوه حتى يدعوه الى دعوة الله فمن استجاب لها وعمل صالحا قبل منه • ومن أبى قاتلوه •

ولا يقبلوا من أحد إلا الإسلام وما عليهم من الزكاة وأركان الدين القويم • وحقق الله وعده لهؤلاء المجاهدين « أنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهداء » لأنهم كانوا يدافعون عن عقيدة وإيمان بأن هذا الدين هو هداية الله ونعمته على عباده •

ومضى الإسلام بقوة وعزة وثقة وفتح واطمئنان إلى هذه التجربة • لذلك انفتح الباب على مصراعيه أمام الحق الذي مضى فيه أبو بكر بعد النبي صلى الله عليه وسلم • وهو توجيه المؤمنين إلى هداية الناس كافة عملا بقوله عز وجل « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا » •

أما الفتح الإسلامي وهو ما قام به أبو بكر والراشدون ومن بعدهم الأمويون في بلاد الفرس والروم — الروم الذين كانوا يملكون أمما شتى كان منها الشام ومصر وبلاد الشمال الأفريقي — فتح في داخل الجزيرة وفتح في خارجها — وليس بعد الفتح تمكين • فما أرسل الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم إلا بشيرا ونذيرا • بشيرا لمن آمن • ونذيرا لمن كفر • والمؤمن يوقن أن ليس للفتوح الإسلامية أسباب غير انقاذ الناس من الذل والعبودية ، ودعوتهم إلى الإسلام • وهنا نذكر لقاء أبي سفيان رضى الله عنه — قبل إسلامه — بهرقل عظيم الروم وقد جاءه كتاب النبي صلى الله عليه وسلم حديث شجي ودرس فيم لمن أحب أن يعلم كيف يهتدى إلى الله سبيلا • وهو مخرج في الصحيحين في نهايته سأله عن النبي واما يدعو إليه قال أبو سفيان : يدعوهم إلى عبادة الله وحده وإلى مكارم الأخلاق • فلم يسع هرقل إلا أن يقول : والله ان يكن هو ليملكن ما تحت قدمي هاتين ، ولو أعلم أنى أخلص إليه لغسلت عن قدميه •

أما دولة الفرس في التاريخ القديم فكانت تشمل العراق وإيران وما حولهما • وكانت عاصمتها المدائن جنوبى بغداد على شاطئ دجلة • وكان على كل إقليم منها ملك يسمى الشاه وعليهم جميعا شاهنشاه — أخضع الأسماء — الذى كان يسمى كسرى • وكان من نبوءات الرسول

صلى الله عليه وسلم ( اذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ) وصدق النبي  
فان بزد جرد هو آخر ملوكهم في الفترة ما بين عصر البعثة وعصر الخلفاء  
الراشدين .

أما عن المعارك الخالدة فلا تفي الصفحات لتفاصيلها . فالمحب  
لدراستها قدوة وتقديرا ومواصلة للمسيرة التي كانت لاعلاء كلمة الله  
عليه بمتابعتها ومعرفة حسن بلاء القواد العظام خالد والمثنى والقعقاع  
وغيرهم الذين بدأوا الفتح من جنوبي العراق ، وبدأت أيضا التحركات  
الأولى الى الشام بقيادة عكرمة وعمر بن العاص والوليد بن عقبه ثم  
أمدهم أبو بكر بشرحبيل ثم بأبي عبيدة بن عامر بن الجراح . وسارت  
هذه الجيوش حتى نزل كل منها في ربيع من أرباع الشام . ثم حول  
خالد بن الوليد عن بلاد الفرس الى الشام ليقوم بتنظيم هذه الجيوش .  
وكانت مخاوف الروم من المسلمين شديدة . وكان بلاء المجاهدين حسنا .  
وأكرم بخالد الذي أخلص لله وكان سيفا من سيوف الله سله الله على  
المشركين .

كل ذلك في هذه الفترة الوجيزة التي لم تزد على عامين وثلاثة  
أشهر هي مدة خلافته رضى الله عنه .

وما أجمل توفيق الله لهؤلاء الرجال في جمع القرآن العظيم . ان  
الحديث عن أبي بكر والثناء عليه في هذا الشأن لا يتم الا بالثناء على  
عمر بن الخطاب رضى الله عنه الذي أشار على الخليفة بأن يجمع القرآن  
بعد معركة اليمامة التي قتل فيها سبعون من حفظة القرآن . ومخافة  
أن يموت هؤلاء القراء فلا يكون هناك من سبيل لجمع القرآن الا من  
هذه المكتوبات الأخرى . لكن الصديق توقف وقال لعمر كيف أفعل شيئا  
لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فحاوره عمر قائلا هو والله  
خير . ولم يزل به حتى شرح الله صدره ورأى الخير في ذلك الذي رأى  
عمر . ثم أرسل الى زيد بن ثابت أحدث كتاب الوحي سنا ، ومن أوفرهم  
ثقة وبقينا . وقال له أبو بكر : يا زيد انك رجل شاب عاقل لا نتهمك .

قد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمعه . فأجاب زيد والله لو كلفنتي نقل جبل من الجبال ما كان أثقل على مما أمرتني به . وكان مما أوصاه به أن لا يكتب في الصحف الا ما يسمعه من رجلين من المسلمين العدول . وهكذا لم يبتدع الصديق في جمع القرآن . لأنه حفظ ولم يضيع .

ومراحل القرآن التاريخية تتضح على ما يأتي : أنزل الله هذا القرآن على رسوله صلى الله عليه وسلم منجما على حسب الأحداث التي كانت على امتداد الوحي والرسالة في عمرها - الثلاثة والعشرين عاما - ولنتدبر قوله تعالى « ان علينا جمعه وقرآنه » وحينما قرب القرآن على التمام كان جبريل عليه السلام ينزل على الرسول لمداينة القرآن ومراجعته في رمضان من كل عام . وفي هذه الدراسة رتب جبريل مع النبي صلى الله عليه وسلم القرآن بهذا الترتيب الذي عرفه أصحابه وأخذوه عنه . وبذلك لم يلحق الرسول بالرفيق الأعلى الا وهناك مصدران للقرآن . المواد التي كتب عليها ، ثم الرجال الذين يحفظونه - بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم - وعلى الحفظ اعتمد أبو بكر في جمعه . ثم جمعه عثمان رضى الله عنه مرة ثانية على لغة واحدة هي لغة قريش فوهد اللسان وأعظم البيان جزاهم الله خيرا .

لقد كانوا هم المؤمنون حقا ، والصحاب صدقا ، والعاملون اخلاصا . اللهم وفقنا لاتباعهم باحسان . ان خير ما يقال في أبى بكر رضى الله عنه : انه خير هذه الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم . وما قاله عمر رضى الله عنه « والله ما زاد علينا أبو بكر بكثرة عمل ، ولكن بما وقر في قلبه ، والله ما استبقنا الى شىء من الخير الا سبقنا اليه . ظل على العهد يقتفى أثر الرسول صلى الله عليه وسلم حتى ألهم وأحس بقرب أجله فكان الذى شغله وأهمه هو أمر المسلمين وجماعتهم . فعهد الى عمر بعد استشارة أهل الرأي والمشورة كما سيأتى في بيعة

عمر رضى الله عنه • فكان أبو بكر خير من لحق بالرسول صلى الله عليه وسلم من أصحابه • ودفن الصديق الى جوار قبر النبي في بيت أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها ابنته وزوج النبي صلى الله عليه وسلم • فسلام على أبى بكر خليفة رسول الله وأولى الناس به • وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله أجمعين •

## أحمد طه نصر

### انا لله وانا اليه راجعون

تحتسب جماعة أنصار السنة المحمدية عند الله تعالى واحدا من رعيها الأول وعالما جليلا من علمائها هو الشيخ عبد العزيز بن راشد الذى توفاه الله يوم ١٣ المحرم ١٤٠٣ بعد مرض طويل • وقد صلى عليه جمع غفير من أنصار السنة المحمدية ودفن بمقبرة الجماعة بالاسكندرية •

وقد كان - رحمه الله - رئيسا للجماعة بدمنهور من يوم تأسيس الفرع بها ونجح في دعوته وتلمذ عليه أقطاب السنة بدمنهور ثم انتقل الى الاسكندرية وترأس الفرع بها بعد سفر فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفى عام ١٣٦٩ هـ

وظل - رحمه الله - رئيسا للجماعة بالاسكندرية حتى عام ١٣٨٣ هـ حيث انتقل بعد ذلك الى مكة المكرمة للتدريس بالمسجد الحرام •

نسأل الله تعالى أن يرحمه رحمة واسعة وأن يلحقنا به مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين •

## التوحيد

# سَازِي الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ

بقلم : أحمد طه نصر

أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه • ومن هو عمر ؟  
ان الجواب عليه من تاريخ الاسلام عميق وعظيم • انه عمر بن الخطاب  
ابن نفيل من بنى عدى بن كعب بن لؤى • ولد بعد النبى صلى الله  
عليه وسلم بحوالى عشر سنوات • وكأنما شاء الله لعمر أن يكون  
ابن قومه بحق • فتاريخه بعد اسلامه خاصة حافل بالأحداث • كان  
أبوه غليظ القلب عليه • لذلك كان عمر شديداً في جاهليته على المسلمين  
ولكنها شدة لم تصل الى حد تعذيب السابقين الأولين ولا الى الرسول  
نفسه صلى الله عليه وسلم • رعى الغنم في صباه فعرف السياسة  
مع الشدة • نتأكد من ذلك بواقعة اسلامه التى تروى أنه لما علم  
باسلام أخته فاطمة مع زوجها سعيد بن زيد قصدهما وتجاوز مع  
أخته بشدة حتى لطمها فأدمى وجهها وأثار سيل الدم مفرساً رحمته  
فسألها عن الصحيفة التى كانت تقرأ فيها القرآن فناولته إياها فقراً  
فيها أوائل سورة طه حتى وصل الى قوله تعالى ( اننى أنا الله لا اله  
الا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى ) فأرسل كلمة مدوية مضمونها  
( من كان هذا كلامه • انه لجدير أن يعبد وحده ) وانطق يبسح عن  
النبى صلى الله عليه وسلم حتى وجده في دار الأرقم بن أبى الأرقم  
أحد السابقين الأولين • فلما دق عمر الباب بشدة استقبله حمزة بن  
عبد المطب عم النبى صلى الله عليه وسلم وأسد الله رضى الله عنه  
ليدفع شدته بمثلها ان كان يريد شراً • لكن عمر أسرع الى حيث  
يجلس النبى صلى الله عليه وسلم فشهد أن لا اله الا الله وأن محمداً  
رسول الله • فكبر المسلمون تكبيرة بلغت أصدائها جوانب مكة فلما  
عرفت قريش النبأ ركبها الحزن لأنها لم تكذب تفيق من اسلام حمزة  
حتى دهمها الهم باسلام عمر • وفى اسلامه يقول ابن مسعود رضى



الله عنه • كان اسلامه فتحا وهجرته نصرا • لم يتخلف عمر عن مجالس الرسول صلى الله عليه وسلم في مكة وحول الكعبة بعد اسلامه • كما لم يتخلف عن كل مشاهده وغزواته بعد الهجرة •

وأنصح صفحات عمر بياضاً هي ما يعرف بالموافقات • ومعناها الآيات التي نزلت في القرآن الكريم عن المشورات التي طرحها عمر بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وزكاه فيها القرآن • كآية أسرى بدر وآية الحجاب ومقام ابراهيم وغيرها •

أما في ميزان الرسول صلى الله عليه وسلم من بعض روايات الصحيحين ( جعل الله الحق على لسان عمر وقلبه • لو كان بعدى نبي لكان عمر • لو رآه الشيطان في طريق لسلك طريقا غيره • انه كان فيمن قبلكم محدثون ملهون فان يكن في أمتى أحد منهم فانه عمر )

ومن رواية أحمد والشيخين والترمذي عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث فقال « بينما أنا نائم رأيتنى أنيت بقدر لبن فشربت منه حتى انى لأرى اذرى يخرج في أطرافى • ثم أعطيت فضلى عمر بن الخطاب • فقاتلوا فما أولت ذلك يا رسول الله قال العلم » وخير ما اعتز به عمر هو ما قاله له صلى الله عليه وسلم وهو في طريقه الى البيت الحرام ( يا أخى لا تتسنا من صالح دعائك ) فان مؤمنا يطلب الرسول صلى الله عليه وسلم دعاءه لهو مؤمن تقى تقى عند الله وعند رسوله •

وكثيراً من محاوراته مع النبي تدل على حبه للعمل والعمل الصالح وحده • ولذلك قيل فيه يوم مات ( لقد أتعب عمر من جاء بعده ) • أما بيعته مع طرح الحقيقة أولاً • وهى أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يعهد بولاية الأمر من بعده الى أحد • وإنما ترك الأمر على هذا النحو الذى حسمه المؤمنون بالشورى فى سقيفة بنى ساعدة يوم اختاروا أبا بكر للخلافة من أجل سابقته فى الاسلام • وتقديم النبي له • وقالوا رضيه رسول الله لديننا أفلا نرضاه لديننا ! ؟ وأما أبو بكر فقد عهد من بعده لعمر لشهادة اخوانه من أصحاب

رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن استشار الصفوة من الرجال فكلهم رضى بعمرو وأقره عليه • بل مدحه وزكاه فيه • وأبو بكر أيضا يعلم أن أمر الله ورسوله الى المسلمين أن يسمعوا ويطيعوا لولى الأمر • وكان معنى ذلك وجوب قيام خليفة بعد آخر يتولى أمر المسلمين دينا ودنيا • وأن الفتح والهداية وصلا الى الناس جميعا • ودخلوا في دين الله أفواجا •

وذلك يؤكد حاجة المسلمين الى ولى أمر يسوسهم ويقيم فيهم الحق ويحكمهم بالعدل • واذن فأبو بكر لما استشار المسلمين في العود من بعده الى عمر انما كان يطبق ما أمر به رسوله • وما أمر به الرسول أصحابه من بعده •

وكان على بن أبى طالب فى طليعة من استشارهم رضى الله عنه لأنه من خير الناس فى الاسلام دينا وأمانة وقرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال للصدىق ( هو عند ظنك به ورأيك فيه • وكان معك تحظى برأيه وتأخذ منه فامض لما تريد ) أما عثمان بن عفان رضى الله عنه وهو من هو فى نصرة دين الله فقد أجاب الخليفة ( أنت أعلم به اللهم ان علمى به لن سريرته خير من علانيته وأن ليس فينا مثله ) وعبد الرحمن بن عوف فقد كان نعم العارف بعمرو لما بينهما من ألفة ومودة دامت ما سبق ذلك وبعده وكان خير أمين لأبى بكر فقال له ( هو أفضل من رأيك فيه ولكن فيه غلظة ) فرد عليه الصديق رد عليم بأحوال الاسلام والرجال معا • فقال ( لأن عمر يرانى رفيقا • ونو صار الأمر اليه لترك كثيرا مما هو عليه ) أما طلحة بن عبيد الله فرأى مثل ابن عوف لكنه زاد على ذلك مقالة شديدة لأبى بكر ( فماذا أنت قائل لربك اذا سألك عن استخلاف عمر علينا وقد رأيت ما يلقى الناس منه وأنت معه • فكيف اذا خلا بهم بعد أن تلقى ربك ؟ فأجاب رضى الله عنه أقول لربى استخلفت على عبادك خيرهم ) وماذا عن رأى عمر نفسه فى استخلافه بعد الصديق • انه يعبر عن حدود مسؤوليته فى قيادة الأمة العربية الاسلامية التى بدأت الزحف فى سبيل الله • يخطبهم فيقول ( انما مثل العرب مثل جمل أنف — هو الذى يسير

وراء قائده بدون زجر ولا ضرب — اتبع قائده فليظن قائده أين يقوده • أما أنا فورب الكعبة لأحملنكم على الطريق ) فهو يرى شدته في حدود الأمانة • اذن فأبو بكر كان على حق حين استشار أصحابه في عمر لأنه يرى أنه أقدر على قيادة هذه الأمة بعده •

وعن الفتح فان آية في كتاب الله توضح الى أى مدى كان هؤلاء الرجال • ( ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله • والله رءوف بالعباد ) ان الأمر بلغ بأبى بكر والذى ملك عليه نفسه أن يهتم بالفتح والغزاة وان دهمه الموت • في العام الثالث عشر للهجرة من شهر جمادى الآخرة جمع اليه أصحابه وفيهم عمر فبايع له المسلمون البيعة الخاصة بعد أن قال أبو بكر أيها الناس انى قد عهدت عهدا أفترضون به ؟ فقال الناس رضيينا يا خليفة رسول الله فقام على فقال لا نرضى الا أن يكون عمر • قال فانه هو ثم توجه الى عمر بالنصيحة ( استمع ما أقول لك ثم اعمل به انى لأرجو أن أموت من يومى هذا فان أنا مت فلا تمسين حتى تندب الناس مع المثنى بن حارثة في بلاد العراق • ولا يشغلنكم مصيبة وان عظمت عن أمر دينكم ووصية ربكم • فقد رأيتنى متوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما صنعت ولم يصب الخاق بمثاه • وان فتح الله على أمراء الشام فاردد أصحاب خالد الى العراق فانهم أهله وولاة أمره وأهل الضراوة بهم والجرأة عليهم ) اهتمام بأمر المسلمين مع استقبال الموت رضوان الله عليهم أجمعين •

هذا الفتح الذى بدأه أبو بكر في سهولة ويسر ثم اندفع في خلافة عمر في بلاد الشام بامارة أبى عبيدة بن الجراح • أما فارس فقد بدأ الناس يحسبون حسابها • وقد ظ عمر رضى الله عنه يحرض على قتالهم لما ظهر من بأس الفرس وشدتهم في مقاومة المسلمين • وقام المثنى القائد العظيم رضى الله عنه وصاح في الناس ( لا يعظمن عليكم هذا الوجه — يريد الفرس — فانا قد فتحنا ريف فارس وغلبناهم على شقى السواد وولنا منهم واجترأنا عليهم • ولنا أن شاء الله ما بعدنا ) ثم قام عمر بعده فزاد في تحريض المسلمين من عرب الجزيرة

عامة والحجاز خاصة • وطرح بين أيديهم أن الحجاز ليس بدار  
لأهله الا على النجعة — أى طلاب الكأ لأنعامهم — ثم نادى فيهم  
وقد تجمعوا من كل صوب مهاجرين الى أرض العدو : ان الله وعدكم  
بأن يظهر دينه على الدين كله • والأرض لله يورثها عباده الصالحين •  
ثم ختم بقوله ( أين عباد الله الصالحون ) وكان أسرعهم اجابة عبيد  
ابن مسعود الثقفى • فأمره ونصحه • وبدأت المعارك من جديد •  
واستشهد عبيد فى معركة الجسر ولشدة الأمر وخطورته نادى عمر فى  
الناس ( الصلاة جامعة ) ووافاه أهل المدينة كلهم فى المسجد وانفتقوا  
على أن يأمر بمسيرة ويؤمر عليها رجلا آخر • واختار عمر سعد بن  
أبى وقاص ثم أوصاه أن يقاتل الفرس على حدود أرضهم فان أظهر  
الله المسلمين عليهم فلمهم ما وراءهم والافاءوا الى فئة • فاذا انتهيت  
الى القادسية (١) فالزم مكانك لا تبرحه لأنهم ربما رموك بجمعهم •  
فان صبرتم لعدوكم واحتسبتم لقتاله رجوت أن تنصروا ) تحفظ وحذر  
ومكيدة وحسن رعاية ، وقبل أن يسير سعد يقول له ( يا سعد لا يغرنك  
من الله أن قيل خال رسول الله • فان الله لا يمحو السيء بالسيء  
ولكن يمحو السيء بالحسن ) وبذل سعد مستعينا بالله ثم بيقين  
القادة والمقاتلين أروع صور الايمان والجهاد والصبر حتى النصر فى  
معارك القادسية ، ويوم أعراث ، ويوم عماس ، والهير ، ثم المدائن  
العاصمة •

وفتح الفتوح فى نهاوند لما تجمع الفرس ليسترجعوا ما ضاع  
من بلادهم • وبلغ هول ذلك الموقف عمر • ثم ولى النعمان بن مقرن  
أمر الجند • وقتل بين يدى النصر • وحمل الراية حذيفة • وبهذه  
الروح الخالصة لله — حبا وأملا فيما عنده — أمدهم الله وكتب لهم  
الغلبة وأزال الفرس من مواقعهم وركبتهم الهزيمة •

وكانت غنائم المسلمين من الكثرة والندرة ما لو اتسع المقام  
لبسطناها • فانها أمجاد وفضل كبير وملك المسلمون بلادهم على يد  
الألوية السبعة التى عقدها عمر لقوادها على سبع جبهات شملت كل  
أرض فارس • حسب فوض الولاية العامة للمثنى بن حارثة بعد القادسية •

(١) باب فارس آنذاك

أما في الشام وعاصمتها دمشق فقد حاصرها خالد بن الوليد  
 رضى الله عنه قرابة سبعين يوما وهم لا يقدرّون على الروم — وقد  
 تضاعفت قواتهم بعودة المنسحبين ودمشق يحميها سور لا سبيل الى  
 اقتحامه أو تسوره • ولكن خالدًا لم يعجزه هذا ولا ذلك • فاتخذ من  
 الحبال ما يشبه السلالم ورموا بها على السور • وأول من صعد  
 انقعاق بن عمرو واستولوا على السور • ونزلوا بنفس السلالم  
 الى الداخل وتمكنوا من فتح الأبواب مما دفع الروم الى طلب الصلح •  
 وبهذا سقطت دمشق عاصمة الشام • ثم الى حمص وحاصروها  
 شتاء كاملا عام ١٦ هـ ثم جنح أهلها الى المصالحة على مثل صلح أهل  
 دمشق ثم ايلياء — القدس — وقد حاصرها عمرو بن العاص أربعة  
 أشهر واضطر الروم الى طلب الصلح واشترط البطريرق أن لا يعتقد  
 الصلح معهم الا عمر بن الخطاب • فرضى بذلك أبو عبيده قائد  
 القوات • وكانت تلك أولى رحلات الخليفة الى الشام • أما فتح مصر  
 وقد كان على يد عمرو بن العاص وهو يتعقب قائد الروم بعد فراره  
 من القدس الى مصر ليتخذ منها قاعدة للمقاومة • واشتبك عمرو مع  
 القائد الهارب عند الفارما — قريبا من بور توفيق — وانتصر عليه  
 مرة ثالثة عند بلبيس ومنها ساروا حتى استقر بهم المقام في مدخل  
 عاصمة مصر وهى منف • وحشد الروم كل قواتهم ليخوضوا معركة  
 المصير • وثبت المسلمون وحمم الروم على مواصلة الحرب وتمكن  
 المسلمون من تسلق السور على سلالم وفتحو الحصن • وحينئذ مال  
 المقوقس الى الصلح واستغرقت رحلة الفتح ثلاثة أعوام • مصر التى  
 استوصى الرسول صلى الله عليه وسلم بأهلها لأن لهم ذمة ورحما •  
 أما الرحم فانها السيدة هاجر التى أسكنها ابراهيم عليه السلام مكة  
 هى وابنها اسماعيل عليه السلام أبو العرب العدنانية • فأين الذمة ؟  
 ان الذمة لا تكون — في تقدير الاسلام — الا بعد فتح • اذا فعمر  
 أراد فتح مصر في ظل هذا التوجيه النبوى •

عمر والتاريخ الاسلامى والمآثر : روى البخارى عن سفيان  
 رضى الله عنه قال : ما عدوا من مبعث النبى صلى الله عليه وسلم

ولا من وفاته • ما عدوا الا من مقدمه المدينة • حينما فكر عمر وأصحاب  
النبى فى وضع تقويم للمسلمين • واهتدوا الى أن الهجرة كانت الحد  
الفاصل بين عهدين ومن هذا أخذوا فى تأريخ دولتهم • وكان النظام  
الاسلامى هو الغالب على التخطيط لتجميع وفود المقاتلين • ولتمصير  
الامصار التى بلغت فى عهده رضى الله عنه عشرا • مكة • الطائف  
صنعاء • الجند • البحرين • الكوفة • البصرة • دمشق • حمص •  
مصر : وكان على كل منها وال وأمير يلى أمرها ويجمع المسلمين فى  
الصلاة ويفصل بينهم ويعمل على قضاء مصالحهم ومع الاتساع والفتح  
والموارد ومعرفة مستحقيها • عملت السجلات والدواوين للجند وحماة  
الشعور والعطاء والجعل — الراتب — حتى للفتيم ثم جعله للوليد  
رحمة بأبناء المسلمين • وأيضا ما ضرب به المثل من محاسبة العمال  
والولاة • لا على ما يقع منهم — فهم أهل عفة واستقامة — ولكن على  
سبيل الحيطة •

وكانت له قدوة فى الرسول صلى الله عليه وسلم الذى حذر  
أهله ( لا يجيئنى الناس بالأعمال وتجيئونى بالأنساب ) ومن أجل ذلك  
كان عمر اذا نهى الناس عن شىء جمع أهله فقال لهم : انى نهيت  
الناس عن كذا وكذا • وان الناس ينظرون اليكم نظر الطير الى اللحم •  
وأقسم بالله لا أجد أحدا منكم فعله الا ضاغت عليه العقوبة (ومن حديثه  
الى السيدة حفصة ابنته وأم المؤمنين رضى الله عنها ) انما مثلى ومثل  
صاحبى — يعنى الرسول والصدىق — كثلثة سلكوا طريقا فمضى  
الأول لسبيله وقد تزود فبلغ المنزل • ثم تبعه الآخر فسلك سبيله  
فأفضى اليه • ثم تبعهما الثالث فان لزم طريقهما ورضى بطريقهما  
لحق بهما • وان سلك غير طريقهما لم يلقهما ) وكان عمر رضى الله  
عنه الأمير والعامل على المدينة يتعسس على أصحاب الحاجات •  
وقصته معروفة مع المرأة التى جاع اولادها حتى بكوا من ألم الجوع  
وعثر عليها عمر وهى تمنىهم بالقدر الذى تطبخ فيه الطعام • وما فيه  
الا الماء • فلما علم خبرهم حمل بنفسه الطعام اليهم • وأبى أن يحمله  
غلامه وهو يقول ( أنت تحمل عنى وزرى يوم القيامة ) ثم طهى لهم

وأطعمهم • ولما قالت له المرأة : أنت أولى بذلك من أمير المؤمنين ؟ قال لها : قولى خيرا أما انك لو جئته لوجدتني عنده • لبيت عمر عاش وطال عمره حتى يرى وينظر ما أفاء الله على هذه الأمة من نعم • وما هيا لها من رفعة وما وقر لها من عظمة وما امتن به عليها فجعلها خير أمة أخرجت للناس • ثم ضيقت وخالفت وأحدثت وهان عليها دينها فهانت اليوم على الله • انه رضى الله عنه لما فرغ من الحج عام ٢٣ هـ — بعد خلافة دامت عشر سنوات ونصف — رفع بصره الى السماء ودعا ربه : اللهم كبرت سننى وضعفت قوتى وانتشرت ريعتى فاقبضنى اليك غير مضيع ولا مفرط • اللهم ارزقنى الشهادة فى سبيلك واجعل موتى فى بلد رسولك • وكانت المؤامرة من الفرس الموتورين الذين أحسن اليهم عمر وما أساء فقد طعنه أبو لؤلؤة المجوسى وهو يكبر لصلاة الغداة وحاول الفرار بطعن آخرين ولكنه حوصر وقتل بعد أن طعن نفسه عليه لعائن الله • وصدق حافظ فى هذا الرثاء •

مولى المغيرة لاجادتك غادية . . . من رحمة الله ان جادت غواذيتها مزقت منه أديما حشوه همم . . . فى ذمة الله عاليها وما ضيها طعن عمر وقلبه نزييف فلما غشى عليه لم يجد من حوله حيلة يفرعونه بها الا النداء : الصلاة الصلاة • فأفئق لا يشكر الا فى الصلاة التى منها بدأ يلقى الله فقال : الصلاة !! انه لا اسلام لمن ترك الصلاة) ثم فوض جماعة الشورى السنة باختيار أحدهم أميراً للمؤمنين بعده، أيقن عمر أنه قد جاء أجله فقال لابنه عبد الله : انطلق الى أم المؤمنين عائشة ولا تسمنى عندها أمير المؤمنين فلست اليوم أميراً • وقل لها ان عمر يستأذنك أن يدفن الى جوار صاحبيه • فلما لقيها عبد الله وجدها تبكى فسلم عليها وأبلغها فأذنت وقالت : كنت أريده لنفسى ولأوثرته اليوم على نفسى ) ثم أمر ابنه عبد الله أن يحول رأسه من على حجره وأن يلصق خده بالأرض • ثم جعل يقول ويلى وويل أمدى ان لم يغفر لى ربه • وجعل يكررها مع الشهادتين حتى فاضت روحه انها روح من ورث الناس عنه هذه الدولة • بعد النبى والصدىق • هذا الاسلام ديناً ودنيا • دعوة ودولة • نعم أخا الاسلام كان عمر مع الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا •

# الإسراء والمعراج

بقلم : أحمد طه نصر

الإسراء هو السر ليلا . وهو رحلة أرضية من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى . والمعراج ما أعقب ذلك . وهو رحلة سماوية من المسجد الأقصى الى السموات السبع الى سدرة المنتهى . وقد ثبتا بالقرآن والسنة . عن الإسراء يقول سبحانه « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير » وعن المعراج يقول عز من قائل كريم « أفتمارونه على ما يرى . ولقد رآه نزلةً أخرى . عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى . اذ يغشى السدرة ما يغشى . مازاغ البصر وما طغى . لقد رأى من آيات ربه الكبرى » .

وفي الآية بيان القصد منه وذلك قوله « لنريه من آياتنا » نعم أطلع الله محمدا صلى الله عليه وسلم على صور من الفضائل وأنواع من

فى آية الإسراء نرى القرآن يفتتحها بكلمة التسييح . ومعناها التنزيه والبراءة مما لا يليق بمقام



فربطت الدابة بالحلقة التي تربط  
 فيها الأنبياء . ثم دخلت المسجد  
 فصليت فيه ركعتين ثم خرجت » .  
 وفي البخارى من حديث أبى ذر  
 رضى الله عنه « ثم عرج بى حتى  
 ظهرت لمستوى اسمع فيه صريف  
 الأتلام » . وقد رأى سدره المنتهى .  
 وعند الشيخين أن جبريل عليه  
 السلام كان عندما يستفتح كل سماء  
 يقال له من هذا ؟ فيقول جبريل .  
 فيقال ومن معك ؟ فيقول محمد . فيقال  
 وقد أرسل اليه ؟ فيقول نعم . فيرحب  
 به أهل كل سماء من الأنبياء والملائكة  
 حتى سدره المنتهى .

والذى ذهب اليه الصحب الكرام  
 والسلف الأول وأئمة الحديث والسنة  
 أن الاسراء والمعراج وقعا فى ليلة  
 واحدة يقظة بشخص النبى صلى الله  
 عليه وسلم روحا وجسدا لقوله  
 تعالى « بعده » وعليه تدل الآيات  
 والأحاديث . ولا استحالة فى ذلك .  
 وليس مناما . اذ لو كان مناما لما  
 كان فى الأمر معجزة ولما وُثِّع التكذيب  
 من قريش التى فهمت ما يعنيه صلى  
 الله عليه وسلم . وفى ذلك أن

الحقائق تتصل بشئون الخلق وأحوال  
 العباد وأجزية عادلة للثواب والعقاب .  
 وفى المعراج رأى صلى الله عليه  
 وسلم من العجائب ودلائل القدرة  
 وعظم الملك الذى لا تمثل السموات  
 والأرض الا جزءا منه . وعبرت  
 الآية عن ذلك « لقد رأى من آيات  
 ربه الكبرى » ولنا أن نفهم فى تعليل  
 القصد فهما جميلا . ففى آية  
 الاسراء يريد الله أن يرى عبده  
 بعض آياته « لنريه من آياتنا » وفى  
 آية المعراج يؤكد أن رسوله صلى  
 الله عليه وسلم شهد بالفعل هذه  
 الآيات « لقد رأى من آيات ربه  
 الكبرى » .

وفى السنة حدث الرسول عليه  
 السلام أصحابه حديثا مستفيضا رواه  
 عنه أكثر من ثلاثين صحابيا حتى بلغ  
 مبلغ التواتر بما لا يدع مجالا لمُنكر  
 أو مكابر . روى مسلم عن أنس  
 رضى الله عنه أن النبى صلى الله  
 عليه وسلم قال : أتيت بالبراق وهو  
 دابة أبيض فوق الحمار ودون البغل  
 يضع حافره عند منتهى طرفه فركبته  
 فسار بى حتى أتيت بيت المقدس

سخره الله ليخبر القوم . ولم يصح  
 أن أحداً من المؤمنين شك أو ارتد  
 بعد ايمان كما أكد ذلك أئمة الحديث،  
 ولما روى في الصحيحين من حوار  
 أبى سفيان رضى الله عنه مع هرقل .  
 وقد سئل هل يرتد أحد منهم سخطة  
 لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ قال : لا  
 فقال هرقل كذلك الايمان حين تخالط  
 بشاشته القلوب .

بقى أن نعرف أن الاسراء والمعراج  
 وقعوا في وقت بلغ فيه موقف المشركين  
 من الدعوة قمة التحدى حتى لم  
 يستطع عليه السلام أن يدخل مكة  
 بعد رجوعه من الطائف الا في جوار  
 المطعم بن عدى وكان على دين  
 قومه ، فعدا صلى الله عليه وسلم  
 بحاجة الى مدد الهى يمهده بالثبات  
 واليقين . فالاسراء والمعراج تأييد  
 للدعوة في ادق مراحلها وتثبيت للنبوة  
 فى اسمى موافقها . وثق بوعد الله  
 وركن اليه واعتصم به فاستحق هذه  
 المكافأة وهذا التكريم والتشريف مما  
 يجعله يوقن باسراق وعز وتمكين  
 وفتح وتمحيص للايمان فى قلوب  
 المؤمنين وتسلم لأمانة الامامة والهداية  
 وجعلها فى هذه الأمة وهذا البيت  
 الحرام بعد أن تنكر بنو اسرائيل  
 لرسالات الله وقتلوا أنبياءه وخالفوا  
 عن عهد . فاستحقوا بعدل انله أن  
 ينتقل منهم الى الأبد « قل اللهم مالك  
 الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك

أبا جهل لقى النبى وسأله هل من  
 شىء ؟ فقال صلى الله عليه وسلم :  
 اسرى بى اليلة الى بيت المقدس ،  
 فقال ان هذا للأمر البين ! ان العير  
 لتضرب من مكة الى الشام شهرا  
 مهدبرة وشهرا مقبلة . اذهب محمد  
 فى ليلة واحدة ويرجع الى مكة ؟  
 ثم قال : لو جمعت الناس تحدثهم  
 بذلك . وذهب ينادى فى أرجاء مكة  
 — حكمة بالغة لله — ويقول عليه  
 السلام : لما كذبتنى قريش — واجتمع  
 الناس — قمت الى الحجر فجلى  
 الله لى بيت المقدس فطفقت أخبرهم  
 وانا انظر اليه .

وأصبح الناس فريقين : فريق  
 آمن بهما ايمانا صادقا لأنه استيقن  
 صحة الخبر من النبى صلى الله  
 عليه وسلم وقد كان أبو بكر رضى  
 الله عنه المثل الصادق لهذا الفريق  
 من المؤمنين . فقد قيل له ان صاحبك  
 يحدث الناس أنه اسرى به من مكة  
 الى المسجد الأقصى ثم رجع من  
 ليلته . فقال رضى الله عنه ان كان  
 قد حدثكم بهذا لقد صدق . انى  
 لأصدقته فيما هو أبعد من ذلك .  
 ان الأمر ينزل عليه من السماء فى  
 ساعة من ليل أو نهار .

وفريق آخر وهم المشركون الكذوبون  
 للنبوة أساسا ومثلهم أبو جهل اذى

وأعراض الدنيا لتعصمهم ، لأنها  
صلة وطهور . .

من تشاء وتعز من تشاء وتذل من  
تشاء بيدك الخير . .

أما عن زمنها هل كان قبل الهجرة  
بسنة كما شاع بين عامة أهل العلم؟  
أو أنه كان في أول البعثة كما يقول  
الإمام محمد بن شهاب شيخ الإمام  
مالك رحمهما الله والعالم بالسنة .  
لقد ذكر الإمام ابن حجر في كتابه  
فتح الباري آراء كثيرة بين هذين  
الرأيين . ولا نستطيع يقينا تحديده  
بالشهر واليوم ولا بالسنة . كما  
اعتاد الناس من قديم تبعنا لشيوخهم  
في استقلال مثل هذه الأحداث  
كمواسم للتوسمة والاحتفالات .  
أما أئمة السيرة فأيضاً لم يتفقوا .  
فيرى ابن اسحاق أن الإسراء برسول  
الله صلى الله عليه وسلم كان في  
رمضان قبل الهجرة بثمانية عشر  
شهرًا . وابن هشام يجعل وقت  
الإسراء قبل وفاة أم المؤمنين السيدة  
خديجة رضى الله عنها . أما ابن  
سعد فيروى في الطبقات أن الإسراء  
كان في شهر ربيع قبل الهجرة  
بسنة . وليس لشهر رجب من نصيب  
في رأى صحيح . وخير سبيل الى  
الصواب أن نستهدى القرآن العظيم  
والسنة المطهرة . وان استهداءهما  
لهو السبيل الوحيد للوصول الى  
الحق ونور اليقين . وقد ذكر الكتاب  
الكريم الآيات السالفة . أما عن  
السنة وهى كثير . وقد روى البخارى

ويسأل الكثيرون هل التصديق  
بأمر الإسراء والمعراج يستند الى  
مجرد الايمان واليقين ؟ أم ان في  
سنن الله الكونية ما يؤيدهما ويجعل  
أمرها ممكنا في جانب قدرة الخالق  
لهذه السنن والنواميس . ان الإسراء  
والمعراج وقعا في زمن لم يصل فيه  
العلم الى ما وصل اليه في عصرنا  
الحاضر . ان العلم نقل الأصوات  
والصور والرسائل من الأثير بالاذاعة  
المرئية والمسموعة . ونقل الأجسام  
من مكان الى مكان بعيد في زمن قليل .  
وأرسل السفن والرواد في الفضاء  
الى القمر — وان كان قريبا فهو دون  
السماء — فساروا على ظهره ،  
ولكن الناس كذبوا بما لم يحيطوا  
بعلمه ، وما قدروا الله حق قدره ،  
لأنه لا يجوز أن يخوض أحد في عمل  
الله عز وجل ، أو يستعظم عروج  
النبي صلى الله عليه وسلم . وما  
دروا أنهم فقدوا إيمانهم وردوا  
حديث النبي صلى الله عليه وسلم  
وهو يذكر انطلاق جبريل به الى  
الملا الأعلى ودخوله الجنة ومناجاته  
ربه الكريم حتى أفاض عليه هذه  
الفریضة لتذكر بهذا العروج والسمو  
والمناجاة والقرب . وقد شاء الله  
ذلك للأمة الإسلامية لترقى بهم كما  
تدلت بهم شهوات وظلمات النفوس

أسرى به خمسين صلاة ثم خفتت  
فصارت خمسا في العمل وبقيت  
خمسين في الأجر لقول الله « ما يبدل  
القول لدى وما أنا بظلام للعبيد » .

ان الاسراء ليس معجزة للناس .  
وانما كان معجزة وتشريفا وتكريما  
وحفاوة بالنبي صلى الله عليه وسلم  
وايشد من أزره . وكذلك يفعل الله  
مع أنبيائه ورسله كما قال تعالى  
« وكذلك نرى ابراهيم ملكوت  
السموات والأرض وليكون من  
الموقنين » ان هذا الحدث العظيم  
كان بشريات بالنصر ، وأن الله  
لا يعجزه شئء وقد طوى له الأرض  
وعلا به فوق السموات ، وأنه متم  
له الأمر . وقد تحقق ذلك بفضل  
الله .

وأختم بما ورد في توضيح الآية  
« ولقد رآه نزلة أخرى » روى  
الشيخان انه جبريل عليه السلام  
وأن له ستمائة جناح رآه النبي صلى  
الله عليه وسلم على هذه الصورة  
مرتين مرة مع بدء الرسالة وأخرى  
عند سدرة المنتهى ، وعند مسلم عن  
أبي ذر رضى الله عنه : سألت  
رسول الله هل رأيت ربك ؟ قال :  
نور انى أراه » وعند الترمذى عن  
أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله  
عنها قالت : من أخبرك أن محمدا  
راى ربه فقد أعظم على الله الفرية،  
ولكنه جبريل « ثبتنا الله على الحق  
وهदानا اليه .

**أحمد طه نصر**

عن ابن مسعود رضى الله عنه انه  
قال : ان سور الاسراء والكهف  
ومريم من العتاق الأول . ويقسم  
بالله الذى لا اله غيره انه ما أنزلت  
سورة من كتاب الله الا وهو يعلم  
أين نزلت وفيم نزلت . وفي الصحيحين  
والترمذى أن قوله تعالى من سورة  
الاسراء « ولا تجهز بصلاتك ولا  
تخافت بها » نزلت ورسول الله  
مخفف بمكة يدعو الى الله سرا ،  
وقد بقى صلى الله عليه وسلم يدعو  
كذلك ثلاث سنين انتهت بنزول قوله  
تعالى في سورة الحجر « فاصدع  
بما تؤمر وأعرض عن المشركين »  
ويذكرون أن سورة الاسراء نزلت  
قبل سورة الحجر . ويروى الشيخان  
وأحمد والترمذى قول ابن عباس  
رضى الله عنهما في شأن الجن وقد  
حجبوا عن السماء بعد بعث النبي  
صلى الله عليه وسلم وأنهم انطلقوا  
يضربون مشارق الأرض ومغاريها  
يبتغون ما الذى حال بينهم وبين خبر  
السماء . وحينما توجه نفر منهم الى  
تهامة ورسول الله صلى الله عليه  
وسلم بنخله بين مكة والطائف يصلى  
بأصحابه صلاة الفجر فاستمعوا اليه،  
ونزلت في ذلك آيات .

وعن الصلاة وهى قررة العين  
ومنحة الله لعبده ولأمته . وهى  
ثمرة هذه الرحلة المباركة . يذكر  
انس رضى الله عنه أنها فرضت على  
الرسول صلى الله عليه وسلم ليلة

## الخليفة الثالث عثمان رضي الله عنه بقلم : أحمد رضا نصر

جمع كثيرا من المكارم والشيم الحميدة . كان عثمان من أبرز أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين أبلوا أعظم البلاء في سبيل الله . فهو ممن هاجر من مكة الى الحبشة الهجرة الأولى والثانية . وبصحبته فيهما زوجه رقية رضي الله عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد كان يعتز بمصاهرة النبي فيقول : ائتمنتني رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنته ثم توفيت فزوجني الأخرى . شهد مع النبي صلى الله عليه وسلم جميع غزواته الا بدر . فقد تخلف عنها ليقوم بتمريض زوجه رقية التي شاء القدر أن تنتقل الى جوار ربها يوم انتصار المسلمين على عدوهم في هذه المعركة الحاسمة . وعلى الرغم من ذلك فقد عده الرسول من أصحاب بدر . وأسهم له في غنائمها ثم زوجه من ابنته الثانية أم كلثوم . ولهذا جمع شرف الصهر بكريمتى الرسول صلى الله عليه وسلم الذي قال له عند وفاة أم كلثوم — في السنة التاسعة للهجرة — لو كانت لنا ثلاثة لزوجناكها يا عثمان .

ومن دلائل مكانته المرموقة بين

هو عثمان بن عفان بن أبي العاص ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف . وأمه البيضاء بنت عبد المطلب عمه النبي صلى الله عليه وسلم . وهو أقرب الخلفاء الراشدين رحما من النبي صلى الله عليه وسلم بعد علي بن أبي طالب رضي الله عنه . ولد رضوان الله عليه بعد عام الفيل بخمس سنين . كان من السابقين الى الاسلام . بل هو كما أخبر رضي الله عنه رابع أربعة أسرعوا الى الايمان برسالة محمد صلى الله عليه وسلم . وكان اسلامه على يد أبي بكر رضي الله عنه . فقد استجاب لدعوته اياه الى الدخول في هذا الدين لما كان بينهما من صلة وثيقة . وما أن علم باسلامه عمه الحكم بن العاص حتى أوثقه وقال له : ترغب عن دين آباءك الى دين محدث ؟ والله لا أدعك حتى تدع ما أنت عليه . فأجابه عثمان في صلابة المؤمن : والله لا أدعه أبدا ولا أفارقه . ولم يجد تهديد الحكم ووعيده فتركه .

وقد عرف بين قومه بالحلم والحياء ولين الجانب والكرم الوافر مع صلابته في الحق . وبذلك يكون قد

يملكها يهودى خبيث يقوم ببيع مائها لأهل المدينة بثمن باهظ لا يستطيع دفعه كثير من الناس . فكانوا يضطرون للتزود بالمياه من آبار أخرى غير عذب مأوها . فلما قال النبي صلى الله عليه وسلم « من يشتري بئر رومة فيجعلها للمسلمين يضرب بدلوه في دلائهم وله بها مشرب في الجنة » سارع عثمان الى ذلك اليهودى صاحب البئر وطلب منه شراءها فرفض اليهودى بيعها كلها . فاشترى منه نصفها باثنى عشر ألف درهم واتفقا على أن يكون لكل منهما يوم معلوم في استغلال البئر . فكان المسلمون يأخذون حاجتهم من الماء في يوم عثمان . وخاب اليهودى وقد غلبه ذكاء عثمان ومهارته . لذلك رأى أن يبيعه النصف الآخر فاشتراه رضى الله عنه بثمانية آلاف درهم . وهكذا أصبحت تلك البئر جميعها ملكا خالصا للمسلمين .

من زاوية أخرى كان عثمان واحدا من الصحابة القلائل الذين جمعوا القرآن - أى حفظوه - على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان أحد كتاب الوحي . ولهذه الفضائل التي اجتمعت له كان أحد العشرة المبشرين بالجنة من بين صحابته الأكرمين . كان عثمان أحد الرجال الذين يعول الشيخان العظيمان على رأيهم في مهام الأمور . وإذا كانت هذه شخصية عثمان بما تميزت به من جميل الصفات وحמיד الخصال فقد

قريش فضلا عن منزلته بين المؤمنين أن أوغده النبي صلى الله عليه وسلم سفيرا الى قريش يوم الحديبية ليقوم بتوضيح موقف النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين لزعماء مكة . فلما أتيح بين المسلمين أن قريشا قتلت عثمان بايع النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بيعة الرضوان تحت الشجرة على أن يقدموا أنفسهم في سبيل الله وينزلوا بقريش ما تستحق من عقاب جزاء ما ارتكبت من غدر في حق عثمان والمسلمين . فكانت هذه البيعة التي باركها الله ورضيها حيث قال سبحانه ( لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم متحيا قريبا ) ومن الوفاء أن النبي صلى الله عليه وسلم ضرب باحدى يديه على الأخرى وقال : هذه يد عثمان . فكانت يد النبي لعثمان خيرا من ايدى المبايعين لأنفسهم .

وقد أوتى عثمان حظا موفورا من المال يقابله حظ أوفر من البذل والعطاء في سبيل الله . فلقد كان الفارسى الذى لا يبارى في الانفاق على تجهيز جيش المسلمين الزاحف الى تبوك في ساعة العسرة . فيذكر انه أمد هذا الجيش بحوالى ثلاثمائة بعير وخمسين فرسا وألف دينار . فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ذلك منه قال : ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم . ومن أهم الجهود التي تذكر لعثمان في هذا الميدان شراؤه بئر رومة ذات الماء العذب التي كان

الرهط الذين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم من أهل الجنة: على وعثمان ابنا عبد مناف ، وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص خالا رسول الله ، والزبير بن العوام حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته ، وطلحة الخير بن عبيد الله . فليختاروا منهم رجلا فاذا ولى واليا فأحسنوا مؤازرته

وأعينوه وان ائتمن احدا منكم فليؤد اليه أمانته . وخرجوا . فلما أصبح عمر دعا عليا وعثمان وسعدا وعبد الرحمن والزبير — وكان طلحة غائبا — فقال : انى نظرت فوجدتكم رؤساء الناس وقادتهم . ولا يكون هذا الأمر الا فيكم . وقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنكم راض . انى لا أخاف الناس عليكم ان استقمتم . ولكنى أخاف عليكم اختلافكم فيما بينكم فيختلف الناس فاذا مت فتشاوروا ثلاثة ايام . وليصل بالناس صهيبي . ولا يأتين اليوم الرابع الا وعليكم أمير منكم . ويحضر عبد الله مشيرا . ولا شيء له من الأمر .

فلما دفن عمر رضى الله عنه وأرضاه جمع المقداد أهل الشورى في بيت المسور بن مخرمة وهم خمس معهم ابن عمر — وطلحة غائب — ومضت الثلاث وهم يتشاورون وانتهى الأمر بمبايعة عثمان رضى الله عنه بطريق الشورى التى لم يدخر عبد الرحمن بن عوف بقية من جهد الا وبذله كى تكون النتيجة معبرة عن الحق واختيار المؤمنين . ولا عبرة

كان طبيعيا ومتفقا مع المنطق ان يتم انتخابه خليفة ثالثا للمسلمين وان تلتقى على انتخابه الأغلبية من أهل العقدة والحل في عاصمة الاسلام . وهو أمر يحتاج الى تفصيل . روى الطبرى قصة الشورى التى تمخضت في نهايتها عن استخلاف عثمان رضى الله عنه على النحو التالى :

ان عمر لما طعن قيل له يا أمير المؤمنين لو استخلفت ؟ قال : من استخلف ؟ لو كان أبو عبيدة بن الجراح حيا استخلفته . فان سألتى ربي قلت : سمعت نبيك يقول انه أمين هذه الأمة . ولو كان سالم مولى ابي حذيفة حيا استخلفته . فان سألتى ربي قلت سمعت نبيك صلى الله عليه وسلم يقول ان سالما شديد الحب لله . فقال له رجل ادلك عليه ؟ عبد الله بن عمر فقال — اى عمر — قاتلك الله والله ما أردت الله بهذا . لا أرب لنا في أموركم . ما حمدتها فأرغب فيها لأحد من أهل بيتى . بحسب آل عمر ان يحاسب منهم رجل واحد . ويسأل عن امر أمة محمد .

أما لقد جهدت نفسى وحرمت أهلى وان نجوت كفافا لاوزر ولا أجر انى لسعيد . وان استخلفت فقد استخلف من هو خير منى — يريد ابا بكر — وان اترك فقد ترك من هو خير منا — يريد النبى صلى الله عليه وسلم — ولن يضيع الله دينه ، فخرجوا ثم راحوا فقالوا يا أمير المؤمنين لو عهدت عهدا . فقال : ما أريد ان أتحمّلها حيا وميتا . عليكم هؤلاء

كتاب أنفذه يقول فيه : أما بعد :  
 فان الله أمر الأئمة أن يكونوا رعاة .  
 وان صدر هذه الأمة كانوا رعاة لم  
 يخلقوا جباة . وان اعدل سيرة أن  
 تنظروا في امور المسلمين فتعطوهم  
 مالهم وتأخذوهم بما عليهم . ثم  
 العدو الذي تنتابون فاستفتحوا عليهم  
 بالوفاء . وان الله خلق الخلق  
 بالحق . فلا يقبل الا الحق » .

أما عن أول قضية واجهت عثمان  
 رضى الله عنه فهى عبادة الله بن  
 عمر . ماذا فى شأنه . يذكر المؤرخون  
 أن عبد الرحمن بن أبى بكر رضى  
 الله عنهما قاتل بعد أن طعن عمر :  
 مررت على أبى لؤلؤة عشى أمس  
 ومعه جفينة والهرمزان وهم نجوى  
 ( يتهايمسون ) فلما رهقتهم (ضيقت  
 عليهم ) ثاروا وسقط خنجر له راسان  
 نصابه فى وسطه فانظروا بأى شىء  
 قتل ، وكان قد تخلل أهل المسجد  
 رجل من بنى تميم خرج فى طلب أبى  
 لؤلؤة فأمسكه منصرفه عن عمر حتى  
 أخذه فأجهز عليه وجاء بالخنجر الذى  
 وصفه عبد الرحمن فسمع بذلك عبید  
 الله بن عمر فأمسك حتى مات عمر  
 ثم اشتعل بالسيف فأتى الهرمزان  
 فقتله ثم مضى حتى أتى جفينة فعلاه  
 بالسيف ثم قتل ابنة أبى لؤلؤة .  
 واستطاع سعد بن أبى وقاص أن  
 ينزع منه السيف ويتمكن منه ويحبسه  
 فى بيته . فلما بويع عثمان جلس فى  
 المسجد وطلب احضار عبید الله  
 ليفصل فى أمره . وطلب الخليفة  
 الرأى قائلا أشيروا على فى هذا  
 الذى فتق فى الاسلام ما فتق .  
 فقال على أرى أن تقتله . فقال

لرأى خلاف ذلك . فحينما بايع  
 عبد الرحمن عثمان تراحم الناس  
 لمبايعته عند المنبر . وكان ذلك فى  
 يوم الاثنين آخر شهر ذى الحجة  
 سنة ٢٣ هـ فاستقبل بخلافته المحرم  
 من سنة ٢٤ هـ . واذ تمت بيعته  
 صعد منبر رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم فخطب الناس فقال بعد  
 ان حمد الله وأثنى عليه : انكم فى  
 دار ثلعة — أى رحلة — وفى بقية  
 أعمار فبادروا آجالكم بخير ما  
 تقدرون عليه . الا وان الدنيا طويت  
 على الغرور فلا تغرنكم الحياة الدنيا  
 ولا يغرنكم بالله الغرور . اعتبروا  
 بمن مضى ثم جدوا ولا تغفلوا . فانه  
 لا يفعل عنكم . أين أبناء الدنيا  
 وأخوانها الذين أثاروها وعمروها  
 ومنعوا بها طويلا . ألم تلفظهم ؟  
 أرموا بالدنيا حيث رمى الله بها .  
 واطلبوا الآخرة فان الله قد ضرب  
 لها مثلا وللذى هو خير فقال عز  
 وجل ( واضرب لهم مثل الحياة الدنيا  
 كماء أنزلناه من السماء فاختلط به  
 نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه  
 الرياح ) وقال ( والباقيات الصالحات  
 خير عند ربك ثوابا وخير أملا ) وهى  
 صورة لفظية دقيقة حملت المعانى  
 التى تعبر عن شخصية الخائفة  
 الشيخ الذى بلغ السبعين يومئذ وقد  
 اقتبلت عليه الدنيا ولكنه رغب فيما  
 عند الله لأنه الخير والأمل .

وما لبث حتى أعلن عن منهجه  
 فى ادارة شئون الدولة فيما وجه بن  
 كتيب الى نوابه فى الأمصار وامراء  
 الجند وعامة الناس . وقد كان أول



الروم كانوا سادة البحر وملوك الحرب فيه . ولم تستطع أمة أخرى أن تنافسهم . وكانت أساطيلهم تقسد على المسلمين خططهم في الاستيلاء على المدن الساحلية في مصر والشام . لذا فطن المسلمون لتكوين القوة البحرية لحماية الشواطئ ومنع سفن العدو من الاقتراب منها . ووصل الأمر من جدية المسلمين بالاستيلاء على جزيرة قبرص واتخاذها قاعدة لأسطولهم عام ٢٧ هـ .

ورغم الانجازات الكبيرة التي تذكر بالتقدير لخلافة عثمان فان هناك انجازا آخر عظيما هو المصحف الامام الذي ظل اثره ولا يزال باقيا الى يوم القيامة . ذلكم هو توحيد المسلمين جميعا على قراءة واحدة للقرآن هي لفظة قريش تضمنها المصحف الذي امر عثمان بكتابته وانتساح بعض نسخ منه وزعها على الأمصار الاسلامية الكبرى والزم الناس بها وأمر بحرق ما عداها من المصاحف . وبهذا العمل الجليل زال شبح الاختلاف على كتاب الله الذي هو أساس قوة المسلمين ووحدتهم . بل هو مصدر حياتهم وهدايتهم . اليس قد أوصاهم النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بقوله ( تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا أبدا كتاب الله وسنتي ) .

وتتجدد ذكرى عثمان العطرة كلما أمسك مسلم بمصحفه منذ ذلك اليوم والى أن تقوم الساعة تحقيقا

بعض المهاجرين قتل عمر بالأمس ويقتل ابنه اليوم . وهكذا واجه عثمان في أول أيام ولايته موقفا صعبا ودقيقا . لكنه تمكن من التغلب عليه قال رضى الله عنه : أنا ولى هؤلاء القتلى وقد جعلتها دية واحتملتها في مالى . ولا شك أن هذا الاجتهاد وفق له الخليفة وقضى به على بوادر خلاف في الرأي حول هذه القضية . نعم كان يمكن أن يكتفى بالاقتراب من قاتل عمر بقتله طالما ارتكب الجريمة وحده . لكن عبيد الله - الذى استمع الى مقالته عبد الرحمن ابن الصديق بسقوط الخنجر الذى قتل به عمر - كان قد تعمق لديه الاحساس بأن هؤلاء الثلاثة قد دبوا معا لقتل أبيه . وعمر ليس شخصية عادية . فهو خليفة المسلمين وقتله ليس جريمة عادية . بل لا بد من رعوس أخرى قد جمع بينهم الحقد على الاسلام وخيفتهم . تلك أول قضية واجهها عثمان رضى الله عنه وهدى في معالجتها وارتاح لتصرفه المسلمون .

ثم أقبل الخليفة على مباشرة مسئولياته في الفتح . والجيوش تواصل رفع لواء الاسلام . وتحقق الانتصار على أعداء الله في الجبهات كلها . ومن الجدير بالذكر أن المعارك في هذا العام قد شهدت الفصل الأخير من حياة آخر ملوك فارس وطويت صفحته . وفي الشام نجح معاوية في تطهيره من بقايا الوجود الرومانى علاوة على بدأ فتح افريقيا وتكوين الأسطول البحرى . لأن

لوعده الله ( انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ) .

وبقيت الفتنة وهو حديث يثير في نفس كل مؤمن مشاعر الأسى والالام . ولا بد لنا من تحرى الصدق فيه . فقد كثر حوله الاختلاف والروايات . ويكفى ما تركت في حياة المسلمين ونفوسهم جرحا لم يندمل بعد . وهذه الفتنة لم تنشأ فجأة . ولم ترتبط بحادث واحد . وانما هى أحداث ومواقف تراكم بعضها فوق بعض . ولقد كان من الابتلاء أن تتعجر في هذه الفترة المثالية من تاريخ الدولة الاسلامية حيث بدأ المجتمع أو الجيل الأول الذى عاش الدعوة وصاحب النبى صلى الله عليه وسلم ينقص شيئا فشيئا بالرحيل في جوار الله ويحل محله جيل آخر أقل من سلفه في قوة الايمان واثير الآخرة والقيام بحقها . يحدث ذلك في الوقت الذى فتح الله فيه على المسلمين الفتوح وأجرى بين أيديهم الأموال وبسط لهم في الملك فاتسع سلطان المدينة ليشمل جزيرة العرب والعراق وفارس والشام ومصر وبعض الجزر في البحر المتوسط . هذا التطور في المجتمع الاسلامى الذى ضم الى غير العرب اجناسا أخرى . وعثمان رضى الله عنه على تقواه وورعه وفضله وجهاده في سبيل الله — وقد جاء في أعقاب عمر الذى عرف بالشدة والحزم — قد عامل الكثير باللين والسماح لهم بالخروج من المدينة ومزاولة ما يهبون من العقار

والأموال على عكس ما اتبعه عمر معهم رضى الله عنه . ومن مظاهر لين عثمان أيضا استجابته لرغبات المفتونين من أهل الكوفة والبصرة في تغيير الولاية . فكانت هذه الاستجابة اضعافا لسلطان الولاية عليهم . ولقد ترتب على ذلك أن طمعوا في الخليفة ذاته . وتجروا عليه لما رأوا من رقتة وعدم الضرب على أيديهم . فطالبوه في نهاية الأمر بعزل نفسه . ويذكر أيضا في هذا الصدد انه رضى الله عنه وقد ولى الخلافة وهو في السبعين قد أسند الى ذوى قرباه — ثقة منه فيهم — أهم ولايات الدولة فضلا عن الشام التى كان يليها معاوية منذ خلافة عمر . ولم يكن يحاسبهم كما كان يصنع سلفه . مما ادى أن بعضهم كان يقطع الأمر دون أن يرجع الى الخليفة . وأسباب أخرى يطول شرحها كابت سبأ وما سمم به أفكار أهل العراق نحو الوصاية لعلى رضى الله عنه ثم رحل الى مصر ونشر أكاذيبه . واتسعت بذلك الجبهة المناوئة للخليفة . وان ظل نشاطهم حتى ذلك الوقت ٣٤ هـ يتخذ طابع السرية ومكاتبات متبادلة . ووصل الى اسماع عثمان صدى هذا النقد فانتدب أربعة من كبار الصحابة لبحث هذه المسائل والتحرى عن أسباب شكوى أهل الأمصار والوقوف على حقائق الأمور . فأرسل أسامة الى البصرة . ومحمد بن مسلمة الى الكوفة . وعبد الله بن عمر الى الشام . وعمار بن ياسر الى مصر . وعاد

الثلاثة الأولون الى العاصمة دون أن يجدوا ما يبرر هذه الشكايات وأبطأ عمار بمصر . وأراد الخليفة أن يتأكد من صحة تلك النتيجة التي توصل اليها مبعوثوه . وأن يبرىء ساحته أمام ربه ثم أمام رعيته من أى ظلم أو اساءة لحقت أحدا من الناس . فأصدر منشورا وزع في الأمصار يطلب من كل ذى حق أو شكوى أن يحضر الى مكة في موسم الحج لتقديم شكواه الى الخليفة ليقتص ممن ظلمه وينتصف له . وتوافد الناس على مكة عام ٣٤ هـ للحج وانتهى الناس من مناسكهم وأخذوا يعودون الى امصارهم . غير أن فريقا من الحاقدين على عثمان من الكوفة والبصرة ومصر قد وصلوا المدينة وأجمعوا امرا بيتوا له بليل— أن يذكروا له امورا . فان خرج منها والا خلعهناه أو قتلناه — وعلى الرغم من أن الخليفة قد تمكن من معرفة نواياهم . وعلى الرغم أيضا أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أشاروا عليه بقتلهم وأن يريح الأمة من خطرهم وخروجهم على امامهم ويقضى على الفتنة في مهدها . ولكن عثمان لان كعاداته وقال : نعفو ونبصرهم . وكانت ثقته فوق اية احتمالات . ومهدت الامور ليجل بالأمة ما حل من هول عظيم وليقع بالخليفة ما وقع من تجاوز لحرمة وعدوان عليه وهى المرحلة الأخيرة في خلافة عثمان . وفي أواخر العام الخامس والثلاثين حوصر رضى الله عنه ومنع من الخروج للصلاة وتجاوز

الحصار العشرين يوما . وانقض عليه المفتونون وهو يقرأ في كتاب الله هادئا ساكنا . فقتل رضى الله عنه شهيدا في ذمة الله في شهر ذى الحجة ٣٥ هـ

على هذا النحو المؤلم والموجع انتهت حياة ثالث الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان راضيا مرضيا بعد أن جاوز الثمانين عاما حياة حافلة بالخير لأحد أوائل السابقين الى الاسلام والمجاهدين في سبيل الله حق الجهاد بالنفس والمال وجليل التضحيات والعمل الصالح . فقد كان استشهاده ختاما للمرحلة الأولى لفتنة عظيمة تعرض لها المسلمون وبداية مرحلة ثانية من هذه الفتنة الكرى التي اكنوت الأمة بشروها مع مطلع العلم السادس والثلاثين من الهجرة . ولا جدال أن هؤلاء المفتونين الخارجين عن الاسلام قد افتروا اثما عظيما وقتلوا نفسا حرم الله قتلها الا بالحق . فهم يحملون اوزارهم كاملة . بل انهم ليحملون اوزار جرائم وآثام أخرى ترتبت على فعلتهم المنكرة فهم شركاء في قتل خيار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : طلحة والزبير وعلى وعشرات الألوف من المسلمين الذين ذهبت ارواحهم في معارك الفتنة الطاحنة وأحداثها الدامية التي تتابعت ابان خلافة رابع الراشدين على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين وختم لنا بالإيمان .

أحمد طه نصر

## الخليفة الرابع

رضي  
الله  
عنه  
علي بن أبي طالب  
بقلم: أحمد طه نصر

وكان علي بن نصيب النبي صلى الله عليه وسلم وانتقل الى بيته صبيبا صغيرا . فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم كان من الطبيعي أن يكون علي أول من أسلم تبيا . ولكن عن بينة لما رأى النبي وزوجه البارة الطيبة خديجة رضى الله عنها وأرضاها يصليان فيركعان ويسجدان ويقرآن بعض ما أوحاه الله يومئذ الى محمد صلى الله عليه وسلم من القرآن فدهش وسألها : ان هذا الركوع والسجود ؟ فأجابته النبي بما معناه نستجد لله الذى بعثنى نبيا وأمرنى أن أدعو الناس اليه والى عبادة الله وحده لا شريك له ، وترك عبادة الاصنام التى لا تضر ولا تنفع ، ولا تعطى ولا تمنع . واستمع بعض آيات القرآن . فوقع ذلك من قلبه موقع القبول والهداية فأسلم وسنه حوالى العاشرة .

وكان لنشأته فى بيت النبوة الشريف واسلامه فى تلك المرحلة المبكرة من حياته أثرهما البارز فى سجله الرائع مع الاسلام . ومن أشهر مواقفه فى هذا المقام افتداؤه الرسول صلى الله عليه وسلم بنفسه يوم الهجرة

هو علي بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم . من عجب أن أباه وقف حياته يحول بين قريش وبين أن تنال من النبي صلى الله عليه وسلم شيئا يكرهه ، مروءة وشهامة وان كان عى دين قومه . يقول صلى الله عليه وسلم ( والله ما نالت منى قريش شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب ) أما أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم أيضا فقد كانت من السابقات الى الاسلام رضى الله عنها .

ولسد على رضى الله عنه قبيل البعثة بعشر سنوات كما صرح ابن اسحاق ونشأ فى بيت النبوة . وتربى تحت رعاية النبي صلى الله عليه وسلم ذلك أن أباطالب كان كثير العيال قليل المال ، وحدث أن أصابت قريشا أزمة شديدة ، فاقترح محمد صلى الله عليه وسلم على عمه العباس رضى الله عنه — الذى كان من أغنياء بنى هاشم — أن يشتركا فى تخفيف العبء عن أبى طالب بأن يتكفل كل منهما بترية واحد من بنيه . فكان جعفر رضى الله عنه — شهيد مؤته العظيم — من نصيب العباس .

ولذلك توفى النبي صلى الله عليه وسلم وهو راض عنه تماما . فكان احد العشرة الذين بشرهم الرسول بالجنة .

ولئن كان على — مع حسن بلائه وعظيم جهاده في الاسلام — هو رابع الخلفاء الراشدين فان ابا بكر وعمر وعثمان رضوان الله عليهم قد عرفوا له فضله ومكانته في الاسلام . فكان كل منهم يستشير في مهام الأمور قبل ابرامها . وكانت مشورته دائما نعم الراى لما كان يتمتع به من عقل راجح وفكر صائب ورأى سديد وعلم وافر بكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم . وقد مر بك ( في مقال سابق ) أنه كان أحد الستة الذين رشحهم عمر لاختيار أحدهم خليفة بعده . وعلى الجملة فهو كما وصفه السيوطى في كتابه ( تاريخ الخلفاء ) أحد السابقين الى الاسلام ، وأحد العلماء الريانيين والشجعان المشهورين ، والخطباء المعروفين ، وأحد من جمع — حفظ — القرآن العظيم وعرضه على النبي صلى الله عليه وسلم ، والمؤذن في الناس يوم الحج الأكبر في حجة أبى بكر ، براءة الله ورسوله من المشركين بأمر النبي صلى الله عليه وسلم .

وماذا عن بيعته : لحظة استشهاد عثمان رضى الله عنه أصبح المسلمون بدون خليفة . وأصبحت الدولة بغير أمير يتحمل مسئوليتها ويدير شئونها ويرعى مصالح أبنائها ويوفر

الى المدينة بقوله النوم على فراشه تلك الليلة التى تجمع فيها شباب فريش عند منزل النبي صلى الله عليه وسلم نقتله . ولو أن هؤلاء الشباب اتحبوا المنزل واندفعوا بسيوفهم ائيه وقتلوه قبل أن يتبينوه لذهب رضى الله عنه شهيدا كريما . وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد أمره أن يمكث بمكة حتى يؤدى عنه أمانة الودائع التى كانت لديه عليه السلام . ثم يلحقه الى المدينة بأهل بيته ففعل .

وقد آخاه النبي صلى الله عليه وسلم فى المدينة ثم زوجته ابنته فاطمة رضى الله عنها فهو ابن عمه وأخوه وصهره . ولقد شهد الغزوات كلها الا غزوة تبوك حين استخلفه صلى الله عليه وسلم على المدينة . وكان مضرب المثل فى الشجاعة والاقدام . وتواتر لدى المؤرخين حديث بطولته وجراته فى الحرب والنضال ولاسيما يوم الخندق ويوم فتح خيبر . وفيه يقول صلى الله عليه وسلم يومها (لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ) ولقد كان يختاره صلى الله عليه وسلم لحمل لواء المسلمين فى مواطن كثيرة من أجل ذلك .

ومن جانب آخر كان على أحد كتاب الوحي للنبي صلى الله عليه وسلم . ورغم حفظه للكتاب الكريم فقد روى له الصحابة وكبار التابعين أكثر من خمسمائة حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم فهو من كبار علماء الصحابة بالكتاب والسنة .

ومن رواية الطبري — تاريخ  
الرسل والملوك — عن أبي بشير  
العابدي قال كنت بالمدينة حين قتل  
عثمان رضى الله عنه واجتمع  
المهاجرون والأنصار فيهم طلحة  
والزبير فأتوا عليا فقالوا يا أبا  
الحسن : هلم نبايعك . فقال :  
لا حاجة لى فى أمركم ، أنا معكم  
فمن اخترتم فقد رضيت به ،  
فاختاروا . فقالوا : والله ما نختار  
غيرك . قال فاختلفوا إليه مرارا  
بعد ما قتل عثمان . ثم أتوه فى آخر  
ذلك فقالوا له : انه لا يصلح الناس  
الا بامرة وقد طال الأمر . فقال  
لهم : انكم قد اختلفتم الى وانيتم .  
وانى قائل لكم قولا ان قبلتموه قبلت  
أمركم . والا فلا حاجة لى فيه .  
قالوا : ما قلت من شىء قبلناه  
ان شاء الله . فجاء فصعد المنبر  
فاجتمع الناس إليه فقال : انى قد  
كنت كارها لأمركم فأبييتم الا ان أكون  
عليكم . الا وانه ليس لى أمر دونكم  
الا ان مفاتيح مالكم معى الا وانه  
ليس لى ان آخذ منه درهما دونكم .  
رضيتم ؟ قالوا : نعم . قال : اللهم  
اشهد عليهم . ثم بايعهم على ذلك .

ويذكر ابن عبد ربه فى كتابه  
« العقد الفريد » : لما قتل عثمان  
أقبل الناس يهرعون الى على .  
فترأى عليه الجماعة فى البيعة  
فقال : ليس ذلك الحكم . انما ذلك  
لاهل بدر . أين طلحة والزبير وسعد  
فأقبلوا فبايعوا . ثم بايعه المهاجرون  
والأنصار . ثم بايعه الناس ، وعلى

الحماية الكافية لحدودها . ومن  
شأن هذا الوضع الخطير اذا استمر  
اياما ان تضرب الفوضى بانبيائها فى  
المجتمع . ونتيجة ذلك تكون خسارة  
فادحة . ومن رحمة الله بالمسلمين  
ان هدى اهل المدينة الى التفكير فى  
هذا الأمر قبل ان يتفاجم . فأسرعوا  
يبحثون عن الرجل الذى يعتقدون  
انه الأجدر بمواجهة هذا الموقف  
والأقوى على تحمل تبعاته والقيام  
بمسئوليته الجسام . ولم يطل  
تفكيرهم ، فلقد كان منطقياً ان تتجه  
أنظارهم مباشرة الى أولئك الباقين  
من الستة الذين رشحهم عمر للخلافة  
وهم على وطلحة والزبير وسعد .  
ولقد تذكر اهل المدينة ان الاختيار  
قد انحصر بعد وفاة هبيرة بين عثمان  
وعلى . ولقد مات عثمان وبقي  
على . فهو اذن الرجل الذى عنه  
يبحثون فليذهبوا إليه . وليعرضوا  
عليه الخلافة . وليكونوا مطمئنين  
لحسن اختيارهم له . لماذا ؟ لأنه  
الذى يتمتع بالمزايا التى مرت بك :  
سبق للإسلام ، صحبته للنبي صلى  
الله عليه وسلم ، مبشر بالجنة ،  
مرشح من عمر علاوة على مصاهرته  
ورحمته من النبي صلى الله عليه  
وسلم . فأجمعوا أمرهم وانطلقوا  
إليه وطلبوا منه ان يتولى خلافة  
المسلمين . فبماذا أجابهم ؟ هنا  
تكثر الروايات التى أوردها المؤرخون  
وهى تتراوح بين المقبول والمعقول ،  
والذى لا تجد النفس ميلا إليه .  
ومن الحق ان لا يذكر المؤمن الا ما  
يرتاح الى الاقتناع بصوابه وثبوته .

هذا النحو نعت البيعة لعلى بالخلافة في يوم الجمعة الرابع والعشرين من شهر ذى الحجة سنة خمس وثلاثين .  
خامس يوم لاستشهاد عثمان رضى الله عنهم أجمعين .

ويده الا بالحق . لا يحل اذى المسلم الا بما يجب . بادروا قبل الموت فان الناس امامكم وان من خلفكم الساعة تحذوكم . تخففوا تلحقوا . فانما ينتظر الناس اذراهم . اتقوا الله في عباده وبلاده . انكم مسئولون حتى عن البقاع والبهائم . اطيعوا الله عز وجل ولا تعصوه . واذا رأيتم الخير فخذوا به . واذا رأيتم الشر فدعوه .

والحق ان ما يروى بخلاف ذلك مبعثه التوتير الذى ساد المدينة قبيل مقتل عثمان . وان يستقر في الحسبان مكانة هذا المجتمع وأخلاقه وما يتبع به من دين . والذى يطمئن اليه المؤمن تماما ان بيعة على لا تكاد تختلف عن بيعة الثلاثة الراشدين من قبله . وان جمهور الأمة وفي مقدمتهم المهاجرون والأنصار قد اجمعوا على اختياره بارادتهم حتى ورد أن المفتونين قالوا لاهل المدينة : انتم اهل الشورى وانتم تعقدون البيعة والامامة . وامركم عابر — جائز — على الأمة فانظروا رجلا تنصبونه ونحن لكم تبع . وكل الامصار كذلك الا الشاميين الذين يقودهم معاوية لأمر ما .

ثم بدأ في مباشرة مهام خلافته . وكان عليه ان يعالج مسألتين ملحتين عويصتين . فأما الأولى فهى القصاص من قتلة سلفه عثمان . وهؤلاء القتلة ما يزالون بالمدينة غادبن رائحين . ربما تصوروا انهم قوة وأن الخليفة لن ينال منهم شيئا . ولكن جميع من لم يشترك في الاعتداء على عثمان قد غضبوا لمقتله ويريدون ان يتخذ الخليفة الجديد موقفا صارما وسريعا من هؤلاء القتلة المعتدين . فكيف تصرف الخليفة في هذه المسألة؟ في رواية أيضا عن الطبرى تجسد الجواب قال : واجتمع الى على بعد ما دخل طلحة والزبير في عدة من الصحابة فقالوا : يا على انا قد اشترطنا اقامة الحدود وان هؤلاء القوم قد اشتركوا في دم هذا الرجل واطلوا بأنفسهم . فقال لهم : يا اخوتاه انى لست اجهل ما تعلمون . ولكنى كيف اصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم ! هاهم قد نازت معهم عبدانكم وثابت اليهم اعرابكم . فهل

يذكر الطبرى ان اول خطبة خطبها على حين استخاف حمد الله واثنى عليه فقال : ان الله عز وجل انزل كتابا هاديا بين فيه الخير والشر . الفرائض ائوها الى الله سبحانه يؤدكم الى الجنة . وان الله حرم حرما غير مجهولة . وفضل حرمة المسلم على الحرم كلها . وشدد بالاخلاص والتوحيد كلمة المسلمين . المسلم من سلم الناس من لسانه

معاوية الذى كان يومئذ قوة هائلة يحسب حسابها قبل التعرض له بالعزل من جهة . ومن جهة أخرى فان معاوية — ومن خلفه أهل الشام جميعا — قد رفض القبول فيما جرى لعثمان وكل ما ترتب عليه . ولسنا بذلك ننمى أن عليا كان سياسيا . ولكن صلابته في الحق وتشدده فيه أقوى من سياسته . ولهذا فقد بادر بعزلهم جميعا لأنه لم يكن راضيا عنهم .

وقد تمكن الولاة الجدد من الوصول الى أمصارهم ومباشرة عملهم الا سهل بن حنيف فقد منعه جند معاوية من دخول الشام وكتب على السى معاوية يطلب منه البيعة له . فرد معاوية رسوله بدون جواب . وبعد شهرين بعث معاوية الى الخليفة برسالة مكتوب فيها ( من معاوية الى على ) وهى تعنى عدم اعترافه بخلافته ولا يقر له بالطاعة . وسأل على رسول معاوية عن حقيقة الأمر فقال الرسول : انى تركت ورائى قوما لا يرضون الا بالقود . قال : ممن ؟ قال الرسول : من خيط نفسك وتركت ستين ألفا يكون تحت قميص عثمان وهو منصوب لهم قد البسوه منبر دمشق . فقال على منى يطلنون دم عثمان الست موتورا كثرة عثمان . اللهم أبرأ اليك من دم عثمان . ويقول ابن حزم في كتابه — الملل

ترون موضعا لقدرة على شىء مما تريدون ؟ قالوا : لا . قال : فلا والله لا أرى الا رأيا ترونه ان شاء الله حتى يهدأ الناس وتقع القلوب موافعها وتؤخذ الحقوق فاهدعوا عنى وانظروا ماذا يأتىكم ثم عودوا ( بمعنى الانتظار حتى تستقر الأمور ، وتهدأ النفوس وتتم السيطرة على الأوضاع وتكون سلطة الخلافة فوق قوة هؤلاء المتمردين ) وحينئذ فان القصاص نافذ فيمن شارك في قتل عثمان .

وهو رأى واقفه عليه كما ترى زعماء الناس على مضض لأنه لا حيلة لهم ولا للخليفة يومئذ الا فى التريث .

والمسألة الثانية : هى عزل ولاة الأمصار الذين كان أغلبهم سبب شكوى الناس وتذمرهم فى عهد عثمان أو ابقاؤهم لبعض الوقت ريثما يحكم الخليفة قبضته على أزمة الأمور . ولعلنا نذكر أن عليا كان يرى كفره من الناس أن بعض ولاة عثمان وتصرفاتهم هى التى أدت الى كل أو أكثر ما حدث . ولذلك فانه رضى الله عنه ما كادت البيعة تتم حتى بادر السى تعيين ولاة جدد للأقاليم المختلفة . وعزل ولاة عثمان جميعا ولعلها كانت خطوة اتخذت قبل استقرار الأوضاع ، واتمام السيطرة على مقاليد الأمور . وخصوصا بالنسبة لوالى الشام



والنحل - ان معاوية لم يكن ينكر فضل على واستحقاقه الخلافة ،

لكن اجتهاده اذاه الى ان يقدم اخذ القود من قتلة عثمان على البيعة أولا . ورأى نفسه أحق بطلب دم عثمان لقوته على الطلب بذلك ولمكان قرابته من عثمان .

وما لبث طلحة والزبير ان استأذنا عليا في السفر الى مكة فأذن لهما . فوصلها وانضما الى أم المؤمنين في موقفها . وقد كان بنو أمية خرجوا من المدينة عقب مقتل عثمان ولحقوا بمكة وفيهم مروان بن الحكم فتزعم هؤلاء جميعا . واقترحت أم المؤمنين على القوم ان يعودوا الى المدينة . ولكن طلحة والزبير ائفعاها بأن البصرة اصلح لهم . وأخذ القوم طريقهم نحو البصرة مطالبين بالثأر وخارجين على طاعة الخليفة .

واستقر رأى على على الزحف نحو الشام لاخضاع هؤلاء الخارجين عليه وعلى اجماع المسلمين . وفيما هو كذلك اذا بأخبار جديدة تصنه من مكة تغير خططه وتؤجل زحفه الى الشام . فما الذى كان في مكة ؟ كانت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها في طريقها من مكة الى المدينة عندما بلغها نبأ مقتل عثمان واجتماع أهل المدينة على مبايعة على خليفة للمسلمين . فقررت ان لا تعود الى المدينة معلنة بذلك سخطها الشديد ورفضها القوى لما جرى . وعادت الى مكة وهى تتردد ( قتل والله عثمان مظلوما . والله لأطلبن بدمه ) لأن قتله على هذا النحو الاليم كان يثير في نفس كل مسلم فيضا من مشاعر الآسى والحزن . وأم المؤمنين وهى تعلم مكانة عثمان بين كبار الصحابة ومنزلته الأثيرة لدى النبى صلى الله عليه وسلم جديرة بأن تهتز نفسها الما وحزنا ويمتلىء صدرها غضبا من ذلك الذى وقع لعثمان . وربما ظنت ان أهل المدينة

كانت ابناء هذا الزحف هى التى وصلت من مكة الى أمير المؤمنين على . فرأى ان يسارع فيوقف زحفهم ويتدارك أمرهم قبل أن يستفحل . ولكنه لم يتمكن من اللحاق بهم قبل وصولهم الى البصرة التى تمكنوا من السيطرة عليها واخراج واليها بعد جلده وايدائه . وهكذا التقى المسلمون وجها لوجه وتحفزوا لقتال بعضهم بعضا . ولم يعدم المسلمون في هذا الموقف العصبية وجود رجال ذوى عزم ورأى سديد قاموا بدور الصلح . فقد نجح التمتع بن عمرو في ائفان أم المؤمنين . ولكن بعض ضعاف الايمان اشعلوا الفتنة . وقامت حرب طاحنة اشتد

الفوز . وفي اليوم السابع زاد اللهب  
وقتل عمار بن ياسر رضى الله عنهما  
وكان النبي صلى الله عليه وسلم  
قد بشره بأنه ستقتله الفئة الباغية .  
وذلك عندما اشترك مع المسلمين في  
بناء مسجد المدينة . فكان وحده  
يحمل لبنين لبنتين بينما يحمل بقية  
الصحابة لبنة لبنة . وربما تبين لكثير  
من أهل الشام أنهم ليسوا على الحق  
والصواب فامتنعوا عن مباشرة  
القتال . فأسرع معاوية بعلاج الموقف  
قائلا مالكم تخاذلتم ؟ انما قتل عمارا  
من أرسله الينا وانما دفعناه عن  
انفسنا .

وقاد الأشر - وهو من أبرز  
جنود على وأكثرهم بلاء في صفين -  
حملة صادقة على جيش معاوية حتى  
استطاع هو ومجموعته الاقتراب من  
قبة معاوية الذي رأى أن خصمه  
يوشك أن يتم له النصر . حينئذ  
هتف بصاحبه عمرو بن العاص أن  
يعمل على انقاذ الموقف . فأشجار  
عليه برفع المصاحف على أسنة  
الرماح . وأن ينادى الناس بتحكيم  
كتاب الله بين الفريقين . وقد قضت  
فكرة التحكيم بأن يختار كل فريق  
رجلا يمثلهم فاختر اصحاب على  
ابا موسى الأشعري . واختر اصحاب  
معاوية عمرو بن العاص على أن  
يكون القضاء والحكم في دومة الجندل  
في رمضان من نفس العام ٣٧ هـ .

ميا القتال بين الفريقين حتى انجلت  
هذه الوقعة المشئومة - وقعة  
الجمال - عن خسارة هائلة تقدر  
بعشرة آلاف رجل وعودة البصرة  
مرة أخرى الى طاعة على . أما  
أم المؤمنين التي انهزم فريقها فقد  
أكرمها أمير المؤمنين وعاملها بما هي  
جديرة به من التوقير والاحترام وأمر  
لها براحة وزودها بكل ما تحتاج  
اليه في سفرها الى مكة التي قررت  
أن تعود اليها . وكان ذلك في شهر  
رجب عام ٣٦ هـ .

واتخذ على مدينة الكوفة بالعراق  
عاصمة للخلافة بدلا من المدينة .  
واستقر له الأمر عدا الشام واليهما  
معاوية . فخرج أمير المؤمنين الى  
الشام في تسعين الفا من الجند في  
اواخر شوال عام ٣٦ هـ . وخرج  
معاوية في خمسة وثمانين الفا من  
أهل الشام للقاء على وجيشه .  
فالتقى الجمعان في صفين على نهر  
الفرات ولم يقتتلا في أول الأمر ،  
بل تبدلت البعوث والرسل بين على  
ومعاوية غير أنها لم تفلح في اصلاح  
ذات البين . فكانت مناوشات حتى  
كان شهر المحرم عام ٣٧ هـ توقف  
الفريقان تماما عن تلك المناوشات .

ولكن التوتر زاد بين الناس ولم  
ينته المحرم حتى بدأت معركة صفين  
الرهيبه ستة أيام كاملة دون ان  
يتمكن أحدهما من الوصول الى هدف

وهكذا انتهت موقعة صفين التي ذهب ضحيتها عشرات الألوف من الفريقين بينهم مئات من الصحابة وفيهم قراء وعلماء . فكان مصاب الإسلام فيهم عظيما . بعدها تمكن معاوية من إعادة تنظيم صفوفه وجنده . بينما انقسم بعض جند علي عليه منهم الخوارج الذين رفضوا فكرة التحكيم وخرجوا عليه ورفضوا لواء المناهضة وكانوا شوكة في جنب أصحاب علي . ونتيجة التحكيم مأساة أسفرت عن انشقاق الخوارج الذين أصبحوا فريقا ثالثا لا يعترف بعلي ولا بمعاوية . ودارت بينهم وبين علي معركة تعرف بيوم النهروان تمكن فيها علي من القضاء عليهم .

وإذا كانت خلافة علي قد أحاطت بها المشكلات وحاصرتها المتاعب وانتهكتها الحروب فإن الفترة التي أعقبت النهروان لا ريب كانت أعقد فترات هذه الخلافة وأشقها على الإطلاق . وكانت كل الشواهد تدل على أن امر علي إلى انتهاء حتى كانت سنة أربعين للهجرة وكل من على ومعاوية على ما بيده من أقطار الدولة حتى اجتمع ثلاثة رجال من الخوارج هم عبد الرحمن بن ملجم ، وأببرك بن عبد الله ، وعمرو بن بكر . فتذكروا أمر الناس وأحوالهم وقال بعضهم لبعض : لو قتلنا هؤلاء الأثرة فأرحمنا منهم البلاد وثأرنا بهم أخواننا . فقال ابن ملجم أنا أكفيكم علي بن أبي طالب . وقال البرك لنا أكفيكم معاوية . وقال عمرو أنا أكفيكم عمرا . فتعاهدوا وتوآفوا

بالله على ذلك — اليسوا خوارج ايتعاهدون بالله على القتل والغدر — واتفقوا على أن يوم التنفيذ هو السابع عشر من رمضان هذا العام . ٤ هـ — رغم أن رمضان موسم بر وتقوى واغتنام الخير من الله . فأما ابن ملجم فقد وافقت ضربته عليا بسيفه قضاء الله فلم يلبث حتى لحق بربه ، حين فاجأه وضربه لحظة خروجه من منزله لصلاة الفجر في المسجد الجامع . على حين أخطأ البرك وعمرو صاحبيهما فلم يقتلا . وهكذا قضى رضي الله عنه شهيدا بعد أن امتدت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر كاملة . وكانت سنة يوم وفاته ثلاثة وستين عاما . في ذمة الله وجواره مع الصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقا . ونذكر بالثناء الحسن بن علي رضي الله عنهما — وهو رجل سلام — تمكن من حرق دماء المسلمين وكرهه أن يقاتل معاوية لما كان يعرفه من حقيقة أهل العراق الذين كانوا سبب ما لحق أباه ، وأنهم لا يتحقق بهم نصر ولا يوثق لهم بعهد . وما لبث الحسن بعد تبادل الرسل مع معاوية ومبايعته بالخلافة في شهر ربيع الأول عام ٤١ هـ الذي سمى بعام الجماعة بعد عهد طويل من الفرقة والتمزق والبلاء . ولكنهم عادوا إلى الاعتصام بحبل الله التين واستأنفوا مسيرة الفتح الإسلامي . ولله الأمر من قبل ومن بعد . نعم أن الحسن حقق الصلح بين الفئتين من المسلمين غفر الله للجميع انه على ما يشاء قدبر .

**أهدى طه نصر**

## هل من مجيب لنداء القرآن بقلم: أحمد طه نعيم

ان الصراع الذي نشهده اليوم في العالم ظاهرة من ظواهر المجتمع البشرى منذ بدء الخليقة . وكلما تقدمت البشرية في مضمار الحضارة تقدمت كذلك في مخترعات الحرب والدمار . وأخذت تقوض بهذه المخترعات ما أبدع العلم وشادت الحضارة . وصيحات السلام تذهب هباء وتستمر نار حروب متعددة في غير مكان من العالم على مشهد منها . ولا سبب لهذه الحروب الا المطامع من جانب القوى المستعمرة والرغبة في التحرر من جانب القوى التي تنشد الخلاص والحرية . ويوشك العالم أن يكون مههدا بالفناء اذا قامت حرب عالمية . ويوشك بناء الحضارة أن يهدم . ولا عاصم من هذا الدمار وهذا الخطر الا من رحم ربك . وذلك بالرجوع الى ما قرره الاسلام من قواعد الحق والعدل والسلام . أو ليس القرآن الهدى الربانى والحياة الطيبة . الذى يهدى للتي هي أقوم . وهو ينادينا « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم » ١٦ - المائدة .

وما يلجأ الاسلام الى الحرب الا لتقرير حرية الدفاع عن العقيدة الايمانية وحماية الدعوة الى الله حيث يقول سبحانه « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله » ٣٩ - الأنفال .

وفي الدفاع عن النفس ودرء الظلم والعدوان يقول عز وجل - « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله » ٣٩ - الحج .

وفي انقاذ المستضعفين . يقول سبحانه « وما لكم لا تعاطون

في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون  
ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل  
لنا من لدنك نصيرا « ٧٥ - النساء •

ولقد حقق المسلمون الصادقون الانتصار على قوى جائرة كانت  
تطيح برقاب الأحرار • ومكنوا المستعبدين من حرية الاعتقاد والايمان •  
وخلصوا المغلوبين من قيود العذاب • ووفروا للناس جميعا الحياة  
الكريمة • وللحفاظ على هذه الحياة العزيزة أمر الله وأقام نظامه  
وسنته في خلقه على دعائم القوة والاعداد والرباط ، حفظا للسلام  
والأمان وارهابا للعدو والقضاء على أوهامه التي تخيل له النصر  
والغلبة « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون  
به عدو الله وعدوكم » ٦٠ - الأنفال •

والحق لا بد له من قوة تحميه وتدرأ عنه العوادي • والأخذ  
بهذه القوة ليس نزوعا الى الحرب ، ولا طلبا للاستعلاء ، ولا رغبة  
في الهيمنة والاثراء ، ولكنه اجراء واجب حتم ما دام هناك صراع بين  
حق وباطل ، وايمان وطغيان ، وقوى خيرة تبني وتعمر ، وقوة شريرة  
تهدم وتدمر • ومن أجل ذلك شرع الجهاد ليكون سياج الأمة ، وصمام  
أمنها ، ومعقد عزها ، ومناط حريتها •

انها استطرادة ثم تحذير من أمر قد يخشى منه على العرب  
والمسلمين • ان العمل بالكتاب الكريم الذي يحرم موالاة غير المؤمنين،  
ويجعل من المسلمين قوة تحافظ على حقها وسلامتها ، وترفض كل نظام  
أجنبي يقوم على السيطرة والاستغلال والتوسع بأسلوب التآمر والندس  
والخدعة والوشاية ، وذلك لأن خلق غير المسلمين - والتاريخ شاهد  
صدق - لا يبالي بالقيم ولا بالعهود والمواثيق • وكم فعلوا مع الرسول  
صلى الله عليه وسلم والمؤمنين جولات انتهت بتطهير المدينة والجزيرة  
العربية منهم ومن دنسهم وفسادهم •

ولو آمن العرب والمسلمون منهم وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم  
استجابة لله ، وحفاظا على عزتهم ومكانتهم التي شاء الله لهم أن  
يتبعوها : خير أمة أخرجت للناس ، وبومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله

ينصر من يشاء، وأنه لقريب باذن الله فإنه نداء القرآن ومقتضى الايمان .  
فاذا لم ينهض المؤمنون من جميع الشعوب العربية والاسلامية  
وولاية الأمر فيهم - وهو نداء ربانى - فان النتيجة واضحة للعيان ،  
انها قضية ايمان وحياة ، العز في الدنيا والفوز في الآخرة ، والكتاب  
من عند الله وهو يعلم من خلق . وقد أنزله لهدايتهم .

والحال المؤلم الذى تنتظر له القلوب أن الآيات كأنها نزلت  
الساعة تحكى عن فاقدى الايمان البعيدين عن الاهتداء والاستقامة  
على منهجه الذين يرتمون فى أحضان الأعداء ردة منهم وولاية للشيطان  
وخشية فقدان باطل الحياة ، انهم الخاسرون فى الدنيا والآخرة  
« فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن  
تصيبنا دائرة . فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا  
على ما أسروا فى أنفسهم نادمين » ٥٢ - المائدة .

حجة ضعاف القلوب والنفوس مسلوبى العقيدة والايمان .  
يبررون بها موالاتهم وخضوعهم لأوليائهم من المستعمرين حرصا على  
فتنة وزينة الحياة كذبا . فيستحلون حرمت الله لينالوا الحظوة  
لديهم . انها حجة المنافقين من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم  
وحتى تقوم الساعة « بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما . الذين  
يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين . أيتبعون عندهم العزة  
فان العزة لله جميعا » ١٣٩ - النساء .

بل بلغ الأمر ذروته بقوله تعالى « ياأيها الذين آمنوا من يرتد  
منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين.  
أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك  
فضل الله يؤتية من يشاء والله واسع عليم » ٥٤ - المائدة .

قوم يحبهم فيجعلهم أولياءه وناصرين لدينه ويدخرهم ويعصمهم  
من ردة المنافقين وهذا الخلق من أوثق عرى الايمان . فلما حباهم  
بحبه وهدايتهم واعتصموا به وسعدوا بذلك فأحبوا أحبابه وكل ما يجب .  
ومن لوازمه بغض أعدائه وكراهيتهم . ونادى بذلك رسول الله

صلى الله عليه وسلم ( من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان ) رواه أبو داود .  
فالولاء والنصرة والاعتصام — لا الزعم والادعاء — الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا . ( أسمع به وأبصر ما لهم من دونه من ولى ولا يشرك فى حكمه أحدا ) .

وتكون الولاية امامة وقدوة ومثلا أعلى للنبي صلى الله عليه وسلم الذى أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، ليصحح المسار ويوضح المعالم .  
والولاء لكتاب الله الكريم للتلقى عن الله استجابة وإيمانا .  
وليقوم الناس بالقسط .

والولاء يكون لقاء وتعاوناً وتكاملاً وحباً للمؤمنين . صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ، لاقامة الدين ودعوة الحق وعبادة الله وحده ، ليتحقق لهم وعد الله بالتمكين فى الأرض والاستخلاف فيها ، ان ذلك هو طريق الله المستقيم ( انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون . ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون ) ٥٦ — المائدة .

ان ذلك جزء من العقيدة الاسلامية لحياة البر والعز والعافية . والتاريخ يحدثنا أنه ما من أمة اعتمدت على غير الله ووالته أعداءه الا منيت بالهزيمة والذلة والهوان . فهل من مجيب . وقبل فوات الأوان . فان استجبنا لداعى الله فلن يتخلى حاشاه سبحانه عن نصرنا وامدادنا بعونه . ولا يتحقق هذا الا بتضافر القوى وبذل الجهد . وتلك سنة الله فى الوحدة والجماعة . « والذين كفروا بعضهم أولياء بعض . الا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير » ٧٣ — الأنفال .  
لقد كان نبينا صلى الله عليه وسلم يعد عدته ويأخذ أهبطه ويبذل جهده . ثم بعد ذلك يستعين بربه ويستغيثه فيمده بمدده وجنده ونصره ليحق الحق ويبطل الباطل . يوم بدر يدرس موقعه ويستشير خبراءه وينظم جنده ويرفع من معنوياتهم ويزودهم بنور الايمان ويذكرهم بالله ورضوانه ، ويأخذ بكل مقومات النصر ، ولا يمكن

العدو من سبق حتى ولا للماء • ثم يلتحم الجيش ويدعو ربه • فكان ما ذكرت الآيات « اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين • وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم » حتى قوله تعالى « اذ يوحى ربك الى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألنى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان »  
١٢ - الأنفال •

ويوم أحد يوم قيل لهم ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل • فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم » ١٧٤ آل عمران •

ويوم الخندق يحفر بيده ويأخذ حيطته ويحمى ظهره ، ويبعث يخذل عنه العدو • ويصف القرآن « هناك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزلا شديدا » لكنهم « صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر • وما بدلوا تبديلا » وأثنى الله عليهم بقوله « ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما » وتدخلت عناية الله « ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا » ٢٥ - الأحزاب •

ويوم حنين لما أعجبتهم كثرتهم فلم تغن عنهم شيئا • وثبت صلى الله عليه وسلم وكان لندائه وثقته تأثير بتحول الأمر بفضل الله أن ثاب المؤمنون وتداركهم الله بسكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا ومددا من عنده وعذب الذين كفروا، وذلك جزاء الكافرين • أيها المسلمون ان الاسلام انقياد لله واعتصام به وصدق جهاد وصبر على لقاء بقلب واصل بالقوى العزيز ، وتعاون وتناصح وتشاور وتألف وتقبل لنعم الله وشكر عليها ، ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رءوف بالعباد • والله ولى التوفيق •

أحمد طه نصر



# نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ

## بقلم / المعطره نصر

تعالى « الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها . فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى الى أجل مسمى . ان في ذلك آيات لقوم يتفكرون » ومن حديث الصحيحين أمر النبي صلى الله عليه وسلم لكل مؤمن اذا أوى الى فراشه أن يقول : باسمك الله ربى وضعت جنبى . وباسمك أرفعه . ان أمسكت نفسى فأرحمها . وان أرسلتها فأحفظها بما تحفظ به الصالحين » واذا استيقظ يقول « الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا واليه النشور » وآيات أخرى تبين ما وراء الموت منها قوله تعالى « وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ثم اليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون . وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون . ثم ردوا الى الله مولاهم الحق الا له الحكم وهو أسرع الحاسبين » ولذلك يأمرنا سبحانه بقوله « ولا تموتن الا وانتم مسلمون » أى احسنوا العمل في حال الحياة والزموا تقوى الله عز وجل ليرزقكم الوفاة عليه فان المرء يموت غالباً على ما كان عليه . ويبعث على ما مات عليه . وقد أجرى الله سنته بأن

خلق الله الانسان وأفاض عليه الحياة وأحكم أمره وأعذر اليه فهداه النجدين . وأرسل النبيين بالهداية والسلامة واغتنام الدنيا في حياة يسودها الايمان والعمل الصالح . ثم تفارقه الحياة حيناً بالموت . حيث تطوى صفحته ويتوقف رصيده الا من آثار خلفها أراد بها وجه الله وحده . وقد جاء ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث مسلم ( اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث : ولد صالح يدعو له ، وعلم ينتفع به ، وصدقة جارية ) ثم تعود الحياة وفق مشيئة الله سبحانه بالبعث والنشور .

فالموت سنة الله في الخلق جميعاً . وهو سكنون النفس ومفارقة الروح للجسد وعودتها الى بارئها . ثم قبر وبرزخ هو أول منزلة من منازل الآخرة . ولن تموت نفس حتى تستكمل أجلها ورزقها . ويقسم صلى الله عليه وسلم « والله لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون » .

انه سبحانه المتصرف في الوجود بما يشاء . وانه يتوفى الأنفس الوفاة الكبرى بما يرسل من الحفظة الذين يقبضونها من الأبدان . وهناك وفاة صغرى عند النوم — تذكرة لاولى الأبواب — جاء ذلك في قوله

مذكراً المؤمنين أنه قد بلغ وادى ودعا الى الله فلم الغفلة . وماذا لو وافاه الأجل ؟ أوليس بشراً وان كان خيرهم ، وبين أيديكم رسالته ، وفيها هدف الحياة وزاد الآخرة ؟ « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل . أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم . ومن ينتلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً . وسيجزي الله الشاكرين » وتمضى الآيات لتعود محذرة المؤمنين من متابعة الذين كبروا وذنوا بأنفسهم عن الإيمان والجهاد والسعى في الأرض لعمارتها واصلاحها ، وظنوا أن النكوث عن الحق يطيل من أعمارهم وخاب أطلهم « يأبها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كبروا وقالوا لاخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم والله يحيى ويميت . والله بما تعملون بصير . ولئن قتلتهم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون . ولئن كنتم أولي لباباً لالئ الله تحشرون » ثم تقرر الآيات — وهى تعنى المنافقين المرتابين — أنهم بهذا القعود أقرب للكفر منهم للإيمان . ثم تسخر منهم « الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا . قل فادعوا عن أنفسكم الموت ان كنتم صادقين » .

ومسك الختام في هذه الآيات بشرى بالخير والأمن والنعيم المقيم والرضوان من الله الكريم « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً . بل أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين

من قصد الخير وفق له ، ومن نوى صالحاً ثبت عليه ، بعون منه سبحانه .

وقد ذكر الكتاب الكريم مشهداً لجلال الموت — ساعة مهيبة — تتجلى فيها قدرة الله المالك الذى له الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بلقاء الله « فلولا اذا بلغت الحلقوم وانتم حينئذ تنظرون . ونحن اترب اليه منكم ولكن لا تبصرون . فلولا ان كنتم غير مدينين — أى تدانسون وتبعثون وتجزون — ان كنتم غير ذلك فردوا هذه النفس — ترجعونها ان كنتم صادقين » .

فالمؤمن يسلم امره لله باليقين . فان له ما أخذ وله ما أعطى . وغير المؤمن لا يسعه الا العجز والقهر . ومع ضوء الآيات فكل انسان ينتلئ ويدرك ساعتها أى مصير ينتظره وأى منزلة أعدها الله له . انه قرآن ربى أنزله هدى وشفاء .

وجاء مشهد آخر : تجمع وتلف وانفاق ودواء وطبيب لدفع غائلة الموت . لكن الجميع يتيقنون النهاية المحتومة . ولكن المشهد يختم بأكثر من ذلك الى أين ؟ « كلا اذا بلغت التراقي وقيل من راق . وظن أنه الفراق . والتفت السباق بالسباق الى ربك يومئذ المساق » .

ثم جاءت آيات سورة آل عمران بقواعد الإيمان الراسخة في هذا المجال . بدأها سبحانه بذكر شأن الموت ومع النبى محمد صلى الله عليه وسلم — صفوة الله من خلقه —

لا يخلتون شيئاً وهم يخلتون .  
 أموات غير أحياء وما يشعرون أيان  
 يبعثون . الهكم اله واحد فالذين  
 لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم  
 مستكبرون ( ) ومن أضل ممن يدعو  
 من دون الله من لا يستجيب له الى  
 يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون .  
 واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء  
 وكانوا بعبادتهم كافرين ) .

الموت كره للنفس — باستثناء  
 المؤمنين المخلصين — ولذلك تقرر  
 الآيات « قل ان الموت الذى تقرون  
 منه فانه ملائكم » أى يتعقبكم —  
 أينما اتجهتم فهو يرصدكم . وقوله  
 « أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم  
 فى بروج مشيدة » ومن حديث الامام  
 أحمد قوله صلى الله عليه وسلم  
 « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه .  
 ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه » .

وفى الكتاب المبين رد على امانى  
 اليهود الكاذبة ومن سلك سبيلهم أن  
 لهم الآخرة وما فيها من نعيم رغم  
 ما ارتكبه من فساد واعتداء ومخالفة  
 لشرائع الله عن عمد « قل ان كانت  
 لكم الدار الآخرة عند الله خالصة  
 من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم  
 صادقين . ولن يتمنوه أبداً بما قدمت  
 أيديهم . والله عليم بالظالمين » ودفع  
 الأمانى عام للجميع « ليس بأمانىكم  
 ولا أمانى أهل الكتاب . من يعمل  
 سوءاً يجز به ولا يجد له من دون  
 الله ولياً ولا نصيراً . ومن يعمل  
 من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو  
 مؤمن مسأولك يدخلون الجنة ولا  
 يظلمون نقيراً » .

وفى الكتاب أيضاً صور وضيفة

بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون  
 بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا  
 خوف عليهم ولا هم يحزنون .  
 يستبشرون بنعمة من الله وفضل  
 وان الله لا يضيع اجر المؤمنين «  
 وقد أوضح النبى صلى الله عليه  
 وسلم هذه الآيات ، وأن شأن هؤلاء  
 المؤمنين الذين استجابوا لله وجاهدوا  
 مع رسوله شأن كبير لا يقف عند  
 حد الموت أو القتل . ولكن لهم حياة  
 عند الله فى دار جزائه أعظم وأجل  
 من هذه الحياة الدنيا . ذلك ما رواه  
 البخارى من أن ارواحهم فى حواصل  
 طيور خضر تسرح فى رياض الجنة  
 حيث شاءت ثم تأوى الى تناديل  
 معلقة تحت العرش . أما بقيقة  
 المؤمنين فقد روى مالك وأحمد قوله  
 صلى الله عليه وسلم ( انما نسمة  
 المؤمن طائر يعلق فى شجر الجنة حتى  
 يرجعه الله الى جسده يوم يبعثه )  
 ومع الشهداء وقد تمنوا على الله  
 أن يرجعهم الى الدنيا ليقتلوا عدة  
 مرات ، لما رأوا من الفضل العظيم .  
 فقال لهم الكريم « كتبت أن لا يرجعوا »  
 فتمنوا أن يبشروا اخوانهم الذين لم  
 يلحقوا بهم بما صاروا اليه من نعيم .  
 فقال سبحانه ( أنا أبشرهم ) ونزلت  
 الآيات . جمعنا الله بهم فى مستقر  
 رحمته .

ولا يفوتنى التحذير من جهل  
 الكثيرين وفتنتهم باعتقادهم فى أولياتهم  
 وسفاهتهم أنهم أحياء . وزين لهم  
 الشيطان أعمالهم فذهبوا يدعوتهم من  
 دون الله ويتوجهون اليهم بما لا يكون  
 الا لله وحده الحى القيوم . والشراى  
 ينادى ( والذين يدعون من دون الله

صلى الله عليه وسلم « لا يتمنين  
أحدكم الموت لضر أصابه . ان كان  
لا بد فاعلا فليقل اللهم أحيى أن  
كانت الحياة خيراً لى . وتوفى ان  
كانت الوفاة خيراً لى » مع مراعاته  
صلى الله عليه وسلم لفطرة الانسان  
فيقول من حديث الشيخين « يهرم  
ابن آدم ويبقى معه اثنتان الحرص  
والأمل » ويروى مسلم والترمذى  
والنسائى وأحمد عن أبى هريرة  
رضى الله عنه وغيره « أنتهيت الى  
رسول الله صلى الله عليه وسلم  
وهو يقرأ قوله تعالى « الهاكم  
التكاثر » ويقول ابن آدم مالى مالى  
وهل لك من مالك الا ما أكلت فأفانيت  
أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت .  
وما سوى ذلك فذاهب وتاركه الى  
الناس » وكان الله تعالى الرحيم  
بعباده يقول لهم : أشغلكم حب الدنيا  
ونعيمها وزهرتها عن طلب الآخرة  
وابتغائها وتصادى بكم ذلك حتى  
جاءكم الموت وزرتم المقابر وصرتم من  
أهلها .

انها آية تعبر عن ذاتها . وتلتقى  
في النفس بمعناها ورهبتها وتدع  
القلب مهتما بأمر الآخرة عن أهواء  
الحياة الدنيا التى يفتن بها غير  
المؤمنين ، نعم خير الناس من أخذ  
من دنياه ما يعينه على مرضاة الله  
ويكون زادا لآخرته .

أما عن هدى الدين حول الموت  
وما يجب نحوه فالى مقال قادم  
بمشيئة الله تعالى . وصلى الله  
وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى  
آله أجمعين .

أحمد طه نصر

للقدوة والتأسى جاءت على لسان  
أنبياء الله أئمة الهدى صلوات الله  
وسلامه عليهم أجمعين « ووصى بها  
ابراهيم بنيه ويعقوب . يا بنى ان  
الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا  
وأنتم مسلمون » ويوسف عليه السلام  
في مقام ذكر نعم الله والثناء عليه  
وأنه يرجو تمام النعمة بهذه الخاتمة  
« أنت ولى في الدنيا والآخرة توفى  
مسلماً والحقنى بالصالحين » والسحرة  
من قوم فرعون الذين آمنوا وتهدهم  
بالنكال والعذاب . ولكنهم آثروا ما  
عند الله وتضرعوا اليه « ربنا أفرع  
علينا صبراً وتوفنا مسلمين » ثم  
واجهوا الطاغية بثبات الايمان  
« فاقض ما أنت قاض . انما تقضى  
هذه الحياة الدنيا . انا آمنا بربنا  
ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه  
من السحر والله خير وأبقى . انه  
من يات ربه مجرماً فان له جهنم  
ليريموت فيها ولا يحيى . ومن يات  
مؤمناً قد عمل الصالحات فأولئك لهم  
الدرجات العلى . جنات عدن تجري  
من تحتها الأنهار خالدين فيها .  
وذلك جزاء من تزكى » .

وكلمات هادية للنبي صلى الله  
عليه وسلم نستمتع أليها وفيها الخير  
كله . روى أحمد عن جابر رضى الله  
عنهما سمعت النبي صلى الله عليه  
وسلم قبل موته بثلاث يقول  
« لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن  
الظن بالله عز وجل » وروى أيضا  
« من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل  
الجنة فلتدركه ميتته وهو يؤمن بالله  
واليوم الآخر ، وليأت الى الناس  
ما يحب أن يؤتى اليه » وقوله

# هدى الذين عند الموت

بقلم : أحمد طه نصر

ان لله ما أخذ ، وله ما أعطى ، وكل عنده بأجل مسمى • هو وحده الحى الذى لا يموت • سبحانه خلق الموت والحياة ليبلونا أينا أحسن عملا • قضى أجلا ، وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون • الموت حق ، ويقين صدق ، وزائر لا يرد ، نهاية حياة ، وخروج روح ، ومفارقة للأهل والأحباب •

ووصية الله فى كتابه « يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون » وكل أمل المسلم ورجائه أن يختم له بالايمان حيث الناس فريقان : مؤمن يقول الله عز وجل عنه « الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم » ويقول أيضا « وأما ان كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين » ومن حديث الصحيحين قوله صلى الله عليه وسلم عن الملائكة تخاطب روح المؤمن « أيتها الروح الطيبة فى الجسد الطيب كنت تعمرينه أخرجى الى روح وربحان ورب غير غضبان » • أما غير المؤمن والعياذ بالله تعالى فالقرآن قد أعذر • يقول سبحانه « ولو ترى اذا الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسهم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون » • ومع السنة الهادية يقول صلى الله عليه وسلم من حديثي مسلم « من مات وهو يعلم أن لا اله الا الله دخل الجنة » وقوله « لقنوا موتاكم لا اله الا الله » أى المحتضر • والمراد تذكيره بغير أمر أو الحاح لضيق حاله وشدة كربه • ولا يكرر عليه الا أن يتكلم بعده بكلام آخر فيعاد التعريض له به ليكون آخر كلامه •

ومن حديث أحمد قوله صلى الله عليه وسلم « اذا حضرتم موتاكم فأغمضوا البصر فان البصر يتبع الروح وقولوا خيرا فانه يؤمن على ما قال أهل الميت » ساعة الاحتضار • وكفى بالموت واعظا •

تسليم لله ، ورضا بقضائه ، وعمل بما يجب ، وبعد عن السخط ودعوى الجاهلية ، وعن اتباع الشيطان الذى يكيد فى هذه الساعة الحرجة ويبدل كل الكيد من اغراء واضلال — عليه لعائن الله — حتى للأهل لينشغلوا بالمظاهر والمباهاة وترك شعائر الدين • رغم أن الكتاب الكريم أمرنا بالاستعاذة منه ، وخاصة فى هذه الساعة « وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين • وأعوذ بك رب أن يحضرون » ومن حديث أبى داود قوله صلى الله عليه وسلم « وأعوذ بك أن يتخبطنى الشيطان عند الموت » •

ويعلق الامام مالك رحمه الله على تلقين المحتضر : من أن أهل الميت اذا لزموا الصبر وذكر الله ليباعد الشيطان وليتمكن المحتضر من أن يلتقط شيئاً من الخير أمكن أن يختم له بخير •

وقد روى عن قراءة سورة يس على المحتضر حديث ليس بصحيح بل قال فيه الدارقطنى وغيره ضعيف الاسناد ومجهول المتن • لقول الله تعالى عن القرآن فى نفس السورة « ان هو الا ذكر وقرآن مبين لينذر من كان حيا » •

وفى السنة تحذير من كل جاهلية وخاصة النياحة • والمسلم الذى يهمل أهله وزوجه ولا يزودهم بالايمان والتزام الحق ، ولا يبرأ من كل مخالفة قبل موته ويجهز بذلك ويوصى به فلعنه يؤاخذ أو يعذب بجهل أهله عليه ولنسمع لهدى النبى صلى الله عليه وسلم : « ليس منا من ضرب الخدود وثق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية » متفق عليه • وعن أم عطية رضى الله عنها قالت « أخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم عند البيعة أن لا ننوح » متفق عليه • ووجع أبو موسى رضى الله عنه فغشى عليه ورأسه فى حجر امرأة من أهله فأقبلت تصيح برنة — أى بصوت — فلم يستطع أن يرد عليها شيئاً فلما أفاق قال أنا برىء مدن برىء منه رسول الله صلى الله عليه وسلم • ان رسول الله برىء من الصالقة — التى ترفع صوتها نياحة — والخالقة والشاققة « متفق عليه • وقوله صلى الله عليه وسلم « الميت يعذب فى قبره بما نيح عليه » وفى رواية « ما نيح عليه » متفق عليه •

وفي حديث آخر « من نوح عليه فانه يعذب بما نوح عليه يوم القيامة »  
متفق عليه • ومن حديث الترمذى يقول صلى الله عليه وسلم « ما من  
ميت يموت فيقوم باكيهم فيقول واجبلاه واسيداه أو نحو ذلك الا وكل  
به ملكان يلهزانه ( الدفع بجمع اليد في الصدر ) أهكذا كنت » والايامن  
خير عاصم والصبر خير عون على ذلك •

ثم التعجيل ، لأمره صلى الله عليه وسلم من حديث أبى داود  
« وعجلوا فانه لا ينبغي لجيفة مسلم أن تحبس بين ظهري أهله »  
وهديث أحمد في شأن الغسل « من غسل ميتا فأدى فيه الأمانة ولم  
يفش عليه ما يكون منه عند ذلك خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه »  
وقوله صلى الله عليه وسلم « ليليه أقربكم ان كان يعلم • فمن تروونه  
عنده حظا من ورع وأمانة » ومن الحديث المتفق عليه « أن يكون  
الغسل ثلاثا أو خمسا بماء وسدر — كالصابون — وفي الآخر كافور »  
أما المحرم فلا يمس في غسله بطيب ولا تخمر رأسه • فانه يبعث  
يوم القيامة ملبيا • وحديث أحمد وأبى داود أنه صلى الله عليه وسلم  
كفن في ثلاثة أثواب بيض أدرج فيها ادراجا • وأمر المسلمين « كفنوا  
فيها — أى البيض — موتاكم » •

ويجوز للرجل أن يغسل زوجته ، وتغسله هى أيضا ، لحديث  
أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها عند البخارى أنه صلى الله عليه  
وسلم قال لها « لو مت قبلى فغسلتك » وقولها : « لو استقبلت من  
أمرى ما استدبرت ما غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الا  
نساؤه » وقد روى الشافعى أن أبا بكر رضى الله عنه غسل زوجته  
أسماء رضى الله عنها ، وأن عليا رضى الله عنه غسل فاطمة رضى  
الله عنها •

ويستثنى الشهيد من الغسل والصلاة ، وهو من قاتل لتكون  
كلمة الله هى العليا ، فيدفن بثوبه ودمه الا ما كان من حديد فينزع  
عنه • ويجيء يوم القيامة دمه شهيد له ورائحته المسك ينتظرهم صلى  
الله عليه وسلم على الحوض •

أما الغائب الذى يموت بعيدا عن مجتمع المسلمين ، وقد يدفن

بغير صلاة فتجوز عليه صلاة الغائب كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم مع نجاشي الحبشة .  
وكذلك أمر بالصلاة على الطفل والسقط والدعاء لوالديه بالمغفرة  
والرحمة لحديث أحمد .

ومن قتل في حد يصلى عليه كما فعل صلوات الله وسلامه عليه  
ودعا له بخير كحديث البخارى .

أما قاتل نفسه والغال ونحوهما — كتارك الصلاة — فقد امتنع  
عن الصلاة صلى الله عليه وسلم كحديث مسلم .

وصلى الجنازة صلى الله عليه وسلم عند قبر — لأنها دعاء —  
وذلك من الحديث المتفق عليه أنه صلى الله عليه وسلم افتتد امرأة  
كانت تقم المسجد ، وسأل عنها فقالوا ماتت . فقال : أفلا آذنتمنى  
— فكأنهم صغروا أمرها — وما رضى بذلك صاحب الخلق العظيم بل  
قال دلونى على قبرها ليمحو هذا خاطر فدلوه فصلى عليها .

والتكبيرات فى صلاة الجنازة تكون سرا ما عدا الامام — ليعلمهم —  
ويقتصر على رفع اليدين للجميع عند التكبير الأولى فقط لحديث  
الترمذى . ويقف الامام عند رأس الرجل وعند وسط المرأة كما فى  
الصحيحين .

أما تشييع الجنازة فالنبي صلى الله عليه وسلم يقول فى الحديث  
المتفق عليه « من شهد الجنازة حتى يصلى عليها فله قيراط . ومن  
شدها حتى تدفن فله قيراطان . قيل وما القيراطان ؟ قال : مثل  
الجبلىن العظيمين » ومن حديث الصحيحين قوله صلى الله عليه وسلم  
« ما من مؤمن يموت فيصلى عليه أمة من المسلمين يبلغون أن يكونوا  
ثلاثة صفوف الا غفر له » ومن رواية مسلم « أربعون رجلا لا يشركون  
بالله شيئا الا شفعمهم الله فيه » وكان يعزى بعضهم بعضا — مواساة  
وتصبرا — فى المقبرة بعد حضور تشييع الجنازة وحصول العظة بتذكر  
الموت والآخرة والقيام بحق المسلم على المسلم وتنفيذ السنة . وأيضا  
عند الملاقاة فى أى مكان .



ومما يجب تركه والابتعاد عنه ما ابتدعه الناس لغلبة الجهل من الاجتماع في البيوت - والدوار في الريف - للتعزية واقامة المآدب وصرف الأموال من أجل التظاهر والفخر . اذ السلف الصالح لم يكونوا يجتمعون في البيوت ولا غيرها لما في ذلك من مخالفة السنة ، ولأنهم كانوا يعدون هذه الاجتماعات من النياحة المحرمة . روى أحمد عن جرير بن عبد الله البجلي رضى الله عنه قال « كنا نعد الاجتماع الى أهل الميت وصنعة الطعام بعد دفنه من النياحة » فضلا عن السراذقات للمباهاة والرياء وتلقى المجاملة والثناء ، ومن قراء محترفين أشبهوا اليهود الذين اشترى آيات الله ثمنا قليلا ، حيث يسامون عليها ويتغنون بها ابتغاء اعجاب الغافلين . ان القرآن أقدس من أن يؤكل به ، ويستهان بحرمته . انه الهداية في الحياة والصراط المستقيم الموصل الى الله ومرضاته ، ولو أمعنا النظر نجد أن لا عائد على الميت فالدين يقرر « وأن ليس للانسان الا ما سعى » وقد ذكر الحافظ ابن كثير في تفسيره لهذه الآية من سورة النجم أى كما لا يحمل عليه وزر غيره كذلك لا يحصل من الأجر الا ما كسب هو لنفسه . ومن هذه الآية الكريمة استنبط بعض الأئمة أن القراءة لا يصل اهداء ثوابها الى الموتى لأنه ليس من عملهم ولا كسبهم . ولهذا لم يندب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته ولا حثهم عليه ولا أرشدهم اليه بنص ولا ايماء . ولم ينقل ذلك عن أحد من الصحابة رضى الله عنهم . ولو كان خيرا لسبقونا اليه . وباب القربات يقتصر فيه على النصوص ولا يتصرف فيه بأنواع الأقيسة والآراء . فأما الدعاء والصدقة فذاك مجمع على وصولهما ومنصوص من الشارع عليهما . وكلمة حق أنه ما لم يكن ديننا على عهد رسولنا صلى الله عليه وسلم فهو اليوم ليس بدين ، لقوله من حديث مسلم « كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد » .

وتتبعى المبادرة بقضاء ديون الميت ان كان عليه ديون لاخباره صلى الله عليه وسلم في حديث البخارى « نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه » .

ويحرم أن تحدد المسلمة على ميت لها أكثر من ثلاثة أيام الا على زوجها فانها تحدد وجوبا أربعة أشهر وعشرا لقوله صلى الله عليه وسلم « لا تحدد المرأة على ميت فوق ثلاث الا على زوج فانها تحدد عليه أربعة أشهر وعشرا » متفق عليه .

ونهى صلى الله عليه وسلم عن أن نتبع جنازة معها راية - أي الفائحة - والمجامر أيضا وذلك من حديث أحمد . وعند الشيخين « اذا رأيتم الجنازة فقوموا لها » فمن اتبعها فلا يجلس حتى توضع في اللحد . ويقال عند ادخال الميت قبره بسم الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم . ويجوز الدفن ليلا مع توافر الصلاة على الميت لحديث الصحيحين .

روى مسلم وأحمد والترمذي وأبو داود أنه صلى الله عليه وسلم « نهى أن يجصص القبر وأن يبنى عليه وأن يكتب عليه وأن يوطأ » ومن هديه صلى الله عليه وسلم من حديث أبي داود أن يقوم على القبر داعيا ومذكرا . فيقول : « استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت فإنه الآن يسأل ، وأنه ليسمع قرع نعالكم » تصديقا لقول الله تعالى « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة » ومن دعائه صلى الله عليه وسلم « اللهم اغفر له وارحمه واعف عنه وعافه وأكرم نزله ووسع مدخله واغسله بماء وثلج وبرد وأبدله دارا خيرا من داره وأهلا خيرا من أهله . وقره فتنة القبر وعذاب النار » . قال عوف الصحابي رضى الله عنه : فتمنيت أن لو كنت أنا الميت لدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم . رواه مسلم . ووصيته أيضا « اذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء » رواه أبو داود .

روى مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال « يتبع الميت ثلاث أهله وماله وعمله . فيرجع ماله وأهله ويبقى عمله » نعم انه اليقين قد جاءه من ربه . وقد أفضى الى ما قدم ، وقد ذهب الغرور . فالأمر جد بعد الموت . سيسأل من كان يعبد ويرجو ، بمن كان يستعين ويقصد ، فيفوز بمشيئة الله من أخلص دينه لله واستقام على أمره . ويا هناة من عرف القدوة والتأسي بالرسول صلى الله عليه وسلم

وعرف له حقه وطاعته وحبه لأنه الذى اصطفاه الله وأرسله هاديا ومعلما • ويا سعادة من كان له هداية واعتصام بكتاب الله النور المبين، والحبل المتين ايمانا ودراسة وعملا به وتحاكما اليه يتدبره ويتزود به • « والكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت • والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى » •

وخير زاد للمؤمنين هو أمر الله لهم « يأيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة أن الله مع الصابرين » جعلهما الله عدة وعونا • فمن لا صبر له لا عون له • وانما الصبر عند الصدمة الأولى كوصيته صلى الله عليه وسلم • ومن حكمته سبحانه الابتلاء والاختبار • ولذلك يقول سبحانه « ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون • أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون » وحتى نتعلم كلمات العزاء تفسيريا لهذه الآية الكريمة يروى الإمام مسلم عن أم المؤمنين أم سلمة رضى الله عنها تقول « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول : ما أمره الله به انا لله وانا اليه راجعون • اللهم أجزنى فى مصيبتى واخلف لى خيرا منها الا أخلف الله له خيرا منها » وعند أحمد والترمذى يقول الله عز وجل للملائكة الموكلين بالعباد « قبضتم ولد عبدى وثمره فؤاده • فيقولون نعم • فيقول سبحانه ماذا قال عبدى فيقولون حمدك واسترجعك • فيقول : ابنوا لعبدى بيتا فى الجنة وسموه بيت الحمد » وروى الشافعى أنه لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاءت التعزية سمعوا قائلا يقول « ان فى الله عزاء من كل مصيبة وخلفا من كل هالك • ودركا من كل فائت • فبالله فثقوا • واياها فارجوا • فان المصاب من حرم الثواب » ختم الله لنا جميعا بخاتمة الايمان •

• وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله أجمعين •

**أحمد طه نصر**

# العبادة الخالصة طريق إلى الجنة

بقلم : أحمد طه نصر

ان الحياة مطية للكفر ، والمسلم يجب أن يكون حريصا على دينه وعقيدته أكثر من حرصه على الدنيا ، فيعمل على ما يؤدي الى نجاته ، وقوزه في الآخرة لأنها دار القرار . والحق أن العقيدة القرآنية هي أساس الإيمان . والتوحيد هو جوهر هذه العقيدة وروح الاسلام كله . وحماية هذه العقيدة وهذا التوحيد الخالص هو ما يسعى اليه الاسلام في تشريعه وارشاده لتطهير المجتمع من شوائب الشرك وبقايا الضلال . وتطهير العقيدة هو تخليصها من كل ما يعكر صفاءها ونقاءها مما يعلق بها من بدع الضالين المضلين وخرافاتهم . ثم تقييم السلوك بالخلق الحسن والعمل الصالح لبناء مجتمع الأخلاق الذي يحث الاسلام على بنائه . وهذا يقتضى الالتزام بشرع الله ومنهجه في حياتنا كلها حتى نرى الانسان المسلم الذي ينشأ على أثره ويتكون منه المجتمع الإيماني الفاضل .

ويطيب لى أن أسوق هذا الحديث النبوي الكريم . روى الشيخان قوله صلى الله عليه وسلم جوابا على سؤال رجل : أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة . فقال القوم ماله ماله ؟ فقال النبى « أرب ماله : تعبد الله لا تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصل الرحم : ذرها » واقعة على مشهد من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يذكرها هذا الصحابى الجليل أبو أيوب الأنصارى رضى الله عنه . ويسجل الحوار الذى دار بين النبى وبين سائل اعترض طريقه . وكان صلى الله عليه وسلم على براجلته . فأمسك الرجل بزمامها حتى اذا توقفت عن المسير ، خاطب النبى بسؤاله ، وتلقى منه الجواب ، هداية وارشادا الى أركان الاسلام . وأمهاات الفضائل التى تفضى بصاحبها الى الجنة . وهى معقد الرجاء لكل مسلم ، والغاية التى يطمح اليها كل مؤمن ، وهى سلعة الله الغالية ، وفى سبيلها يهون كل صعب ، ويرخص كل غال ، ويطيب كل سعى ، وفى ذلك فليتنافس المتنافسون . يشهد هذه الواقعة مع أبى أيوب جميع من الأصحاب وقد تملكهم العجب من جرأة الرجل وشجاعته الأدبية فى

السؤال ، حيث اتجه على النبي طريقه ، وتعلمت بزمام راحتها . فأخذوا يتساءلون في عجب ودهشة . ماله ماله ؟ كأنما كبر في نفوسهم أن يعترض رسول الله معترض ، وأن يحول بينه وبين مواصلة السير حتى يتلقى الجواب على سؤاله الذي وجهه . ولكن الرسول هداً من تأثرة أصحابه والتمس الرجل عدواً فيما فعل فقال لهم أرب ماله والأرب الحاجة ، . هو المقصد أن لهذا الرجل حاجة ما . هي التي دفعته الى هذا العمل . إن الرجل يريد أن يعرف الطريق الى الجنة ، والأعمال التي تأخذ بيده للدخول الى رضوانها . فيصبح من الوارثين الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون . ثم شرع صلى الله عليه وسلم يخبر السائل بالعمل الذي يدخله الجنة . وتلك مكانته صلى الله عليه وسلم المعلم والامام الذي اختاره الله عز وجل ليبين للناس ما نزل اليهم . وقد جاء في الكتاب الكريم الكثير من الآيات التي توضح هذه الغاية العزيزة : « تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقياً » ٦٣ مريم « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً . خالدين فيها لا يخرجون عنها حولا » ١٠٨ الكهف « ان المتقين في جنات وعيون ادخلوها بسلام آمنين » ٤١ الحجر « فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز » ١٨٥ آل عمران . بدأ صلى الله عليه وسلم بقوله : « تعبد الله لا تشرك به شيئاً » والعبادة بمدلولها اللغوي تعطى معنى التذلل والانقياد والخضوع . تقول طريق معبد : أى ممدد تستطيع السير فيه بسهولة . ومعنى العبادة في الاسلام : انقياد المؤمن لحكم الله وأمره وعبادته وحده لا شريك له . على أن يكون مبعث ذلك حبه سبحانه والخوف منه والرجاء فيه . فالعبادة التي لا تقتنر بهذه الأسس لا وزن لها عند الله . فلا بد من العلم بذلك وتمحيه والاخلاص في ذلك ابتغاء وجهه الكريم . وجميل من الامام ابن القيم رحمه الله أن يقول : فمن أحببته ولم تكن خاضعاً له لم تكن له عبداً . ومن خضعت له بلا محبة لم تكن له عبداً . حتى تكون محباً خاضعاً .

ومن هنا تتفاوت درجات الناس في العبادة الصادقة . فمنهم المخلصون الذين يلتزمون ما جاء به الاسلام . ويتجهون في أعماقهم وأقوالهم

لله وحده (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) « البينة » وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم « ٦١ يس » فاعبد الله مخلصا له الدين • ألا لله الدين الخالص « ٢ الزمر • ومن الناس من لا اخلاص لهم ولا متابعة • وغاية مهم أن يفاخروا بأعمالهم السيئة كالبدع والضلالات وعبادة الموتي وسؤالهم المدد والبركة ، وتقديم القرابين والنذور لهم • وهى أعمال شركية ليست من الاسلام فى شىء • ولعل بعضهم يجد فى أداء هذه الأعمال يحسب أنها تقربه من الله • على حين أنه لا يزداد بها من الله الا بعدا • كالصوفية — وهى زور فى الاسلام — ومريديها الذين يظنون أن اقامة الموالد والتزام الخلوة والتسكح حول الأضرحة عبادة تقرب الى الله • ونسوا أن الله غيور وأنه سبحانه أغنى الشركاء عن الشرك • فمن أشرك معه غيره تركه وشركه • ثم يأتى بعد ذلك الذين يفعلون الطاعات بلا وازع دينى • ولكن لينالوا بذلك ثناء الناس ومحمدتهم • كالرجل يصلى تقليدا ورياء ، ويقا تل حمية وشجاعة ، ويتصدق مباحاة • • فهؤلاء أعمالهم ظاهرها أنها أعمال سالحة مأمور بها • ولكنها غير خالصة لله فلا تقبل عنده • لأنها خداع وزيف ،

والحديث يربط بين العبادة ودخول الجنة • ومن حديث آخر يقول صلى الله عليه وسلم : « أتدرون ما حق الله على العباد • وما حق العباد على الله ؟ حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا • وحق العباد ان هم فعلوا ذلك أن يدخلهم الجنة وأن لا يعذبهم » الشيخان • وهذا يجعل العبادة فى الاسلام واسعة الدلالة شاملة المعنى فليست محصورة فى المسجد كما يتوهم بعض الناس • ولكنها تشمل الحياة كلها بعد التزود بذكر الله وأداء شعائره • معناها أن يؤدى المسلم واجبه نحو ربه ثم نحو نفسه وأسرته ومجتمعه الذى يعيش فيه • فالصلاة عبادة • والسعى على الرزق والمعاش بالوسائل المشروعة عبادة • واماطة الأذى صدقة وعبادة • والجهاد لاعلاء كلمة الله عبادة وذرورة سنان الاسلام • وبهذا يتحول المسلمون جميعا الى عاملين عابدين • ومن هنا كانت العبادة هى الغاية من خلق الله لعباده « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » ٥٦ الذاريات •

ومن أجل العبادة أرسلت الرسل وأنزلت الكتب وجعلت الجنة والنار • والعبادة في أمقها السامى الوضى تعنى الاحسان • وهو أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك • واذا كانت العبادة بهذه المنزلة فان الشرك بالله - والعياذ بالله تعالى - انتكاس في الفطرة، وانطماس في البصيرة ، وظلم للنفس عظيم كقوله تعالى « يا بنى لا تشرك بالله • ان الشرك لظلم عظيم » ١٣ لقمان • وقوله « انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار » ٧٢ المائدة • ومن أشرك فقد قطع صلته بالقوة القادرة التي تدبر أمر هذا الكون • ثم يضرب في تيه من الضلال والحيرة اذ يسوى برب العالمين من يقصدونهم ويدعونهم من دونه من الموتى فاقدى الحياة ، ومن يتخذونهم أولياء ممن يأتمرون بأمرهم ويطيعونهم في نظمهم ويؤثرون رضاهم على مرضاة الله ، ويتبعونهم في آثامهم وفجورهم • ان النجاة والسلامة في اخلاص العبادة لله وحده وافراده بالمحبة والتعظيم والخوف والرجاء •

ثم يقول الحديث : « وتقيم الصلاة » وهي الرباط الروجى الذى يصل بالله • وهى نور يضىء قلب المؤمن وعقله ويشرق في نفسه فيضفى على حياته الطمأنينة والخير ، ويشيع في ضميره العفاف والطهر ، وتقوده الى الصواب والصدق • وفي الحديث ( الصلاة نور ) عملية حصانة وتطهير يومية ظاهرة وباطنة • يروى البخارى قوله صلى الله عليه وسلم ( أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات • هل يبقى من درنه شيء ؟ قالوا : لا يبقى من درنه شيء • قال : فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا ) واذا أقامها المؤمن خاشعا فيها محافظا عليها قامت حاجزا حصينا بينه وبين المعاصى ( وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ) ٤٥ العنكبوت • بل وتحول سيئاته الى حسنات • حيث لا مكان للمأثم أو انحراف ( وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل • ان الحسنات يذهبن السيئات ) ١١٤ هود • والاقامة أبلغ من الأداء • من أقام العود اذا عدله وقومه فهو يأخذ وجهة واحدة • وهى بهذا المعنى معراج المؤمن الى ربه ينجيه ويصل قلبه به يشرف بذلك • وهى زاد الروح تعين المؤمن على التحمل والجلد والثبات « يأبها

الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة « ١٥٣ البقرة . وهي العبادة الوحيدة التي فرضت فوق سبع سموات . وفي الحديث عند أحمد ( أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا حزبه أمر فزع الى الصلاة ) إذا أقامتها جماعة استقام أمرها . وإذا نهض البيت المسلم على الصلاة شب أبناؤه على الصلاح والطهر . ومن هنا يوجهنا القرآن ( وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ) ١٣٢ طه .

ثم يقول الحديث : « وتؤتى الزكاة » وهي أخت الصلاة وأحد أركان الإسلام . وهي مأخوذة من زكا الزرع إذا زاد ونما . لأن اخراجها سبب لنماء المال وزيادته وفي الحديث عند مسلم ( ما نقص مال من صدقة ) ومأخوذة من زكت النفس إذا طهرت ونظفت ( قد أفلح من زكاها ) وذلك أن أداءها تطهير للنفس من الشح والبخ وتطهير للمجتمع من الحقد ونوازع الشر . قال تعالى ( خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ) ١٠٣ التوبة . والحكمة من فرضيتها بعد التطهير هي تقوية الروابط في المجتمع الايماني باعطاء الحق المعلوم للسائل والمحروم ، ليرتفع مستوى الفقراء وليصبحوا أعضاء نافعين وصالحين متعاونين على الخير وتحقيق الصالح العام . ومن هنا تذكر الزكاة بعد الصلاة في الكتاب والسنة المطهرة ، لأن الصلاة تنظم صلة المسلم بربه ، ومتى تم له ذلك جاءت الزكاة لتنظم صلة المجتمع الذي يعيش فيه . وهي برهان على قوة الايمان كقوله تعالى ( قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون الى قوله : والذين هم للزكاة فاعلون ) ١ المؤمنون .

ويقول الحديث : « وتصل الرحم » لأن الاسلام حريص على وحدة الأمة ووحدة المجتمع ووحدة الاسرة وأن تسود علاقات المسلمين بعضهم ببعض روح المودة والتعاون . ودعامة المجتمع الأسرة . فاذا كانت قوية مترابطة نهض على أساسها على البنيان شديد الأركان . والرحم قرابة الانسان وأهله . مأخوذة من « الرحم » الذي هو وعاء الجنين في بطن أمه . وأعلى القرابة من جمعهم رحم أم واحدة . كالأخوة والأخوات ولكن صلة الرحم تشمل الأقارب مطلقا . ومعناها البر بهم والعطف عليهم والاحسان اليهم وزيارتهم اذا غابوا ، ومواساتهم ان نزلت بهم محنة ،



ومشاركتهم السرور عند النعمة ( وألو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ان الله بكل شيء عليم ) ٧٥ الأنفال • وصلة الرحم منزلة عند الله سامية فقد جاء الحديث القدسي عند الترمذي ( أنا الله وأنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها قطعته )

وآية في كتاب الله تدمغ القاطعين وتهدهم هي قوله تعالى ( فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم • أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم ) ٢٣ محمد • ويروى الامام احمد عن النبي صلى الله عليه وسلم في الآثار الطيبة في الحياة لصلة الرحم قوله ( من سره أن يمد له في عمره ، ويوسع له في رزقه ، ويدفع عنه ميتة السوء فليتق الله وليصل رحمه ) وكل ذلك لا يأخذ مكانته وآثاره في ميزان الله الا اذا كان خالصا لوجه الله وابتغاء مرضلته نقيا من الشوائب والأغراض والمنافع • ومن معنى الصلة أن تكون حين يقطع القريب ويهجر ، لقوله صلى الله عليه وسلم عند البخارى ( ليس الواصل بالكافي • ولكن الواصل الذى اذا قطعت رحمه وصلها ) وأعلى درجاتها بر الوالدين • وقد قرن الله برهما بعبادته سبحانه • ومن جمال الاسلام حرصه على هذا البر حتى بعد موتهما لحديث أبى داود أن رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : هل بقى من بر أبوى شيء أبرهما به بعد موتهما ؟ قال نعم الصلاة عليهما - أى الدعاء - والاستغفار لهما ، وإنفاذ عهدهما من بعدهما ، وصلة الرحم التى لا توصل الا بهما ، وإكرام صديقيهما ) وان كانا كافرين لما روى الشيخان عن أسماء رضى الله عنها قالت : قدمت على أمى وهى مشركة فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستفتيته قلت ان أمى قدمت وهى راغبة أفأصل أمى ؟ قال نعم صلى أمك ) مصداقا لقوله تعالى ( وصاحبهما فى الدنيا معروفان ) وهكذا يرشدنا الرسول معلم الخير ونبى البر كيف نحرر أنفسنا وننجيها بعبادة الله وحده لا شريك له • وكيف نطهر أرواحنا بالصلاة • وأموالنا بالزكاة • وكيف نبني الأسرة المسلمة على الحب والتواصل ابتغاء مرضاة الله ليتضح الطريق الى الجنة • والله ولى التوفيق •

# الأعمال بالنيات

بقلم : أحمد طه نصر

ما ليس منه فهو رد » ، وحديث النعمان رضى الله عنه « الحلال بين والحرام بين » وقريب من ذلك قول الحاكم واسحاق بن راهويه وأبى داود .

ومن قول أحمد وابن جرير أنه يجب على كل من عمل عملاً من العبادات وغيرها أن يقدم قصده ونيته ، لظاهر العبارة « الأعمال بالنيات » بمعنى يعالج نفسه إذا أراد عملاً حتى لا يريد به غير وجه الله . وإنما لكل امرئ ما نوى ، وهو أن حظ العامل من عمله نيته . فان كانت صالحاً فعمله صالح وله أجره . وان كانت فاسدة وغير صالحه فعمله ضائع وعليه وزره . لأنه لا ينفعه من عمله الا ما نواه واستهدفه .

والحق أن علماء السنة قد عنوانوا بهذا الحديث . وكثير منهم كان يبدأ به مؤلفه ، اشارة الى ما يجب أن يقوم عليه العمل . منهم الامام النووى والامام ابن رجب الحنبلى الذى افاض فى شرحه . والنية فى اللغة نوع من القصد والارادة . وهى تقع فى كلام العلماء بمعنى التمييز ، وأيضاً اخلاص القصد

روى الشيخان عن امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : انما الاعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى . فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه ) .

يشتمل هذا الحديث على أصل عظيم من أصول الاسلام التى عليها مداره . أصل يقرر حكمة الله فى خلق الانسان وابتلائه له فى هذه الحياة حيث يقول عز وجل « ليلوكم ايكم أحسن عملاً » أصل تتحقق به السعادة فى الدنيا والآخرة . وقد صدر به الامام البخارى رحمه الله كتابه الصحيح بيان أن كل عمل لا يراد به وجه الله تعالى فهو ضائع لا ثمره له فى الحياة ولا فى الآخرة . ومن تعبير أئمة العلم قول الشافعى رحمه الله : « هذا الحديث ثلث العلم » أما الامام أحمد رحمه الله فيقول « أصول الاسلام على ثلاثة أحاديث . حديث عمر ، وحديث أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها المتفق عليه « من أحدث فى أمرنا هذا

ويروى أحمد وابن ماجه عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قوله صلى الله عليه وسلم « من كانت الدنيا همه فرق الله شمله وجعل فقره بين عينيه . ولم ياته من الدنيا الا ما كتب له . ومن كانت الآخرة نيته جمع الله له أمره وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة » .

وعند الشيخين عن سعد رضى الله عنه تولى النبي صلى الله عليه وسلم له « انك لن تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله الا أثبت عليها حتى اللقمة تجعلها في في امرأتك » وانما يتم ذلك بأمرين أحدهما أن يكون العمل في ظاهره موافقا للسنة متابعا للنبي صلى الله عليه وسلم يقينا وهو ما تضمنه حديث مسلم « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » والثانى أن يكون في سريره لوجه الله عز وجل كما في حديثنا . وقوله تعالى « ليلوكم أيكم أحسن عملا » ٢ الملك بمعنى أخلصه وأصوبه . هذا ما أجمع عليه علماء الحديث وقالوا : ان العمل اذا كان خالصا ولم يكن صوابا - أى موافقا للسنة - لم يقبل . واذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل . حتى يكون صوابا خالصا . وقد أكد ذلك الكتاب الكريم « فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا » ١١٠ الكهف . كدعاء

للحصول على ثواب الله والنجاة عنده . كما جاء في كثير من الآيات « منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة » ١٥٢ آل عمران . وقوله تعالى « تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة » ٦٧ الأنفال . وقوله « من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها » الآية ١٥ هود . وقوله « واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه » ٢٨ الكهف . وقوله « ذلك خير للذين يريدون وجه الله » ٣٨ الروم . وعبر القرآن عنها أيضا بلفظ الابتغاء . مثل قوله « الا ابتغاء وجه ربه الأعلى » ٢٠ الليل . وقوله « ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله » ٢٦٥ البقرة . وقوله « وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله » ٢٧٢ البقرة . ومعنى ذلك أن الله خص بثوابه وأجره وقبوله من فعل الخير والبر والفرائض وسائر الأعمال ابتغاء مرضاته طاعة له وشكرا . لقوله تعالى « بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » البقرة .

والسنة أيضا ركزت على هذا المعنى . فقرة من حديث مسلم عن هلك مع قوم وهو كاره . يقول صلى الله عليه وسلم « ولكنه يبعث يوم القيامة على نيته » .

المرأة إذا أتت النبي صلى الله عليه وسلم حلفها بالله ما خرجت من بغض زوج ، أو التماس دنيا ، أو رغبة بأرض عن أرض ، بل ما خرجت الا حبا لله ورسوله وايثارا لمرضاته سبحانه .

وسائر الأعمال كذلك صلاحها وفسادها بحسب النية الباعثة عليها كالجهاد والصدقة والحج والأمر بالمعروف وغير ذلك . وقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن اختلاف الناس في الجهاد من اظهار الشجاعة والعصبية وغيرها : أى ذلك فى سبيل الله . ؟ فتد روى الشيخان عن أبى موسى رضى الله عنه أن اعرابيا أتى النبي فقال : الرجل يقاتل للمغنم ، ويقاثل شجاعة ، ويقاثل ليرى مكانه . فمن قاتل فى سبيل الله ؟ فقال : من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله ( فابطل فى هذا الحديث كل ما سألوا عنه من المقاصد الدنيوية .

كما روى النسائي أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم : أرايت رجلا غزا يلتمس الأجر والذكر ما له ؟ فقال ( لا شيء . ان الله لا يقبل الا ما كان خالصا وابتغى به وجهه ) .

وروى مسلم قوله صلى الله عليه وسلم ( ان أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتى به

مر رضى الله عنه : اللهم اجعل عملى كله صالحا واجعله لوجهك خالصا . ولا تجعل فيه لأحد شيئا . ويستفاد أيضا من الحديث « فمن كانت هجرته الى الله ورسوله . فهجرته الى الله ورسوله » وكون الاعمال بالنيات أن حظ العامل من عمله نيته من خير أو شر . وأصل الهجرة هجران بلد الشرك وأعماله ، والانتقال منه الى دار الاسلام ومجتمع المؤمنين . كما كان المهاجرون قبل فتح مكة يهاجرون منها الى المدينة ليدخلوا فى زمرة المؤمنين ويجاهدوا معهم . فمن هاجر حبا لله ورسوله ، ورغبة فى تعلم الاسلام واظهار دينه ونصرة نبيه صلى الله عليه وسلم ، حيث يعجز عن ذلك فى دار الشرك .. فهذا هو المهاجر حقا . وكفاه شرفا وتوفيقا أن تحقق له ما أراده من هجرته .

ومن حديث آخر « والمهاجر من هجر ما نهى الله ورسوله عنه » ومن كانت هجرته لطلب دنيا يصيبها أو زوجة وغيرها فهجرته الى ما هاجر اليه . قد يكون فى قصده أمر مباح من زواج ومعايش . وقد يكون محرما كمن يترك بلده الى مجتمعات ناجرة كافرة لينغمس معهم . وقد روى الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى ( اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن ) كانت

فعرفه نعمه فعرفها فقال ما عملت ؟ قال قاتلت فيك حتى استشهدت . قال كذبت ولكك قاتلت ليقال شجاع فقد قيل . ثم أمر به فسحب على وجهه حتى القى في النار . ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها فقال ما عملت فيها ؟ قال تعلمت العلم وعلمته ، وقرأت القرآن فيك . قال كذبت ولكك تعلمت العلم ليقال عالم وقرأت ليقال قارئ فقد قيل . ثم أمر به فسحب على وجهه حتى القى في النار . ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال . فأتى به فعرفه نعمه فعرفها . فقال فما عملت فيها ؟ فقال ما تركت من سبيل تحبه أن ينفق فيه الا أنفقت فيها لك . قال كذبت ولكك فعلت ليقال هو جواد . فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى القى في النار ) .

وأحيانا يكون العمل لله ويدخله الرياء . والنصوص تدل على بطلانه أيضا وحبوطه ، للحديث القدسي عند مسلم ( أنا أغنى الشركاء عن الشرك . من عمل عملا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه ) وحديث أحمد والترمذي وابن ماجه قوله صلى الله عليه وسلم ( إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم لا ريب فيه نادى مناد : من كان أشرك في عمل عمله لله فليطلب ثوابه من عند غير الله عز وجل . فان الله أغنى الشركاء عن الشرك ) .

أما من كان قصده خالصا لله ثم كوفئ أو نال اجرا أو غنيمة غير متطلع اليها أساسا . فان ذلك لا يحبط عمله وان نقص من أجره ، لحديث مسلم ( أن الغزاة إذا غنموا غنيمة تعجلوا ثلثي أجرهم . فان لم يغنموا شيئا تم لهم أجرهم ) .

وأیضا إذا عمل العمل لله خالصا ثم القى الله له الثناء الحسن في قلوب المؤمنين — تفضلا من الله ورحمة — واستبشر بذلك لم يضره ، لحديث مسلم أن النبي صلى الله

كما ورد الوعيد على تعلم العلم لغير وجه الله — أعاذنا الله جميعا من ذلك — لحديث أحمد وابن ماجه وأبى داود ( من تعلم العلم مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه الا ليصيب عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة ) كما ورد الوعيد على العمل لغير الله عموما لحديث أحمد ( بشر هذه الأمة بالثناء والعز والرفعة والتمكين في الأرض . فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة من نصيب ) والعمل لغير الله تارة يكون رياء محضا ، بحيث لا يراد به سوى المخلوقين ، كحال المنافقين ،

عليه وسلم سئل عن الرجل يعمل العمل لله من الخير يحمده الناس عليه ؟ فقال : تلك عاجل بشرى المؤمن ) ورواية ( فيحبه الناس عليه ) مع دفع أى خاطرة تمر به - تقيية بالله - ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون ) ٢٠١ الاعراف . وانه لعنى دقيق . وقد روى ابن ابي الدنيا عن سفيان الثوري قال ( ما عالجت شيئا اشد على من نيته لانها تنقلب على ) وفترة من حديث تفيد ذلك وأكثر ( الا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله ، واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهى القلب ) وكذلك لو فسد العمل لله وأن يبين للناس تعليما . . كقول النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع « خذوا عنى مناسككم » وتعليم الوضوء مع رفع الحدث للعبادة ، وامامة الصلاة « صلوا كما رأيتمونى اُصلى » كل ذلك على أصله خالص لله .

وبعد ذلك كله نعود لما ذكره الفقهاء من أن النية أيضا هى التمييز بين العبادات والعمادات . فمثلا الامساك عن الأكل والشرب يقع تارة حمية وعلاجاً ، ومرة لعدم القدرة على الطعام ، وأخرى من أجل عبادة الصوم الذى هو امتثال إيمانى من أجل مرضاة الله . يتميز بذلك رغم اشتراكه فى معنى الامساك .

وكذلك الصدقة تكون نفلا وبذلا وعونا وتكون فرضا : زكاة وكفارة . كسل ذلك يتميز بالنية . وفى كتب

الفقه كثير من هذه الشروح . حتى فى فسخ النية من فرض الى نفل كمن أعطى صدقة فوثقت لغير من أراد ، لما روى البخارى أن رجلا فى عهد النبي صلى الله عليه وسلم كان قد وضع صدقته عند رجل فجاء ولد صاحب الصدقة فأخذها ممن هى عنده . فعلم بذلك أبوه فخاصمه الى النبي فقال ما اياك أردت . فقال النبي صلى الله عليه وسلم للمتصدق لك ما نويت . وقال للأخر لك ما أخذت ) وحتى فى مسائل الأيمان ، فنفو اليمين لا كفارة فيه - وهو ما جرى على اللسان من غير قصد بالقلب . وانما يأتى عفوا اثناء الكلام لا والله وبلى والله - لقوله تعالى ( لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم ) ٢٢٥ البقرة .

والنية هى قصد القلب ولا يجب التلطف بها . وقد نص مالك رحمه الله على ذلك مستندا الى قول ابن عمر رضى الله عنهما : أو ليس الله يعلم ما فى نفسك ؟

وختاما ماذا عن معرفة حق الله وحده فى العبودية الخالصة ، وتمييز ذلك افرادا له سبحانه بالرغبة والرهبنة والامل والرجاء والحب والتعظيم . والقلب الذى يثبت على هذا الأيمان يكتب الله له الهداية والسلامة ( الذين آمنوا ولم يلبسوا أيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ) والله ولى التوفيق .

أحمد طه نصر

# وقد الحمد لله

بقلم: أحمد طه نصر

مرضاته وطاعته . وما صدق ما قاله شيخ المفسرين الامام ابن جرير : الحمد ثناء على الله اثنى به على نفسه وفي ضمنه امر عباده ان يفتنوا عليه . فكأنه قال : قولوا الحمد لله . اما ابن القيم فيذكر ان الحمد يتضمن امر اثبات انواع التوحيد الثلاثة . فان الحمد مدح المحمود بصفات كماله ونعوت جلاله مع محبته والرضى عنه والخضوع له . ومن المعلوم ان فاقد الصفات الكاملة لا يكون الها ولا مدبرا . بل هو مذموم معيب ليس له الحمد . وانما الحمد لمن له صفات الكمال ونعوت الجلال التي لاجلها استحق الحمد وهو الله جل وعلا .

كلمة الحمد كلمة عظيمة يجبها لله . بالحمد اثنى سبحانه على نفسه واقتتح كتابه وعددا من سوره بالحمد . الحمد ضد الذم ، والحمد ثناء على المدوح بصفاته لجلال وجهه وعظيم سلطانه من غير سبق احسان والشكر من الحمد . وهو ثناء على المدوح والمحمود بها اولى وتفضل من احسان . وعلى هذا يكون الحمد اعم من الشكر . ويكون الحمد والشكر لله رب العالمين الذى له الاسماء الحسنى والصفات العلى . وله الفضل وله المنة ، فما من نعمه الا وهى منه سبحانه فله الثناء الحسن الجليل . ولا احد يستطيع ان يحمى ثناء على الله . بل هو كما اثنى على نفسه فهو للحمد اهل . وهو اهل الثناء والمجد . والشكران ايضا ضد الكفران . الا ترى الى قوله تعالى « ليلونى الشكر ام اكثر . ومن شكر هانما يشكر لنفسه . ومن كفر فان ربي غني كريم »

وكلمة الحمد كلمة رضيها الرب المنعم لنفسه واحبها من عباده . وفي الحديث اذا قال العبد الحمد لله قال الله تعالى : صدق عبدي الحمد لي . وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : الحمد لله كلمة كل شاكرا . وان آدم عليه السلام قال حين عطس الحمد لله . واجابته الملائكة بقولها يرحمك الله . وقال الله لنوح عليه السلام « فاذا استويت انت ومن معك على الفلك نقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين . واثنى الله عليه بقوله

وشكر العبد يدور على ثلاثة اركان لا يكون شكورا الا بها . اولها : اعترافه بنعمة الله عليه وعلى العالمين . الثانى : الثناء عليه سبحانه بها . الثالث : الاستعانة بها على

تعالى « انه كان عبدا شكورا » وقال ابراهيم الخليل عليه السلام . « الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسماعيل واسحاق . ان ربي لسميع الدعاء » واثنى الله عليه بقوله سبحانه « شاكرا لانعمه » وعن داود وسليمان عليهما السلام « وقال الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين »

وعلى لسان موسى عليه السلام جاء قوله عز وجل « واذا تأذن ربكم لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد » وقال الله الكريم لامامهم واحمدهم صلوات الله وسلامه عليه وعليهم اجمعين « وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبرا » وهى آية العز . فسبحان من تفرغ عن الصاحبة والولد . لانه الغنى تفرد فى ملكوت الارض والسماء بالعزة والكبرياء . سبحان من استحق قبيها وحده الحمد والثناء : العزيز الوهاب .

وعن اهل الجنة — نسال الله من فضله ان يمن علينا وان يجعلنا من اهلها كرما منه ورحمة — ذكر الكتاب الكريم مقاتلهم « وقالوا الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور » وقولهم « الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله » .

ومع التأمل والتدبر للقرآن الكريم ومنه السور التى ابتداها الله بالحمد والثناء عليه ، سورة الحمد و فاتحة

الكتاب المتبع المثانى والقرآن العظيم ، التى لم ينزل فى التوراة ولا فى الانجيل سورة مثلها ، وهى اعظم سورة فى القرآن العظيم . وهى تحمىل ثناء الله رب العالمين الذى يربى جميع العالمين بنعمه وفضله واحسانه . خلق ورزق وانعم وتكريم وتشخير وعطاء وعفو وستر لانه الرحمن الرحيم . وقد امدهم وزودهم بالرسالات والنبوات هداية وتوفيقا وارشادا ، حتى يؤهلهم للنور والنعم بالجنات فى الآخرة . فهو مالك يوم الدين يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله . ثم توثيق الايمان بوحدانية الله بعهد بين المالك المدير الحى القيوم القريب المجيب والسميع العليم وبين كل عبد ناصح لنفسه معترف بفضل ربه ونعمته . اياك نعبد نخصك بعبادتنا فلا نعبد سواك فانك الاله الحق . وبك المستعان فانك القوى العزيز الذى لا حول ولا قوة الا به . ثم الضراعة الخالصة لله بان يهدينا صراطه المستقيم وان يثبتنا عليه ويهدنا بهونه وتوفيقه .

ثم سورة الانعام المكية التى عالجت وفندت كل الشبه الجاهلية التى اثرت حول العقيدة الاسلامية ، عقيدة التوحيد واخلاص الدين والعبادة لله رب العالمين . وفيها الثناء على الخلاق العظيم خالق السموات والارض . ولخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس ، ولكن اكثر الناس لا يعلمون . وما فيها من



دلائل القسوة والوهنة والوحدانية  
 وتغويه تعالى بالأمر كله . سماء  
 زلزالها بغير عمد . وبمسكها أن  
 تقع على الأرض إلا بأذنه . وما  
 أودعها من آيات . فشمس وضياء  
 وأشراق وغير ذلك مما تقوم به  
 الحياة . وجعل القمر فيهن نورا  
 وقمره منازل لتعلموا عدد السنين  
 والحساب . ما خلق الله ذلك إلا  
 بالحق . وجعل الليل والنهار سكونا  
 ولتبتغوا من فضله . وخلفة لمن  
 أراد أن يذكر أو أراد شكورا .  
 وأنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض  
 بعد موتها وبث فيها من كل دابة  
 وتصريف الرياح والسحاب المسخر  
 بين السماء والأرض . ان الله لذو  
 فضل على الناس ولكن أكثر الناس  
 لا يشكرون . فذهبوا يتخطون جهالة  
 وهمية عن آيات الله فعدلوا خلقه  
 وسبوا بينه وبين عباده بدعاتهم  
 راجين بركتهم ومددهم وتقبيلا أعتابهم  
 وتقديم النذور لهم . ويقولون نجبهم  
 ولكنهم جعلوه كعب الله - حب  
 الخوف والطمع عبادة وشكرا -  
 وسبوا أذانهم عن كتاب وهداية ربهم  
 ومن الناس من يتخذ من دون الله  
 أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا  
 أشد حبا لله . ولو يرى الذين ظلموا  
 أن يرهق العذاب أن للقوة لله جميعا  
 وأن الله شديد العقاب « فضلوا  
 وخسروا الدنيا والآخرة .

وتعالى محورة الكهف وفيها العشاء  
 التجميل على أجل النعم وأعظمها  
 نعمة أنزال الكتاب العظيم وبمئة سيد  
 المرسلين وامام المهتدين صلوات الله  
 وسلامه عليه ، الكتاب القيم ، قيم  
 ومكارم وغايات وآمال . به الاستقامة  
 والقوامة وله والصدارة والهيمنة . هو  
 مصدر الهداية والوثوق . لقد بجاءك  
 الحق من ربك . كتاب أنزلناه اليك  
 مبارك ليذبروا آياته وليتذكر أولو  
 الألباب . لينذر بأسا شديدا من لدنه  
 ويبشر المؤمنين الذين يعملون  
 الصالحات أن لهم أجرا حسنا  
 ماكتفين فيه أبدا . نعمة الله على  
 عباده وحجته على الخلائق أجمعين .

وسورة سبأ وفيها التناء لله  
 العنسى الذي له الملكية الخالدة في  
 السموات والأرض . وما تتسول في  
 غنى يشمل طباق السموات وفجاج  
 الأرض . وله الحمد في الآخرة التي  
 يتجلى فيها سعة ورحمة وشموس  
 مغفرته وعفوه ونعميه للمؤمنين  
 الصالحين . وقد جاء في الحديث  
 القدسي « أعدت لعبادي الصالحين  
 مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر  
 على قلب بشر » فلا تعلم نفس ما  
 أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما  
 كانوا يعملون . الحكيم الذي احكمهم  
 أمر الخلائق ويسر لهم مانيه صلاحهم  
 وقوام حياتهم وهدايتهم . الخبير

اله واحد وليذكر اولو الالباب .  
والى تبس من هدى نبينا صلى  
الله عليه وسلم وهو سيد الشاكرين .

روى ابو داود قوله صلى الله عليه  
وسلم « كل امر ذى بال لا يبدأ فيه  
بالحمد لله فهو أقطع »

روى مسلم انه صلى الله عليه  
وسلم قال : « ان الله ليرضى عن  
العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها  
ويشرب الشرية فيحمده عليها »

وعن اصحاب السنن يقول صلى  
الله عليه وسلم « من قال حين يصبح  
اللهم ما أصبح بي من نعمة او بأحد  
من خلقك فمك وحدك لا شريك لك  
فلك الحمد ولك الشكر ، الا ادى  
شكر ذلك اليوم : واذا قالها حين  
يمسى ادى شكر ليلته »

ويقينا بالحمد وبالشكر يدوم الله  
نعمة . وبهما يزيد سبحانه من فضله  
والله يامرنا ان نترجم الشكر الى  
عمل بمرضاته وحمده على توبيخه .  
حيث يقول سبحانه « اعطوا آل داود  
شكرا وحليل من عبادى الشكور »  
فالحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا  
فيه كما يجب ربنا ويرضى . وصلى  
الله وسلم وبارك على نبينا محمد  
وعلى اله اجمعين .

احمد طه نصر

الذى يعلم من خلق . فسبحان ذى  
الجبوت والكوت والكرياء والعلية  
وسورة الفاطر وفيها الثناء واى ثناء  
فهو الفاطر كما هو الخالق ، كما  
هو المصور .

والفاطر هو الذى فطر وخلق  
وصور على غير مثال سابق . ولكنه  
احسن كل شئ خلقه . صنع  
الله الذى اتقن كل شئ . وليس  
تاصرا على الانسان وحده ، بل لله  
جنود السموات والارض كمال  
الملائكة الكرام البررة من حفظة وكتبه  
وجملة للوحى والموكنين بشئون العباد  
والحياة والموت ، وغير الملائكة ،  
سبحاته يزيد فى الخلق ما يشاء ،  
وكه بتقدير واحكام . ولكن ما اظلم  
الانسان لنفسه حين لا يعبر نعمه  
الله وتفرده بملك وان بيده عز وجل  
وحده الخير وهو على كل شئ قدير .  
فما يفتح الله للناس من رحمة فلا  
ممسك لها . وما يمسك فلا مرسل  
له من بعده وهو العزيز الحكيم ، ثم  
التوجيه من الكريم . « ياايها الناس  
اتكروا نعمة الله عليكم . هل من  
خلق غير الله يرزقكم من السماء  
والارض . لا اله الا هو فانى تؤفكون »  
وكل هذه الايات وغيرها دافعة  
ومنادية للايمان بالرب العظيم المتفرد  
بالمك والسلطان . الذى خلق العباد  
ليعبده ويشكروه وليعلموا انها هو

## مجدد السنة النبوية كضر بقام : أهم طه نصر

وقد أجمع المسلمون الصادقون على الاحتجاج بالسنة مع الكتاب ، واعتبارها مصدرا للفقهاء الاسلامي . ظهروا في الماضي ، ولكن كانوا قوما ولم ينقض هذا الاجماع وجود شواذ بورا ، لا يحسبون بين العلماء بل لا يحسبون بين المسلمين في شيء وليس منهم بقية باقية إلا ما دس بين المسلمين من ناس مفتونين ، في قلوبهم مرض ، أخذوا يزعمون أن الحجة في الاسلام هو القرآن فقط ، وأنكروا أن تكون السنة مبينة ، والأحاديث النبوية واجبة الأخذ بالقرآن . ولا تزال تطلع على شواذ منهم انحرف تفكيرهم وضعف إيمانهم في عصرنا هذا . . .

ومن يك ذا قم جر مريض  
يجد مرا به العذب الزلالا

ولنا أن نتساءل بأى شيء ثبت الدين ؟ فإن اتفقنا أنه ثبت بالقرآن ، فما معنى التبيين الذي أمر الله رسوله ﷺ به ؟ وإذا قلتم إن الرسول بين - وهذا منطلق الإيمان - فما الذي بين به ؟ هل هي الأحاديث التي تضمنتها الكتب الصحيحة التي نقلت لنا القرآن ، أم شيء غير تلك الأحاديث ؟ ونحن المسلمين بحمد الله لا ننكر سنة نبينا . بل نشهد أن لا إله

بكتاب كريم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وبرسول أمين صلوات الله وسلامه عليه - يبين للمؤمنين بمنطقه وسلوكه ما نزل اليهم - مضى الاسلام يشق طريقه ويهدى للتي هي أقوم ، حيث اصطفى الله هذا النبي الكريم وأرسله هاديا ومعلما . والاسلام كتاب ونبي ، قرآن وسنة ، علم وأسوة . وحديثنا اليوم مع السنة الهادية وهي ميراث النبوة .

السنة هي الأصل الثاني من أصول الاسلام . وهي كنز من كنوز الوحي الإلهي . والاجتهاد النبوي الذي أقره الله عليه . وهي فوق ما تشتمل عليه من شرائع وأحكام ، فيها مواظ وعبر ، وجهاد وأخلاق وآداب ، لأن الذي قالها هو الذي قال فيه ربه تبارك وتعالى : « وانك لعلى خلق عظيم » .

والسنة وهي مجموع ما اشتملت عليه من بينات وشرائع وحكم وأخلاق لتنظيم المجتمع واقامة دعائم الفضيلة تدل بصورها عن هذا النبي الأمامي ﷺ والذي نشأ في بلد أمي ، وبين قوم أميين ، على أنه كان يخاطب من عند العلي الحكيم . كما قال سبحانه « وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحي يوحى » .

إلا الله ، وأن محمدا رسول الله المبلغ لدين الله ، والمبين لكتاب الله بسنته بقوله وفعله . والأحاديث إخبار عن السنة ، بثبوتها تثبت السنة ، وقد تكفل الله الكريم بحفظ دينه .

وقد دافع العلماء فى الماضى وردوا على أولئك الجاحدين . وجاء فى بيانهم أن الله سبحانه وتعالى قرن الإيمان به بالإيمان برسوله ﷺ . فقال تعالى « فآمنوا بالله ورسوله النبى الأسمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون » كابن حزم فى كتابه أصول الأحكام : إن الله جعل الإيمان برسوله مقرونا بالإيمان به . وسنة رسوله ﷺ مبينة عن الله معنى ما أراد . ثم قرن الحكمة بكتابه واتبعها إياه . ولم يجعل ذلك لأحد من خلقه غير رسوله . فلم يسع مسلما يقر بالتوحيد أن يرجع عند التنازع الى غير القرآن والخبر من رسول الله ﷺ . ولا يتأبى عما وجد فيهما . فإن فعل ذلك بعد قيام الحجة عليه فهو فاسق . ومن فعله مستحلا الخروج عن أمرهما فهو كافر لاشك عندنا فى ذلك . وابن القيم يشرح هذا الايمان فيقول : هو حقيقة مركبة من معرفة ما جاء به الرسول ﷺ علما ، والتصديق به عقدا ، والاقرار به نطقا ، والانقياد له محبة وخضوعا ، والعمل به ظاهرا وباطنا ، وتنفيذه والدعوة إليه . والشاطبى فى الموافقات : فكانت السنة بمنزلة التفسير . والشرح لمعانى أحكام الكتاب . والسنة يقينا كالقرآن الكريم من جهة أن الاثنين وحى

إلهى . الفرق بينهما ان القرآن وحى إلهى باللفظ والمعنى المتعبد بتلاوته ، والسنة وحى غير متلو ولكنه مقروء . فالاثان متلازمان لا يمكن لمسلم أن يفهم الشريعة إلا بالرجوع إليهما . والإيمان بالنبى ﷺ يوجب طاعته واتباعه . وقد صرحت الآيات الكريمة بالأمر بالاتباع . وفى اعلام الموقعين يقول ابن القيم : أمر الله بطاعته وطاعة رسوله ﷺ . وأعاد الفعل - أطيعوا - إعلاما بأن طاعة الرسول تجب استقلالاً من غير عرض على ما أمر الله به فى الكتاب . بل إذا أمرت طاعته مطلقا سواء كان ما أمر به فى الكتاب أو لم يكن فيه فإنه ﷺ أوتى الكتاب ومثله معه . ومن حديث أبى داود يقول ﷺ : إلا إنى أوتيت القرآن ومثله معه .

وما ورد فى كتاب الله من الرد الى الله والى الرسول . يقول مجاهد وغيره : الرد الى الله أى الى كتابه . والى الرسول أى الى سنته . ومن لم يرجع إليهما فليس مؤمنا بالله ولا باليوم الآخر . وأن الآية دامغة لمن عدل عن الكتاب والسنة بالتناقض حيث يقول سبحانه : رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا .

وان سنة النبى ﷺ هى كمال تبليغ رسالة الله . وهى علم علمه لنبيه . فما كان ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى . وفى ضوء هذه الآية يروى البخارى وأبو داود عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما

الصلوات وتحفظ في الصدور .  
 وكثر حفاظ القرآن في عهده ﷺ .  
 فصارت حماية القرآن من الخط لا  
 بالكتابة فقط ، بل بالكتابة والحفظ  
 والتلاوة والترتيل الذي كثر استجابة  
 لقوله تعالى « ورتل القرآن ترتيلا » .  
 وأيضا لم يكن التدوين في أول الأمر  
 شائعا ولا كثيرا لقلّة من كانوا  
 يكتبون - ومن كان يكتب كان يكتب  
 لنفسه - ولذلك نقلت الأحاديث  
 بطريق الرواية ثم انتشر آخر الأمر .  
 ولا أدل على ذلك مما رواه أحمد  
 والشيخان من قوله ﷺ في حجة  
 الوداع « ليلبغ الشاهد منكم الغائب »  
 وقال أيضا بعد خطبته « اكتبوا لأبي  
 شاه » ..

ومما اتفق عليه أن ديننا الحنيف  
 يقوم على أصلين اثنين . الأول :  
 عبادة الله وحده دون سواه بعد  
 الإيمان به . وأن يكون الدين خالصا  
 له ، تحقيقا لشهادة التوحيد : أشهد  
 أن لا إله إلا الله وحده ولا شريك له .  
 الثاني : أن يعبد سبحانه بما شرعه  
 على لسان رسوله ﷺ مصطفاه  
 وأمينه على وحيه نبينا محمد ،  
 ومتابعته والاهتداء بهديه ، والسير  
 على سنته . وهو تحقيق : وأشهد  
 أن محمدا عبده ورسوله ﷺ .  
 وحينما يتقن الأصحاب الكرام  
 رضوان الله عليهم أجمعين وعرفوا  
 فضل الله ونعمته بالإسلام من كتاب  
 كريم ونبي أمين ، قالوا للرسول  
 ﷺ إنا نحب ربنا . فأنزل الله تعالى  
 ما يرشدهم الى العمل الصادق الدال  
 على ذلك والذي يترتب عليه ما هو  
 أعظم وأعظم . وذلك قوله سبحانه  
 « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني  
 يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله  
 غفور رحيم ، والمعنى أى يحصل لكم  
 فوق ما طلبتم من محبتكم إياه .  
 وهو محبته إياكم . وهو أعظم من  
 الأول ، وتلك مكانته ﷺ في الدين

قال : كنت أكتب كل شيء اسمعه من  
 رسول الله ﷺ أريد حفظه فنهتني  
 قريش وقالوا : تكتب كل شيء  
 تسمعه من رسول الله ورسول الله  
 بشر يتكلم في الغضب والرضا .  
 فأمسكت عن الكتاب وذكرت ذلك  
 لرسول الله ﷺ . فأوما بإصبعه الى  
 فيه فقال : « أكتب فو الذي نفسى بيده  
 ما يخرج منى إلا حق » وروى  
 البخارى عن علي رضى الله عنه أنه  
 سئل هل عندكم كتاب ؟ قال لا إلا  
 كتاب الله ، وفهم أعطيه رجل مسلم  
 وما في هذه الصحيفة . وكان فيها  
 أحاديث عن الديّة وفكّك  
 الأسير ولا يقتل مسلم بكافر « فدل  
 هذا وغيره أن كتابة الأحاديث كانت  
 في عهد النبي ﷺ . ورغب فيها  
 أحيانا . ولا تعارض بين هذا  
 الأصل وما ثبت عنه فيما رواه  
 مسلم أنه ﷺ قال في أول الأمر  
 « لا تكتبوا عنى . ومن كتب عنى  
 غير القرآن فليمحه . وحدثوا عنى  
 ولا حرج ومن كذب على متعمدا  
 فليتبوا مقعده من النار » فلهذا  
 النهى حكمة ، ذلك أن القرآن الذي  
 كان يكتب - وهو معجزة الدين  
 وأداته - وكان ينقل من فم النبي  
 ﷺ . فإذا نقل من فمه غيره ربما  
 اختلط بالقرآن . وكتاب الله الذي  
 ضمن سبحانه أن يحفظه الى يوم  
 القيامة - لأنه حجته الخالدة - كان  
 من أهم وسائل حفظه الا يختلط  
 بغيره ، وألا يكون هناك احتمال  
 للاختلاط بغيره . وكان ذلك في صدر  
 الدعوة الاسلامية ووسطها . ولكن  
 لما كثر نزول القرآن حتى نزل أكثره ،  
 ولم يبق إلا اقله ، وأشرب المؤمنون  
 حبه ، وذاقوا حلاوته وبلاغته ،  
 وسمعوا كلام النبي وعرفوا رتبته ،  
 لم يعد الخط ممكنا ولا محتسلا  
 الوقوع . وخصوصا أن الآيات كانت  
 تتنزل فتلقى وتردد تلاوتها في

كما يفهم من الآية من حديث مسلم  
« من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو  
ره » .

ولا ادري كيف يزعم زاعم بعد  
هذا كله الاستغناء عن السنة . الا  
يكون ذلك زيغا وضلالا ؟ وهل يبتغى  
الهدى من غير هديه وأمره ﷺ .  
الم يقل الله تعالى « فليحذر الذين  
يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة  
أو يصيبهم عذاب أليم » والمسلم  
الصادق لا يضع فى عنقه غلا من  
تقليد زيد أو عمرو . بل يتبع من  
عصمه الله وأيده بروح القدس ،  
وافترض على العباد طاعته  
ومحبته .

والسنة هي الحكمة التي وردت  
مقرونة بالكتاب . يقول سبحانه  
« لقد من الله على المؤمنين إذ بعث  
فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم  
آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب  
والحكمة » وقوله تعالى « وأنزل الله  
عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم  
تكن تعلم وكان فضل الله عليك  
عظيما » ومثل هذه الآيات فى الكتاب  
كثير . ويقول الشافعى ذكر الله  
الكتاب وهو القرآن وذكر الحكمة .  
فسمعت من أرى من أهل العلم  
بالقرآن يقول : الحكمة هي سنة  
الرسول ﷺ أ ه .

وفى الكتاب الكريم يقسم الرب  
العظيم بذاته العلية بنفى الإيمان  
عن لا يحكمونه ﷺ فى شأنهم كله  
بل تمتلئ نفوسهم بالحرص  
والفضاضة ويردون حديثه الثابت  
ويتهمون أئمة الحديث وذلك قوله  
تعالى « فلا وربك لا يؤمنون حتى  
يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا  
فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا  
تسليما » .  
أما المؤمنون الراسخون فى العلم

فإن الله يشرح صدورهم بما هداهم  
للإسلام المتحقق باقتدائهم بإمام الدين  
وطاعتهم لربهم فيما أرشدهم به « لقد  
كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة  
لمن كان يرجو الله واليوم الآخر »  
والآية تؤكد النجاة والفوز برضوان  
الله بهذه القدوة . أى يجب طاعته  
وتحرم معصيته ﷺ . وقد شهد له  
بأنه راشد وعلى الحق المبين وليس  
بضال وذلك فيما أقسم عليه سبحانه  
« والنجم إذا هوى . ما ضل صاحبكم  
وما غوى . وما ينطق عن الهوى .  
إن هو الا وحى يوحى . علمه شديد  
القوى » حاشاه ﷺ فهو صفوة الله  
من خلقه وخيرته من أحبائه ورسله .

وفى ضوء قوله تعالى : وأنزلنا  
اليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ،  
نجد أنفسنا بحاجة اضطرارية لبيان  
ﷺ لكثير من العبادات التي أجملها  
الكتاب الكريم وان اشتمل على  
فرضيتها . فالصلاة بينها ﷺ بيانا  
وأفيا بالعمل والقدوة كقوله « صلوا  
كما رأيتمونى أصلى » والزكاة تولت  
السنة البيان التفصيلى فى النقيدين  
والنعم والزروع وغيرها بكتب أرسلها  
ﷺ الى ولاته والعاملين عليها .  
وكذلك الحج بينت السنة مناسكه  
« خذوا عنى مناسككم » وأحكام وردت  
فى السنة فى الحدود والبيوع . وهو  
هدى استقر به المجتمع الإيمانى  
وصلح به أمر الناس . فجزى الله  
عنا نبينا ﷺ خير ما جزى نبيا عن  
أمته .

وقد تاتى السنة متممة لما ورد فى  
الكتاب الكريم ، كتحریم الجمع بين  
المرأة وخالتها ، وتحریم نكاح المتعة ،  
وتحریم لحوم الحمر والسباع . ومن  
السنن ما يكون جديدا وليس متمما .  
ومن ذلك النهى عن زيارة القبور .  
ثم إباحتها لتذكر الموت والآخرة مع  
الإبقاء على تحريم تعظيمها بما يؤدى

الى عبادتها ، وتحريم النياحة ، وغير ذلك كثير مما لا يستغنى عنه المؤمنون .

ولقد من الله على هذه الأمة الاسلامية فيقضي لها رجالا استعملهم في حفظ السنة وتدوينها ومراجعتها ، ونفى الزيف عنها ، مع تحرى الحق والصدق والأمانة ، ابتغاء مرضاة الله . وكذلك الرد على المبطلين أعداء السنة والهداية والاقتداء بالنبي وبيانه وحديثه - من الزنادقة والرافضة والشيعة ومن فتن بهم . وقد جاء في الحديث « نضر الله عبدا سمع مقالتي فحفظها ووعاها وأداها » ولنا أن نحمد الله على توفيقه وفضله .

إن كل جهد يبذل في سبيل ذلك الهدف النبيل إنما هو جهاد في سبيل الله ، ولتكون كلمة الله هي العليا . كما كان ذلك مع من سبقونا بالإيمان . إذ لا غناء بالسنة عن القرآن ، ولا بالقرآن عن السنة ، لأنها إنارة لطريق الهداية للمسالكين . إن سنة النبي ﷺ هي المحجة الواضحة ، فيها بيان كتاب الله عزوجل ، وبيان شرع الله سبحانه . وهي تبليغ النبي ﷺ لرسالته . فجوهرها أو التكرار لها ورفض الأحاديث الصحيحة الثابتة وهي كما تبين جزء من الدين ، إن هذا الجحود معناه منع لاستمرار أمانة التبليغ . تبليغ هداية الله للناس جميعا .

وعلى المسلمين المخلصين واجب الدفاع والتصدي للمارقين عن هدى الدين ، المفتونين بعقولهم الخرفنة . والنتاولين على أئمة الحديث ، مشاقين بذلك الرسول ﷺ وهديه وبيانه . « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى » وكان عليهم إن أرادوا الهداية والسلامة أن يدرسوا ويثبتوا ويعرفوا ما عليهم من

مسئولية الدين ومتابعة الرسول ﷺ الذي أنزل الله عليه الكتاب نورا وهدى ليخرج الناس من الظلمات الى النور . من ظلمات الجهل والغفلة وغلبة الهوى ، من ظلمات الوثنية والخرافة والفساد والتقاليد البالية ، الى نور الحق والعلم والهداية والبيان والإيمان . وكان ﷺ بين المؤمنين قدوة وإماما يبين لهم حكم الله في كل شيء . فيحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ، بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله بإذنه وسراجا منيرا . وتلك صفته ﷺ « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » .

إن المسلمين حفظوا عنه ما لم تحفظه أمة عن أحد غيره من الأنبياء . صلوات الله وسلامه عليه وعليهم اجمعين . وعلينا أن نسمع ونطيع لما أوصانا به ﷺ فيما رواه أبو داود والترمذي عن العرياض بن سارية رضى الله عنه . قال : وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة وجلت منها القلوب ، وذرفت منها العيون فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا . قال : أوصيكم بتقوى الله عز وجل والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد حبشي . وإن من يعيش منكم فسيرى اختلافا كثيرا .

فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين . عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور ، ومن حديث

الصحيح « من رغب عن سنتي فليس مني » .

فالحمد لله الذي اصطفى لنا هذا الدين القويم ، واختار لنا هذا النبي الكريم . اللهم أجبنا على دينه وتوفنا

بخاتمة الإيمان • وصلى الله وسلم  
وبارك على هذا النبي وعلى آله  
أجمعين واتباعه بإحسان الى يوم  
الدين •

أحمد طه نصر

عليه • واحشرنا في زهرة هذا  
الرسول وتحت لوائه في الآخرة  
وأوردنا حوضه • واسقنا منه شربة  
لا نظما بعدها أبدا • وشفعه فينا  
واجعلنا من أهل شفاعته • واختم لنا



# واحفظوا انما ظم

بقلم / أحمد طه نصر

مع هداية الكتاب الكريم ، وبيان نبينا صلوات الله وسلامه عليه ، نتعرف على سلامة ديننا وصلاح دنيانا ، ونفوز بمرضاة ربنا عز وجل ونعيمه في الآخرة . فماذا عن الأيمان والطف ؟ ومعرفة معناه وما يترتب عليه . الحلف عبادة وتعظيم وتوثيق واشهاد لله . وبذلك تطمئن القلوب وتسكن النفوس . وينعم المجتمع بالثقة والمروءة والصدق في كل شأنه . وهو بهذا المعنى التعبدي كان من حق الله وحده عالم الغيب والشهادة ، ومالك يوم الدين « يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا ، وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا . ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد » .

وآية في كتاب ربنا تهدينا الى التي هي أقوم . يقول سبحانه « ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس . والله سميع عليم » آية واحدة ولكنها دستور ، وبها دعائم ثلاث نتعرف عليها ، فيها استقامة الحياة . وكم يشقى الناس لعدم تزودهم بالدين . ولا سلامة لهم ولا حياة طيبة الا بهذا الهدى والحق من كتاب ربنا عز وجل ، وسنة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم .

الدعائم الثلاث هي : البر ، والتقوى ، والاصلاح بين الناس . ومع هذه الدعائم حتى تتضح الآية الكريمة :

البر هو الايمان الصادق بالله وحده لا شريك له في ملكه . نه سبحانه الخلق والأمر . له الدين خالصا فما بكم من نعمة فمن الله . وأمر أن لا تيعبدوا الا اياه . ذلك الدين القيم . ولكن أكثر الناس لا يعلمون . فمنهم من يتخبط في الظلمات فيشرك بالله باتخاذ هواه الها وبطاعة الشيطان واغرائه ، واتباع الذين كفروا ، وتقديس الموتى

وتعظيم قبورهم وأضرحتهم • فخابوا وخسروا وفقدوا ايمانهم ،  
وحرموا هذا البر • ولن يغنى عنهم ما اتخذوا من دون الله من أولياء  
وشركاء وشفعاء « وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء  
ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة » •

والبر أيضا بعد الايمان بالله عز وجل ايمان باليوم الآخر • والذي  
يؤمن باليوم الآخر يتزود له • وكثير مايراجع أعماله  
ويدخرها لهذا اليوم « يوم لا تملك نفس لنفس شيئا  
والأمر يومئذ لله » وصدق الله العظيم « ان الساعة آتية أكاد أخفيها  
لتجزى كل نفس بما تسعى • فلا يصدك عنها من لا يؤمن بها واتبع  
هواه فتردى » •

والبر كذلك ايمان بالرسل والكتب • رسل من الملائكة حملة  
الوحي • ومنهم الحفظة والكتب الكرام • وآخرون موكلون بشئون  
الحياة والناس حتى نهاية آجالهم فتتوفاهم رسل الله • ورسل أيضا  
من البشر « مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد  
الرسل وكان الله حكيما عزيزا » •

والايمان بالكتب موائد الله وشرائعه وطريقه المستقيم لكل الأمم •  
ونزلت على جميع الرسل الذين اصطفاهم الله • تؤمن بها جميعا أن  
الله أنزلها نورا وهداية ونعمة منه وحجة على عباده ، ايماننا اجماليا  
لقول الله تعالى : « قولوا آمنا بالله وما أنزل اليينا وما أنزل الى ابراهيم  
واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى  
وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون »  
أما مع كتابنا القرآن العظيم فعلى المسلم أن يدرك دينه وعقيدته  
ومنهجه ما استطاع من تدبر آياته ، وأن ينهل من نبعه الصافي ،  
معرفة وعلمًا وذكرًا • ولن يعفيه من ذلك عذر ، لأن الله سائله يوم  
القيامة : ألم يأتك رسولى فبلغك ؟

والبر احسان ومراقبة وخشية لله عز وجل ، وعمل لنيل مرضاه  
وابتغاء وجهه الكريم • ومن الاحسان الانفاق والتصدق « لن تنالوا  
البر حتى تنفقوا مما تحبون » •

أما التقوى فهي اتخاذك من العمل الصالح من طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم والاستقامة على أمرهما ما يقينك سخط الله وعذابه ، وتحظى برضاه وجنته • ومناطق ذلك القلب ومدق صلى الله عليه وسلم حيث يشير الى صدره ويقول « التقوى ها هنا ، التقوى ها هنا » ومن حديث آخر يقول صلى الله عليه وسلم « ألا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب » •

وأما الاصلاح بين الناس فهي صفة خير الناس وأنفعهم للناس مع شروطه من التمكن والفظنة واردة طيبة تسودها العدالة والأمانة عملا بقوله تعالى « فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم » وقوله تعالى « الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس • ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما » • كالحائك الماهر للثوب اذا مزق • فانه يأخذ منه ليداويه ويرقععه حتى يلتئم فتقعه ويتوارى قطعه ويعود لسلامته • فاذا لم يكن حاذقا ولا ماهرا تهلل، الثوب وزاد فتقعه ولا يعود صالحا • ولذلك اهتم الاسلام بالاصلاح • بل ما جاء الا لصلاح الناس في الدنيا والآخرة • وهو ما عناه الحديث باصلاح ذات البين ، وتحذيره صلى الله عليه وسلم من فساد ذات البين لأنها الحالقة التي تؤدي الى الشقاق والتخاذل بين المؤمنين • ويتجاوز الناس والمجتمع بسببه كثيرا من الحدود والآداب •

ونعود الى الآية الكريمة لنجدها توجه المؤمنين أن لا يعرضوا بيمين الله امتناعا عن فعل البر والتقوى والاصلاح • وان الآية نهى عن اتخاذ اسم الله عز وجل ويمينه مانعا من فعل هذا الخير وكل خير ، لأن الله الكريم يجب أن يشمل البر والخير كل الناس • والآية لا تنهى عن الحلف بالله كما يزعم الكثيرون لأن الأيمان شرعت لاثبات حق أو دفع باطل • وقد جاء في الكتاب الكريم في موضع الوثوق والتأييد قوله عز وجل من سورة يونس « ويستنبؤنك أحق هو • قل اى وربى انه لحق » وآية أخرى « وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة • قل بلى وربى لتأتينكم عالم الغيب » ومن الحديث المتفق عليه « فمن كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت » صلوات الله وسلامه عليه •

ويجب تعظيم اسم الله عز وجل ومعرفة قدره وجلاله • فلا يتخذ وسيلة لمنع خير ، أو سلب حق أو ترويح سلعة أو اشاعة كذب •

وأوجب الله الحنث – أى التطل منه – فى اليمين التى تعترض فعل الخير مع أداء الكفارة وعمل الخير • ولذلك أعقب الله الآية بقوله « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم » ومن سورة المائدة « ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان • فكفارته اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة • فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم واحفظوا أيمانكم كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون » • والصيام فى الآية الكريمة لمن لم يجد ما يكفر به من الطعام أو الكساء • ومن هديه صلى الله عليه وسلم فى الحديث المتفق عليه « إذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذى هو خير وكفر عن يمينك » وتنفيذه ذلك صلى الله عليه وسلم حينما جاءه رجال أرادوا أن يحملهم – أى يزودهم بالركائب – فى غزوة تبوك ولم يجد ما يحملهم عليه فحلف ثم حملهم وقال لهم « انى والله ان شاء الله لا أحلف على يمين ثم أرى خيرا الا كفرت عن يمينى وأتيت الذى هو خير » •

والقرآن لا يمتدح الحلاف • وهو كثير الحلف بغير داع الا ليغرر بالناس • وهو يؤدى الى فقدان الثقة وضياع المروءة • فقال سبحانه « ولا تطع كل حلاف مهين » ومن حديث مسلم يقول صلى الله عليه وسلم « اياكم وكثرة الحلف فى البيع فانه ينفق ثم يمحق » ذلك لأن لاسم الله عز وجل قدره تعظيما واجلالا وتوثيقا • وهو قسم تلجأ اليه اذا أحسست ريبة من محدثك • فأنت توثق وتشهد الله المطلع والعليم بما نعمل وما نتكلم به وهو الوكيل على ما نقول • والموعود بين يديه يوم القيامة •

والأيمان الصادقة المشروعة فى الاسلام هى التى تكون باسم الله وحده وبأية صيغة من الصيغ الواردة : بالله ، وتالله ، ووالله ، وربى ، والسذى نفسى بيده ، ومقلب القلوب ، والذى بعث نبيه بالحق • صلى الله عليه وسلم •

والمؤمن الصادق هو الذى ينشأ بين الناس بالصدق والصراحة •  
 وبذلك يكون موضع ثقتهم • ولقد كان صلى الله عليه وسلم مضرب المث  
 فى ذلك • ولقد عاش حياته وعرفته قريش ولقبته بالصادق الأمين •  
 وكان من حوار هرقل ملك الروم مع أبى سفيان رضى الله عنه — قبل  
 اسلامه — هل جربتم عليه كذبا ؟ قال أبو سفيان : ما جربنا عليه كذبا  
 قط • فقال الملك : ما كان ليدع الكذب على الناس ثم يكذب على الله •  
 حاشاه صلى الله عليه وسلم •

والكاذب فى يمينه اما خائف واما جبان أو مجترىء على حرمان  
 الله وهى من غير صفات المؤمنين •

ويستفاد مما تقدم أن الأيمان أربعة : أولها يمين حق حلال  
 ومشروع ويكون باسم الله وحده وله كفارة ان صدر مانعا من فعل خير،  
 وهو موضوع الآية • الثانى يمين لغو يكون على طرف اللسان وباسم  
 الله وحده • وثم له العفو ولا مؤاخذه عليه نفذ أو لم ينفذ • ونصت  
 عليه الآية أيضا « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم » ومن حديث  
 البخارى عن السيدة عائشة رضى الله عنها تقول : أنزلت هذه الآية فى  
 قول الرجل لأخيه لا والله • بلى والله « فمثلا تلقى أخا أو صديقا وبدافع  
 المحبة والود تقول له : والله لتجلسن والله لتشرين • ويعتذر ويشكر الك  
 ويحلف أيضا • ولأنه يحمل معنى التعظيم شمله العفو • والثالث يمين  
 من الكبائر وهو اليمين الغموس يكون باسم الله ولكن كذبا وزورا  
 يمين فاجرة لأن فيه الاستهانة بلفظ الجلالة • وهو غموس لأن فاعله  
 يغمس فى النار الا أن يعفو الله ان تاب صاحبه • يمين باطل يقع كثيرا  
 فى دور القضاء والأسواق الا من رحم ربك — عافانا الله منه — ومن  
 حديث البخارى قوله صلى الله عليه وسلم « الكبائر : الاشرار بالله ،  
 وعقوق الوالدين ، واليمين الغموس » • فقال رجل وما اليمين الغموس ؟  
 قال : « الذى يقتطع به مال امرىء مسلم » — يمين كاذب — ومن  
 المتفق عليه جاء قوله صلى الله عليه وسلم « من حلف على مال امرىء  
 مسلم بغير حقه لقى الله وهو عليه غضبان » ثم قرأ صلى الله عليه وسلم  
 مصداقه من كتاب الله « ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا

أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم» •

ويمين رابع ينقسم الى جزأين وهو الحلف بغير الله كما حذرنا منه صلى الله عليه وسلم لأن فيه تعظيم غير الله وهو شائع بين الكثير من الناس • كقولهم • بالذمة ، بالأمانة ، برأس أبيه ، بأولاده ، الخ يكثر بينهم جهلا بالدين ، وبحكم العادة • أما قسماه فهو ان وقع سهوا والمسلم يعلم بعدم مشروعيته فله كفارة • من حديث البخارى « من حلف فقال في حلفه — بكذا — فليقل لا اله الا الله لا كفارة له الا ذلك » ونهانا عنه النبي صلى الله عليه وسلم من الحديث المتفق عليه « ان الله ينهاكم أن تخلفوا بأبائكم » ومن معنى كفارته وهى الكلمة الطيبة كلمة الاسلام والتوحيد « لا اله الا الله » أن يعود سريعا الى الحق الى أنه لا تعظيم ولا قداسة الا لله وحده • والقسم الثانى أن يجادل ويصر على أن يحلف بما يحلو له ولو كان الحلف بالنبي صلى الله عليه وسلم فانه لا يعبد — وقد وضح أن الحلف عبادة — ولكنه صلى الله عليه وسلم يطاع ويحب ويوقر ، ويقتدى بعد فانه أولى بنا من أنفسنا لأنه يقودنا الى صراط الله المستقيم والى الجنة والنعيم • فالمر على مخالفة هديه صلى الله عليه وسلم يرتكب اثما ينتصح من الأحاديث الآتية : عن أبى داود يقول صلى الله عليه وسلم « من حلف بالأمانة فليس منا » أما الترمذى فيروى عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه سمع رجلا يحلف بالكعبة • فقال ابن عمر « لا تحلف بغير الله فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك » وعند أبى داود يحذرنا صلى الله عليه وسلم « من حلف فقال انى برىء من الاسلام ، فان كان كاذبا فهو كما قال وان كان صادقا فلن يرجع الى الاسلام سالما »

وبهذا يتبين لنا هدى الدين الكريم فى الأيمان • المشروع منها وصيغته الواردة • وكذلك مانهانا عنه صلى الله عليه وسلم • وان الله لهادى الذين آمنوا الى صراط مستقيم • وبالله التوفيق عليه توكلت واليه أنيب • وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله أجمعين

أحمد طه نصر

# المؤمن القوي

بقلم: احمد طاهر

نعم ان الاسلام عز في الدنيا ، وفوز في الآخرة . هو رسالة الرحمة والهداية والاستخلاف والتمكين . رسالة الحياة الطيبة في الدنيا، والنعيم والسعادة في الآخرة . لذلك عنى الكتاب الكريم بتنشئة الأمة الاسلامية ودعوتها الى حياة فاضلة يسودها الجد والاستقامة والبذل والجهاد . وجاء في آياته البينات « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم » وقوله تعالى : « خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون » وقوله سبحانه « لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير اولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم . فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة » ثم يزيدنا « وأنفقوا في سبيل الله ولا تعلقوا بأيديكم الى التهلكة وأحسنوا ان الله يحب المحسنين » « قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين » « والله العزة ولسوله وللمؤمنين » وهكذا يربى فينا ديننا روح الحق والعدل والجهاد والاعداد والسيطرة على كل نواحي الحياة .

ولقد بلغ النبي صلى الله عليه وسلم هذه الرسالة ، وبذل كل طاقته ولم يأل في ذلك جهدا ، ولم يدخر فيه وسعا ، ولم يضق به ذرعا . ولكنه ثابر وجاهد ، وكافح وناضل ، وقاتل وحارب ، حتى علت بذلك كلمة الله عز وجل واتبع شرعه ، ونفذ حكمه . فكان بحق سيد اولى العزم من المرسلين . واستحق أن ينصر بائرعرب في قلوب أعدائه من مسيرة شهر . وقد روى مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال : « المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير . احرص على ما ينفعك واستعن بالله ، ولا تعجز . وان أصابك شيء فلا تقولن

لو أنى فعلت كذا لكان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل • فان  
( لو ) تفتح عمل الشيطان » •

ألا ان الاسلام دين القوة • وليس في ذلك شك • فمشرعه عز وجل  
قيوم السموات والأرض ذو القوة المتين • ومبلغ هذا الدين هو من  
عرفت تحمله وبذله وحققه • فهو الصبار ذو العزيمة الأمين • وكتاب  
هذا الدين القرآن الذى تحدى وأعجز كل انسان • ولسانه العربى الذى  
أخرس كل لسان وأبان • وخلفاؤه الذين تمسكوا بأهداب دينهم وهداية  
ربهم فملكوا نواحي الشرق والغرب • وقواده الذين أعزوا أنفسهم  
بعزة الله ورفعوا شأنهم بقوته ، حتى ذلت لسيوفهم رقاب قيصر  
وكسرى ، وصارت تيجانهم تحت أقدامهم •

ألا فكل من لم يكن قوى النفس والبأس ، قوى العزيمة والارادة ،  
قوى الخلق والدين ، قوى الفوز والأمل ، قوى العدة والعتاد ، فليس  
هو بالمسلم الذى أخلص دينه وعرف مسؤوليته وهدايته • ذلك لأن  
الاسلام قوة في القلب ، قوة في اللسان ، قوة في اليد قوة في الروح •  
أما انه قوة في القلب فلأنه يوجب عليك قبول الايمان بالآيات  
والأدلة ، حتى معرفة الله عز وجل وتوحيده بالحجة واليقين • مثال هذه  
الحجة في الكتاب ماجاء على لسان الخليل ابراهيم عليه وعلى نبينا أفضل  
الصلاة والسلام «أفرأيتم ما كنتم تعبدون • أنتم وآبائكم الأقدمون •  
فإنهم عدو لى الارب العالمين • الذى خلقنى فهو يهدين • والذى هو يطعمنى  
ويسقئ • واذا مرضت فهو يشفين • والذى يميمتنى ثم يحيين • والذى  
أطعم أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين » وهكذا كانت قوة الاسلام في  
القلب تصحيح العقيدة والعبادة وتعميق الايمان ورسوخه بالعلم والعمل والتأمل  
أما قوة الدين في اللسان فبالبيان والبلاغة والوصول بالدعوة  
والنصح الى أعماق النفس • وهى قوة في العبارة والعاطفة يقول سبحانه  
« وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً » •

أما قوة الاسلام في اليد فأمرها حكيم • ذلك لأن الله يعظم أن العقل  
بسلطانه ( أى قوة القلب ) واللسان ببيانه ( وهو مدى قوته أيضا ) قد  
لا يغنيان عن الحق شيئاً اذا ما أظلم الحس ، وتحكمت النفس ، وعميت  
البصيرة فجعل من قوة العضد زائداً عن كلمته وداعياً الى حكمه •



من حكمته سبحانه أنه يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن • ومعنى قوة اليد أن الله كتب على المسلمين القتال في سبيل دينهم وحياتهم آمنين أعزاء لا يسامون الخسف والهوان • بل فرض أعداد العدة وعتاد الحرب بأوسع نطاق ، وأن يردوا اعتداء المعتدين بمثله « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » وعلى هذا الضوء يتضح أن قوة الاسلام هي قوة الحكمة والرحمة والعدل ، لا قوة السفه والظلم « وقاتلوا في سبيل الله أنذون يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله » ان قوة الاسلام ترد البغى والعدوان ، وتدفع الأثرة والطغيان لتقوم الحياة والمجتمع على أساس سليم قويم •

والاسلام بعد ذلك قوة في الروح لأنه يمحس ويظهر ويزكى جوهرها بالذكر والصيام والقيام وسائر العبادات • واذا ما عرض كل منا على نفسه مرامي العقيدة الاسلامية لوجدناها تتجه الى القوة أو ما تحصل به القوة • فالصلاة قوة روحية قلبية بالقرب والنجاة ، ونظافة جسمية بالوضوء والطهور ، وقوة نظامية بالحركة والترتيب • ولما كانت بهذه المكانة من القوة كانت آخر ما يفقد من الدين • فلما أضاعها أكثر المدعين الاسلام اليوم زورا وبهتاناً أضاع الله عليهم عزتهم ومكانتهم وهانوا على عدوهم •

والزكاة قوة اجتماعية اقتصادية • بل هي الضمان للأمن والرخاء والمودة والأخوة والألفة والمحبة لأنها تقوية للضعيف بمعاونته ، وتركية للمال بالتصدق وأداء لحق الله ، وتمكين للمجتمع ، فتؤخذ من غنيهم لترد على فقيرهم •

والحج قوة لها أثرها ومنافعها ونتائجها بالتعارف والتآلف والتكامل بين الشعوب والقبائل ، وقوة سياسية بالتشاور فيما بين أمراء المسلمين ، وقوة اقتصادية بالمبايعات والتسوق وابتغاء الفضل من الله علاوة على أنها جميعاً من أركان الاسلام •

والله الكريم بعد هذه التشريعات الحكيمة ألف بين قلوب المؤمنين حتى صاروا جميعاً بنعمته اخواناً وأنقذهم من الهلاك والتفكك والتنازع المفضى الى الفشل والضعف • وكم نشاهد في الواقع المرير بين

من ينتسبون للإسلام — وهو منهم برىء — من أصبح على أخلاق العبيد • يطأطأء كبراًؤهم ولا يندى لهم جبين • يغير عليهم العدو فيتخاذاًلون تخاذل القطيع الذى عاث فيه الذئب • تنزل بهم المحنة والشدة فيتواكلون تواكل الاخوة الذين دب فيهم الحسد • ولا نجاة ولا هداية لهم وللجميع الا بالعودة الى دين العز والكرامة يقول عز ما قائل كريم « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا » « وأطيعوا الله ورسولنه ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » ووصايا رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم « كونوا عباد الله اخوانا • المسلم أخ المسلم • كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه • المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا • من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته » •

وبعد : فان أشد ما تجتمع به القوة بيننا ، وتنتظم به حياتنا هو الوحدة والجماعة • وهما لباب الدعوة الاسلامية • فالوحدة هى الأساس الذى تقوم عليه الأمة • والجماعة هى البناء الذى يقوم على هذا الأساس • كانت الوحدة كذلك لأنها أولا توحيد الله وافراده بالعبودية الخالصة ، وتوحيد الامامة الرشيدة والأسوة الطيبة بالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم • وتوحيد للأمة بالمساواة والعدل بينهم • وتوحيد كلمتها باعتصامها بالكتاب العظيم حبل الله المتين والنور المبين والذكر الحكيم علما وعملا وتحاكما وهداية الى التى هى أقوم •

وكانت الجماعة هى البناء لأنها جمعت القلوب التى ألف بينها الله • وجملة الشعوب التى أصلح من شأنها وأعز من كيانها ورفع من مكانتها الدين الذى أرسل به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثم قامت هداية الاسلام على استدامة القوة بين المسلمين بالمحافظة على الوحدة والحرص على الجماعة حتى أوجب قتال الفئة التى تبغى على جماعة المؤمنين « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احدهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله • فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المقسطين » •

وهذه الصلاة انما يعظم أمرها ، ويضاعف أجرها اذا أديت فى جماعة • وشرع الله لهذه الجماعة أن تتكرر فى اليوم والليلة خمس

مرات • ثم تكثر وتزداد في صلاة الجمعة كل أسبوع • ثم تعظم في صلاة العيدين في كل عام • ثم تضخم في أداء فريضة الحج ، ليتمكن المسلمون بهذه المنافع والشعائر من تحقيق وجودهم واهتدائهم •

وما لحق الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى الا والمسلمون قوة يعمل حسابها • تحافظ على الحق وتبلغ دين الله الى الخلق • وبلغوا من القوة الايمانية أن كتب صلى الله عليه وسلم الى ملوك البلاد يدعوهم الى الدين القويم ولكن بلسان العز « بسم الله الرحمن الرحيم • من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم • سلام على من اتبع الهدى • أما بعد • فاني أدعوك بدعوة الاسلام • أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين • وان توليت فان عليك اثم الأريسيين — الأتباع — يأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم • ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا • ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » والى غير هرقل على هذا النحو • والدعوة الاسلامية أمانة في أعناق المسلمين يبلغونها عباد الله • وهم مسئولون بين يديه سبحانه عن تقصيرهم وتخلفهم • فكثير منهم يكتفى بانتسابه الى الاسلام ، غافل عن أن الدعوة بالنسبة له أن يكون باستجابته لدينه الحق من وحى السماء نموذجا ومثالا يحتذى بين الناس « أفمن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها » وأن يقتدى بالنبي الكريم صلى الله عليه وسلم الذي اختاره الله ليكون للعالمين نذيرا ، هاديا وداعيا اليه باذنه بكتاب هو مصدر الهداية والمهيمن وهو « بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنه هو اله واحد وليذكر أولو الألباب » « قل يأيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا » « وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا • ولكن أكثر الناس لا يعلمون » « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام » « ومن يبتغ غير الاسلام ديننا فلن يقبل منه • وهو في الآخرة من الخاسرين » •

فيأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ، والله الموفق ومنه الهداية وهو المستعان ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين • أحمد طه نصر

# حول بناء بيت الحرام

بقلم أحمد طاهر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله • وبعد : فقد  
حدثنا القرآن الكريم عن رحلة ابراهيم عليه السلام بأهله الى وادٍ  
غير ذى زرع حيث مكة الآن • ويسأل الكثير لماذا اختار ابراهيم  
هذا المكان الخالى ليترك فيه طفله وأمه • ومنتهى التفكير العادى  
يقضى أن يتجه ابراهيم بقلده كبدته الى المكان الخصيب المؤنس  
حتى يطمئن عليه ، فما الذى دفعه اذن الى هذا المكان المقفر ؟  
انه ليس عفوا ولا نتيجة تفكير • فلم يبق الا أن يكون توجيهها من  
الله خضع له ابراهيم ونفذه • وكان ابراهيم أمة قانتا يخضع  
كل الخسوع لهذا التوجيه • واننا لنجد تصديق ذلك فيما  
رواه البخارى من تعلق هاجر عليها السلام بابراهيم عند تركه لها  
وقولها له أين تذهب وتتركننا بهذا الوادى ؟ قالت ذلك مرارا  
وهو لا يجيب • فقالت : الله أمرك بهذا ؟ قال نعم • قالت : اذن لن  
يضيعنا • وهذا يتفق مع البحث العقلى عن توجه ابراهيم لهذا  
المكان • ومعناه أن الله أراد لهذا المكان أمرا هيا له أسبابه  
ومقدماته • فساق اليه ابراهيم ومعه ولده وأمه ليدعها فيه  
وليدعو الله شفقة عليهما « ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير  
ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقموا الصلاة » الآية فكان هذا  
الخير الذى يعيش فيه أهل هذه المنطقة •

ثم يوجه الله خليله لبناء البيت وتطهيره • وهكذا تتم  
ارادة الله ويصبح هذا البيت مثابة للناس وأمنا • وتصبح  
الأحداث التى جرت لابراهيم وأسرته ذكرى خالدة ممتدة على  
الزمان ما بقى الزمان • يعظم الله ذكرها فيجعلها شعائر لعبادته

والتقرب اليه في شريعة خاتم الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام .  
 وربما سأل سائل هل للبيت وجود قبل ابراهيم ؟ والحق وباللله  
 التوفيق ان ابراهيم عرف مكان اقامة البيت قبل أن يذهب بولده .  
 وعرف كذلك قداسة هذا الجزء يُستفاد ذلك من قوله تعالى :  
 « انى أسكنت » قال الألوسى وغيره في تفسيره : المقصود اظهار كون  
 ذلك الاسكان مع فقدان لوازم الحياة لمحض التقرب الى الله  
 والاتجاه الى جواره الكريم ولاقامة الصلاة وتعمير مكة بالعبادة .  
 من أجل ذلك أسكنهم . ولعلمهم يشكرون .

ويقول ابن كثير : ان هذه البقعة أسست من أول يوم على  
 توحيد الله عز وجل وعدم الاثراك به وعبادته وحده . فذكر  
 تعالى أنه بوأ لابراهيم مكان البيت أى أرشده وحدده له وأذن له  
 فى بنائه واستدل به كثيرٌ على أن ابراهيم هو أول من بنى البيت  
 العتيق وأنه لم يُبين قبله .

واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا . أى أن هذه ارادة  
 الله عز وجل مع ابتداء اقامة البيت . وقدم سبحانه هذه  
 العناية لأنها تسبق العمل ، فالغاية من البناء أن يكون البيت  
 مثابة للناس وأمنا . وقد صرح فى الآية بذكر ابراهيم ومقام  
 ابراهيم . وهو كناية عن البيت كله . ثم تجيء مرحلة البناء  
 والتنفيذ .

واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت : يقول أبو السعود : واذا  
 يرفع بصيغة المضارع حكاية عن الماضى لحسن البيان . وهو  
 استحضر الصورة الماضية وكأنها مشاهدة بالعيان . فكان السامع  
 ينظرُ وبرى الى البنيان وهو يرتفع . والبناء ابراهيم ومعنه اسماعيل  
 عليهما السلام .

يرفع القواعد : أى يضع الأساس ويرفع بنيانه . ومن مباحث  
 اللفظ « القواعد » : جمع قاعدة وهى ما يقعد ويثبت ويقوم  
 عليه البناء من الأساس . ورفعها اعلاء البناء عليها .

ولتأكيد أن القواعد من عمل ابراهيم نذكر حديث مسلم  
 عن أم المؤمنين عائشة رضی الله عنها أنه ﷺ قال لها : « لولا  
 حادثة عهد قومك بالكفر لنقضت الكعبة ولجعلتها على أساس  
 ابراهيم » الحديث . ومن سيرة ابن اسحاق في بناء قريش للكعبة  
 جاء « حتى اذا انتهى الهدم الى الأساس أساس ابراهيم » وفيها  
 اشراكه ﷺ في وضع الحجر الأسود .

والسياق يرينا اياهما وهما يعملان كما لو كانت رؤية العين  
 وهما يقولان « ربنا تقبل منا » أى اقبل عملنا واجعله خالصا  
 لوجهك الكريم . انه صدق العبودية في طلبهما وأن يكونا مسلمين  
 منقادين .

أما صاحب المنار فيقول : يذكر الله عهدہ الى ابراهيم  
 واسماعيل بأن يطهرا بيته للطائفين والعاكفين والركع السجود ليعرفهم  
 أنه لا يليق أن يعبدَ فيه غيره سبحانه . ويجب تنزيهه عن  
 الأصنام والنصب وعبادتها الفاسدة . ثم ذكر أن ابراهيم هو  
 الذى بنى هذا البيت بمساعدة ابنه . وهذا هو الظاهر . ولكن  
 القصاصين ومن تبعهم من المفسرين جاءوا من ذلك بغير ما قصَّ الله  
 علينا . وتفننوا في رواياتهم عن قدم البيت ، ومن حج آدم  
 عليه السلام ومن بعده من الأنبياء ، وارتفاعة الى السماء في وقت  
 الطوفان ثم نزوله مرة أخرى . وهذه الروايات يناقض بعضها بعضا .  
 فهي فاسدة في تناقضها ، وفاسدة في عدم صحة أسانيدها ، وفاسدة  
 في مخالفة ظاهر القرآن . وادخالها في تفسير القرآن مخالفة للحياء  
 والقرآن برىءٌ منها . وكل هذه الروايات خرافات اسرائيلية بثها  
 زنادقة اليهود في المسلمين . أ هـ

قوله تعالى : ان أول بيت وضع للناس : أى أول مسجد  
 لعبادة الله في الأرض المسجد الحرام الذى بمكة وصافته  
 « مباركا وهدى للعالمين » أى كثير الخير والنفع لمن حجه واعتمره .  
 ومصدر الهداية والنور لأهل الأرض لأنه قبلتهم . ومن آياته

مقام ابراهيم : موضع قيامه في الصلاة والعبادة • ويُذكر أنه الحجر الذي قام عليه حين ارتفع البناء وأراد اتمامه • ومن دخله كان آمناً لدعوته عليه السلام • هذا ما أشار إليه ابن كثير • أما صاحب المنار فيقول : هل هي أولية الشرف أم أولية الزمان ؟ المتبادر أنها أولية الزمان فليس في الأرض موضع بناء الأنبياء أقدم منه • وبالتالي يستلزم أولية الشرف • ثم قال رحمه الله : لو صحَّ حديث فلا شيء في العقل يحيله • ولكن الآية لا تدل عليه • والصحيح حديث الشيخين عن أول بيت وضع للناس وهو المسجد الحرام ثم بيت المقدس وبينهما « أربعون سنة » ويرجح ابن القيم أن بانيه - أي بيت المقدس - يعقوب عليه السلام وسليمان عليه السلام مجدده • أ هـ

أما الروايات الواهية فقد أوردها ابن كثير ليرشد عن غرابتها • منها أن أول من بنى الكعبة الملائكة • قال غريب • وقيل آدم بامعان في الغرابة بأن بناه من خمسة اجبل • غريب أيضا • وعن كتب الأحبار أن أول من بناه شيث • وغالب ما يذكر مأخوذ من كتب أهل الكتاب ولا يعتمد عليها • وإنما إذا صح حديث في ذلك فعلى العين والرأس • أ هـ

فها هو القرآن الكريم يشهد بأن البيت الذي بمكة هو أول بيت وضع للناس ، وأن الله أراده مع نشأته مثابة للناس وأمناً وان من رفع قواعده - أسسه - وأقام البناء عليها ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ، وأن الله عرفه وحدد له مكان البيت وأمره ببنائه ودعوة الناس لحجه ، وأن ذكر البيت في القرآن مقرون بذكر ابراهيم واتخاذ مقامه مصلى • هذه كلها حقائق يجب أن تقابل بالتسليم والقبول • مع أدب العبودية لله بتفويض الأمر بعد ذلك له • والله أعلم وبه الهداية ومنه التوفيق • وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله أجمعين •

أحمد طه نصر

# فاعلم أنه لا إله إلا الله

بقلم / احمد طه نصر

من معناه وجوب الايمان عن معرفة و يقين واستجابة • ان هذا الأمر من أهم الدراسات شأننا وأعظمها قدرا ، اذ حياة المسلم تدور عليه ، وصحة ايمانه تقوم به ، ومصيره في الآخرة مترتب على صحته وعمله • -

ان مصدر هذا الايمان والعلم كتاب الله تعالى مع بيان مصطفاه وأمينه على وحيه ﷺ • وقد أخبر الله عز وجل عن نفسه بنفسه ، بآياته وأسمائه وصفاته وربوبيته للخلائق جميعا ، وتدبيره وقيوميته • وآيات الكتاب قد أوفت بما لا مزيد عليه ••• منها قوله تعالى « ان ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش • يعشى الليل النهار يطلبه حثيثا • والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره • ألا له الخلق والأمر • تبارك الله رب العالمين » وقوله جل شأنه « اننى أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى » • (شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط • لا اله الا هو العزيز الحكيم ) •

وفى تعظيم ذاته العلية وذكر أسمائه وصفاته ورد قوله سبحانه « هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم • هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر • سبحانه الله عما يشركون هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى • يسبح له ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم » •

وأىضا ما أثنى به على نفسه وضمنه أمرا لنا أن نثنى عليه بما هو أهله من الثناء والمجد لجلاله وعظيم سلطانه ولما أولى



وتفضل من نعم لا تعد ولا تحصى • بقوله تعالى « الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين » •

ولبيان وحدانيته وتفرده بالملك والسلطان « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا • فسبحان الله رب العرش عما يصفون » « وما كان معه من اله • اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض • سبحان الله عما يصفون • عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون » •

وفيما قام عليه الكون والخلق من تسخير وتدبير واحكام الآيات لقوم يعقلون ، ولقوم يشكرون • فيقول سبحانه : « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق • أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد » • « ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجرى في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض آيات لقوم يعقلون » « ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة • ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير » •

وفي مجال الخلق والايجاد « الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى » « أعطى كل شيء خلقه ثم هدى » ثم يواجههم الكتاب « أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون • أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون » « أم لهم اله غير الله • سبحان الله عما يشركون » واذالم يكن شيء من ذلك فالحمد لله رب العالمين •

بمثل هذه الآيات الكونية والآيات القرآنية آمن المسلمون بالله تعالى وبربوبيته لكل شيء وألوهيته للأولين والآخرين • وبهذه العقيدة الراسخة تتميز حياة المسلم في جميع شئونه الدنيوية والأخروية • فربوبية الله مستلزمة لألوهيته وموجهة لها • فالرب الذي يجبى ويميت ويعطى ويمنع ويبيده الأمر هو المستحق لعبادة الخلق

وقصدهم اياه تعظيما وتقديسا ومحبة وخضوعا ورغبة ورهبة • فلا بد للمؤمن أن يجمع في اعتقاده بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية • لأن من اعتقد أن الله خالقه ورازقه ثم ذهب يستعين بغيره ويدعوه في حاجاته انه بذلك يفقد ايمانه ويكون مشركا بربه في عبادته • وقد ذكر الكتاب الكريم ما كان عليه مشركو العرب من اعتقادهم أن الذى يخلق ويرزق ويملك الأمر كله هو الله • ومع ذلك كانوا يدعون اللات - رجل صالح كان يلت السوق للحجيج - والعزى ويطعمون لهم الأعياد - الموالد - ويقدمون النذور والذبائح وطلب البركة والعدد والطواف حول نصبهم - الأضرحة - ويقبلون أعتابها ، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله • فعددهم الله شركين • يقول سبحانه « ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله • قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون » وتوعدهم بالخلود في النار • لقوله عز وجل « انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار » •

ان كلمة التوحيد نفى وإثبات : نفى وبرائة من كل مألوه باطل زعمه الناس قديما وحديثا • وإثبات الحق المستيقن حق العبودية لله وحده لا شريك له • اياك نعبد واياك نستعين • فالعبادة طلب ولجوء اليه ، والاستعانة عون به وطلب منه وهو الغنى • انه الواحد الأحد السيد الصمد المقصود • الذى يقصده العباد يرجونه جلب الخير ودفع الضر وشكر نعمه • وليس في الوجود من يصد اليه العباد ويفزعون اليه غير الله سبحانه • ومن معنى الاله أنه الذى تأله القلوب ضراعة ومحبة واجلالا وخوفا وطمعا • ولا يصلح هذا كله الا لله وحده لأنه الملك العظيم • فدللت لا اله الا الله على نفى عبادة وألوهية غير الله ، وافراد الله وحده بالألوهية واخلاص الدين له • وهذا هو التوحيد الذى دعت اليه الرسل ودل عليه القرآن العظيم • وعبارة « وحده لا شريك له » تأكيد وبيان لمضمون

معناها • وقد عبر الخليل ابراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام عن ذلك بقوله ( اننى براء مما تعبدون • الا الذى فطرنى فانه سيهدين ) براء من الشرك وأهله •

وقد أجمع الأنبياء بما أوحى اليهم وبلغوه وشهدوا به — وهم القدوة وأئمة الهدى وأتم الناس علما ومعرفة وأصدقهم حديثا — من لدن آدم الى خاتمهم صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين على أن الله واحد لا شريك له فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أقواله وأفعاله • وانتوحيد هو أساس الايمان • وما من نبي الا أمر قومه أن ( أعبدوا الله ما لكم من اله غيره ) « والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم » وصدق رسول الله ﷺ « أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلى لا اله الا الله » •

فكل من صرف من العبادة — الخضوع والتذلل — شيئا لغير الله فقد اتخذها ندا ، ولو بحبه كحب الله ، لقوله تعالى « ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله • والذين آمنوا أشد حبا لله • ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وان الله شديد العذاب » وهذا شرك فى المحبة •

ومن الشرك دعاء غيره سبحانه من الأنبياء والأولياء لقوله عز من قائل كريم « ولا تدع من دون الله مالا ينفك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين » وقوله صلى الله عليه وسلم من رواية البخارى « من مات وهو يدعو من دون الله ندا دخل النار » •

وكذلك طلب المدد والبركة • وهو اعتقادهم أن بعض الأولياء لهم تصرفات فى الكون وتخصصات • مع أن الله يخبر عن المشركين فى الجاهلية « قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر • فسيقولون الله • فقل أفلا تتقون • فذلكم الله ربكم الحق • فماذا بعد الحق الا الضلال • فأنى تصرفون » •

والنذر عبادة • والعبادة لله وحده • فتقديم النذر لغيره سبحانه شرك ويجب عدم الوفاء به ذبيحة كان أو مالا ، لقوله تعالى « قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين » وقوله ﷺ من حديث مسلم « لعن الله من ذبح لغير الله » •

ومن الشرك الطواف بالأضحية وتقجيل الأعتاب • وهو لا يجوز الا حول الكعبة ، لقوله الكريم « وليطوفوا بالبيت العتيق » ومنه طلب الشفاعة من الأموات • وهى ملك لله وحده • يأذن للشفيع ويرضى عن المشفوع ، لقوله تعالى « يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن ورضى له قولا » وقوله « قل لله الشفاعة جميعا » ومنه اتخاذ الحجب والتمايم والودعة ، لقوله ﷺ فيما رواه أحمد « من تعلق تميمة فلا أتم الله له • ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له » لأنه سبحانه ( خير حافظا وهو أرحم الراحمين ) وقوله ﷺ من حديث الشيخين « سئل أى الذنب أعظم ؟ قال : أن تجعل لله ندا وهو خلقك » حتى فيما هو دون ذلك لرواية أحمد والنسائي وابن ماجه أن رجلا قال للنبي ﷺ ما شاء الله وثئت فقال له : « أجعلتني لله ندا ! قل ما شاء الله وحده » •

ومما فتن به ووقع فيه الكثير من هذه الأمة بعد القرون المفضلة أن أقاموا المساجد والمشاهد على القبور ووضعوا عليها النصب - المقاصير - وهى رجس من عمل الشيطان ، واتخذوا ذلك دينا والنصب أمرنا الله باجتتابها وتطهير بيوت الله منها لأنها أوثان كأصنام قوم نوح وغيرها • بمعنى أن منشأ الشرك نتج من تعظيم القبور وتشبيدها • والاسلام الحنيف لا يجمع بين مسجد وقبر • فالمساجد لله خالصة لعبادته « وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا » والقبور فى ملة رسول الله ﷺ تسوى بالأرض ولا يصلى اليها بحال • وتحذيرات النبي ﷺ ونهيه عن اتباع اليهود فى هذا الشأن واخباره بلعنتم واشتداد غضب الله عليهم فيما رواه الشيخان • « ألا ان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد • الا فلا

تتخذوا القبور مساجد انى أنهاكم عن ذلك » • وحديث على رضى الله عنه عند مسلم أنه ﷺ بعثه وأمره أن لا يدع قبراً مشرفاً الا سواء ، ولا تمثالاً قائماً الا طمسه • وكم يروج لهذا الزور والمنكر سدنة الأضرحة وعلماء البدعة والصوفية التى تشوه جمال السدين وصفاءه •

ولو صدقوا فى تقربهم الى الله سبحانه وابتغاء المثوبة منه لآمنوا بما أخبرنا به أرحم الراحمين الغفور الودود « واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان » وبذلك أسقط الوسطاء والشفعاء وجعل القرب منه بالاستجابة والتزام شرائعه والعمل بمرضاته وسؤاله بأسمائه « ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها » وقوله « واسألوا الله من فضله » وهذا هو الخير • وهو حقيقة التوحيد « ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى » ومن هديه ﷺ « اللهم انى أسألك بأن لك الحمد لا اله الا أنت المنان بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والاکرام » •

ويخطئ من يكتفى بالتلفظ بلا اله الا الله ثم يخالفها ، بل وينكر غيرة الموحدين • وما ذلك الا لأنه لم يتدبرها • فيظن أن مجرد التلفظ بها يكفى وحده للنجاة من النار ودخول الجنة ••• وليس كذلك — وان كان الأمر كله لله ، ليس لأحد كائناً من كان من الأمر شىء — لأن حقيقة معناها البراءة من كل معبود ، واخلاص الدين كله لله وحده « قل انما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به • اليه أدعو واليه مثاب » وكل من خالف شهادة الصدق وكلمة الحق الكلمة الطيبة فهو جاهل بمعناها أو كاذب فى ايمانه • وهو الواقع المؤلم بين الخاصة والعامة • يقول أحدهم : لا اله الا الله • ويقع منه الشرك فى العبادة بدعائه وتوسله وشفاعته بمن لا يضر ولا ينفع ولا يستجيب ولا يسمع • يغريهم الشيطان اللعين بمعسول القول غرورا • كما ورد فى صحيح البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما — يكشف زيف الشرك — أن اللعين أوحى الى قوم نوح ومن بعدهم والى اليوم

أن اعمدوا الى مجالسهم فأقاموا لهم النصب ومضى فأغرى من بعدهم من أجيال أنهم كانوا بهم يستمطرون وتمادى ينسج الخرافات والبركات والتصرفات • ولكن الله حمى المؤمنين المخلصين من ذلك • ولم يجعل للشيطان من سبيل الا على الذين يتولونه والذين هم به مشركون • ونستطلع الهدى الكريم والبيان الثاقب لنبينا وامامنا ﷺ الذى حمله الله أمانة الدين وأوجب علينا طاعته ومحبته والتحاكم اليه • فالكتاب والسنة معا وحى ومن عند الله لهداية عباده •

روى مسلم عن معاذ رضى الله عنه قال : كنت ردف رسول الله ﷺ فقال : يا معاذ قلت لبيك رسول الله وسعديك • قال : هل تدري ما حق الله على العباد ؟ قلت الله ورسوله أعلم • قال : فان حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا • قال : أتدري ما حقهم عليه اذا فعلوا ذلك ؟ قلت : الله ورسوله أعلم • قال : أن لا يعذبهم « فحق الله على العباد معناه ما يستحقه عليهم وما خلقهم من أجله » وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون « • وحق العباد على الله تعالى معناه أنه متحقق لا محالة • وهو من جهة المقابلة • وأن الملك العظيم سبحانه وعد به تفضلا ورحمة • وروى أيضا قوله ﷺ « أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شك فيحجب عن الجنة » ومن روايته « من مات وهو يعلم أن لا اله الا الله دخل الجنة » أى لا تنفع الا من قالها بعلم ويقين ممتزجة بكل ذرة من روحه لقوله ﷺ فى رواية أخرى « خالصا من قلبه » و « بيتغى بذلك وجه الله تعالى » بمعنى عاش بها ولها وأدى حقها جهادا ودعوة والتزم فرضيتها ومات على ذلك • ومن رواية « من شهد أن لا اله الا الله مستيقنا بها قلبه فبشره بالجنة » ورواية مسلم « وكفر بما يعبد من دونه دخل الجنة » •

كلمات جامعة وهادية الى خيرى الدنيا والآخرة ، ومخلصة من ظلم وظلمات الشرك وحبوط العمل « الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم — أن الشرك لظلم عظيم • بهذا فسرنا ﷺ فى الصحيحين أولئك لهم

الأمن وهم مهتدون » ... ألا ترى الى حرصه ﷺ على نجاة المؤمنين  
الموحدين حيث يقول « لكل نبي دعوة مستجابة • فتعجل كل نبي  
دعوته • وأنى اختبأت دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة فهى نائلة ان  
شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئاً » من أخلص دينه وعبادته  
وثنائه وشكره لله وحده « وما بكم من نعمة فمن الله • ثم  
اذا مسكم الضر فإليه تجأرون • ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق  
منكم بربهم يشركون » فإيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم « هل  
من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا اله الا هو فأنى  
تؤفكون » « هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو اله  
واحد • وليذكر أولو الألباب » اللهم أحيينا على أنك أنت الله لا اله  
الا أنت وتوفنا عليه ، واحشرنا فى زمرة رسولك الكريم وتحت لوائه •  
وصل اللهم وسلم وبارك عليه وعلى آله أجمعين •

### أحمد طه

بقية مقال ( الغزالي بين الوهم والحقيقة )

ويقول الدكتور زكى مبارك : بينما كان « بطرس الناسك » يقضى  
ليله ونهاره فى اعداد الخطب وتحبير الرسائل يحث أهل أوربا  
على احتلال أقطار المسلمين كان الغزالي « حجة الاسلام » غارقا فى  
خلوته منكبا على أوراده المبتدعة لا يعرف ما يجب عليه من الدعوة  
الى الجهاد فى سبيل الله تعالى •

وبعد ...

فما ذكرته لا يساوى قطرة من محيط ، وغيض من فيض ،  
وهناك ما هو أفظع وأبشع • فانظر كم هو الفرق عظيم والبون  
شاسع بين الصورة الموهومة التى رسخوها وعمقوها فى نفوس السواد  
الاعظم من المسلمين وبين حقيقته كما هى بلا زيف ولا خداع •  
وانظر كم يدفع المسلمون ثمن جمودهم على أوهام وترهات  
حسبوا حقائق راسخات •

« والله يقول الحق وهو يهدى السبيل » •

محمد نجيب لطفى

# الحسد والاستعاذة منه

بِقَلَمِ: أَمْرِطَةَ نَصْرِ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ « قَلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ • وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ • وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ » • الْحَسَدُ مَرَضٌ مِنْ أَمْرَاضِ الْقَلْبِ ، وَدَاءٌ مِنْ أَدْوَاءِ النَّفْسِ وَالْحَاسِدِ هُوَ الَّذِي يَتَمَنَّى زَوَالَ نِعْمَةِ مَحْسُودِهِ ، وَلَا يَرْضَى أَنْ تَتَجَدَّدَ لَهُ نِعْمَةٌ وَهُوَ إِذَا حَسَدَ أَيْ أَنْفَذَ حَسَدَهُ وَحَقَّقَهُ بِالسُّعَى وَالْمَكِيدَةِ فِي إِزَالَةِ نِعْمَةٍ مِنْ يَحْسُدُهُ كَانَ مِنْ أَشَدِّ خَلْقِ اللّٰهِ أذىً ، وَمِنْ أَخْفَاهِمُ حَيْلَةٌ • وَلَيْسَ فِي طَاقَةِ مَحْسُودِهِ وَلَا فِي اسْتِطَاعَتِهِ الْوَقُوفُ عَلَى مَا يَدْبُرُهُ مِنَ الْمَكَائِدِ ، فَلَا نَجَاةَ وَلَا مَلْجَأَ مِنْهُ إِلَّا إِلَى اللّٰهِ وَحْدَهُ • فَهُوَ الْقَادِرُ سَبْحَانَهُ عَلَى كِفِّ أَذَاهِ ، وَاجْبَاطِ سَمِيهِ •

وَقَدْ نَفَرَ الدِّينَ مِنَ الْحَسَدِ وَبَيَّنَّ أَنَّهُ خَلَقَ النَّفْسَ الذَّمِيمَةَ الْوَضِيعَةَ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا حَرَمٌ عَلَى الْخَيْرِ • فَلَمَجَزَهَا وَمَهَانَتْهَا تَحْسُدُ مِنْ يَكْسِبُ الْخَيْرَ وَالْمَصَامِدَ • وَتَتَمَنَّى أَنْ لَوْ فَاتَهُ كَسَبَهُ حَتَّى يَسَاوِيَهَا فِي الْمَدَمِ • كَمَا قَالَ تَعَالَى « وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً » وَقَالَ أَيْضًا « وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ » وَقَدْ أَوْضَحَ الْكِتَابُ الْكَرِيمُ أَنَّ الْحَسَدَ مِنْ أَخْلَاقِ الْمُنَافِقِينَ وَأَمَرَنَا بِالِاسْتِعَاذَةِ مِنْهُ •

وَالْحَسَدُ مَفْسَدٌ لِلطَّاعَاتِ ، مَذْهَبٌ لِلْحَسَنَاتِ ، بَاعَثَ عَلَى الْخَطِيئَاتِ ، وَهُوَ نَارٌ تَضْطَرِّمُ فِي صَدْرِ الْحَاسِدِ ، وَسَعِيرٌ يَتَلْطَفُ فِي أَحْسَائِهِ • إِنَّهُ دَاءٌ يَفْعَلُ فِي الْحَاسِدِ أَكْثَرَ مِمَّا يَفْعَلُ بِالْمَحْسُودِ • وَصَدَقَ مَنْ قَالَ ( الْحَسَدُ مَا أَعْدَلَ لَهْ : بَدَأَ بِصَاحِبِهِ فَنَقَلَهُ ) •



وان تعجب فعجب للانسان اذ يحسد على نعمة أخيه • فان كان الله الذى أعطاه قد كرمه ومنحه فلم يحسد من أكرمه الله ؟ وان كانت النعمة أو العطاء استدراجا واملاء فلم يحسد من مصيره الى بلاء أو شقاء ؟ ان أول خطيئة عصى الله بها هى الحسد ، فقد حسد ابليس الطعين آدم عليه السلام اذ كرمه ربه وجعله خليفة فى الأرض وأمر الملائكة بالسجود له تكريما وتقديرا فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر واعتلج فى قلبه الحسد ، فحمله على معصية ربه ، وتقلد بذلك الخزى والهوان ، وأصبح من الهالكين أهل الحرمان •

ثم ما الذى حمل أحد ولدى آدم عليه السلام على أن يقتل أخاه ؟ ان هو الا داء الحسد • يقول تعالى « واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر • قال لأقتلنك • قال انما يتقبل الله من المتقين • لئن بسطت الى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدي اليك لأقتلك انى أخاف الله رب العالمين • انى أريد أن تبوء بائمى واثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين • فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين » •

فالحسود ناظم على أقدار الله • قد عادى حكمته سبحانه « أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله » • • • • • وكم سبب الحسد فى نفس صاحبه عقدا نفسية تركت به أمراضا لا تذهب آثارها ، ولا تنتهى مضاعفاتها • والحسد يجعل من أصلب الرجال عودا وأقواهم صحة مرضى قد ذبلت أجسامهم وضعفت قوتهم ووهنت أعصابهم • فالآلام النفس أفنتك بالأرواح من آلام الجسد ، فقل لحاسدى الناس وذوى الأحقاد الذين سعوا فى الأرض بالفساد : ألم يأن لكم أن تخشع قلوبكم لذكر الله مقسّم النعم الذى لم يحرم أحدا من فضله ؟ وأن يستمع وجدانكم لقوله تعالى « أهم يقسمون رحمة ربك ؟ نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة

الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا . ورحمة ربك خير مما يجمعون » فعلام الجشع والطمع ؛ ولماذا الحقد والحسد ؟ وقد خلق الله الناس متفاوتين في الأرزاق ، مختلفين في الأعمار ، متباينين في الأحوال . كتب سبحانه لكل انسان ما كتب واطر . وقضى له من هذه الدنيا بما قضى وقدر وكل ذلك خير له وان خفى عليه . فلن يكون الانسان مؤمنا حتى لا يرى لنفسه تدبيرا وتقديرا مع تدبير ربه ، وحتى يرضى بالقضاء والقدر فلا ييأس المحروم على ما فاته ، بل يرضى بما قسم له ، ويسعى ويبذل الجهد في الخير والعمل ، وينقى صدره من الحقد والحسد ، لأن القلب النقي السليم من أدران الحسد يقود صاحبه الى السعادة في الدنيا والجنة في الآخرة .

ولنسمع الى صحابي جليل رضوان الله عليهم أجمعين أنس بن مالك يقول : كنا يوما جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يطلع عليكم من هذا الفج رجل من أهل الجنة . قال فطلع رجل من الأنصار فسلم . فلما كان الغد قال صلى الله عليه وسلم مثل ذلك فطلع ذلك الرجل . وفي اليوم الثالث قال ذلك فطلع ذلك الرجل . فلما قام النبي وقام الرجل تبعه عبد الله بن عمرو فقال له : انى لاحيت أبى فأقسمت أن لا أبيت عنده ثلاثا . فان رأيت أن تؤوينى اليك حتى تمضى الثلاث فعلت . فقال نعم . فبات عنده ثلاث ليال . فلم يره يقوم من الليل شيئا غير أنه اذا انقلب على فراشه ذكر الله تعالى . ولم يقم حتى يقوم لصلاة الفجر . قال عبد الله غير أنى ما سمعته يقول الا خيرا . فلما مضت الثلاث وكدت أن أستصغر عمله قلت : يا عبد الله : انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كذا وكذا فأردت أن أعرف عمك فلم أرك تعمل كثيرا فما الذى بلغ بك ذلك ؟ قال : ما هو الا ما رأيت غير أنى لا أجد على أحد من المسلمين فى نفسى غشا ولا حسدا على خير أعطاه الله اياه . قال ابن عمرو فقلت هى التى بلغت بك .

ويبقى ما أمرنا الله أن نستعيذ به وأن نلجأ الى حماه  
من شر الحاسد ومن كل شيء • والحياة فيها الخير وفيها المحن •  
حيث قال سبحانه « أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم  
لا يفتنون • ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين  
صدقوا وليعلمن الكاذبين » واحدى السورتين المعوذتين تنص على  
الوقاية منه ( ومن شر حاسد اذا حسد ) بل كل هذه الشرور  
الخفية بعد تحفظك وحذرك تعالج باللجوء الى الله والاستعاذة  
به لأنه القائل « وان يمسهك الله بضر فلا كاشف له الا هو  
وان يردك بخير فلا راد لفضله » وقوله تعالى « ما يفتح الله  
للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسهك فلا مرسل له من بعده »  
انه طريق السلامة والنجاة •

والقرآن يصف عصمة المؤمنين بربهم « الذين قال لهم الناس ان  
الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله  
ونعم والوكيل • فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء  
واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم • انما ذلكم الشيطان  
يخوف أوليائه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين » • ولا شك  
أن قوة الايمان واليقين تحمل المحسود على الاستهانة بالحاسد  
وتمنعه منه •

وقد كان صلى الله عليه وسلم يستعيذ بالله من العين اللامة  
وهي تلم بالمحسود حينما يكون الحسد بالعين لأنها نافذة يطل  
منها غل القلب وسموم النفس • ويكون الحسد بغير العين أيضا  
وفي الحديث « أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن  
كل عين لامة » ••• انه الايمان الخالص بالله يتحصن به المؤمن  
« قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله  
فليتوكل المؤمنون » •

أما ما يرتكبه الجاهلون أرباب الوثنية من لجوء الى الخرافة  
والدجل حتى غشيهم الضعف والوهن فأشركوا بالله بما أضلهم به

الشیطان اعتقاداً فی الودعة والخمیسة والتمايم والأحجبة أنها تقی العین وتحفظ من الحسد ، ففسد ایمانهم ، وازدادوا بذلك مرضاً وغواية ، ولم يحصلوا على شئ لأنهم طلبوا العافية من غیر مالکها الذی هو خیر حافظاً وهو أرحم الراحمین • وفى الحدیث عند أحمد قوله صلى الله علیه وسلم « من تعلق تميمه فلا أتم الله له • ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له » وعند الترمذی توجیه حکیم من رسول الله صلى الله علیه وسلم لتعمیق الايمان والیقین « يا غلام احفظ الله يحفظك • احفظ الله تجدد تجاهك تعرف لربك فى الرخاء يعرفك فى الشدة • واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك • وما أخطأك لم يكن ليصيبك » وختاماً بحدیث أم المؤمنین عائشة رضی الله عنها عند البخارى أنه صلى الله علیه وسلم كان اذا أوى الى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما وقرأ « قل هو الله أحد والمعوذتين ثم يمسح بيديه ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه • يفعل ذلك ثلاثاً » •

وهذا الحسد فى شأن الحياة ومتاعها • أما ما يتعلق بالمنافسة والغبطة فى الخير والعمل الصالح من أجل مرضاة الله والدار الآخرة فالى حدیث نبوى كريم هداية وبياناً : أخرجه البخارى أنه صلى الله علیه وسلم قال : لاحسد الا فى اثنتين : رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها » والحسد كما تعلمون هو تمنى زوال النعمة من المنعم عليه وهو مذموم • وليس مراداً من الحدیث انما المراد أمر آخر هو الغبطة بمعنى ان تُسرَّ للمؤمن المنعم عليه وتطلب له المزيد وتتمنى أنت من الله الكريم مع سعيك أن يكون لك مثل ما بغيرك من غير أن يزول عنه شئ •

ويمكن القول أن تكون الغبطة على نحو المنافسة والمبادرة الى الكمال الذی تشاهد من غيرك فتتنافسه فيه حتى تلحقه أو تجاوزه • فهى شرف النفس وعلو الهمة • قال تعالى « أولئك يسارعون فى الخيرات

وهم لها سابقون » ويقول ( وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ) والمنافسة من الشيء النفيس كما كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يتنافسون في الخير والبر والطاعة • ويفرح بعضهم ببعض ، بل يحض بعضهم بعضا ، لأنه سبحانه القائل « فاستبقوا الخيرات » وقوله ( وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض )

وأكثر النفوس الخيرة تنتفع بالمنافسة • وقد يطلق لفظ الحسد مجازا على المنافسة والغبطة كما في حديثنا الذي بحثنا على التشبه بأهل الفضل والدين • ولا غبطة أعظم من الغبطة في أمرين : الأول : أن يفرح بمن أنعم الله عليه بمال ووفقه لانفاقه في سبيل الخير فيتمنى أن يكون مثله ، والثاني : أن يسعد بمن آتاه الله الحكمة من القرآن والسنة فهو يقضى بها ويعلمها • وإذا كانت الحكمة هي العلم والعمل معا الذي يملئ ارادة الخير ، وهي من أجل نعم الله على المصطفين من عباده • قال تعالى : « يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا » وامتن الله على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما » وجاء في الكتاب الكريم « ان الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور • ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله انه غفور شكور » وفي الحديث « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » ان طلب العلم ومدارسة الدين يحيي القلب والنفس وهو سبب في السعادة لأنه لا سعادة الا بهدى الله ولا هداية الا بالقرآن • ولا نجاة يوم القيامة بالحشر تحت لواء النبي صلى الله عليه وسلم الا بحبه والتأسي به واتخاذه اماما وقدوة ومثلا أعلى « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر » مع النصح والتعاون على البر والتقوى ، ومقاومة المنحرفين بفتنة المال وانفاقه على شهواتهم الدنيئة وفنهم الفاجر أي في سبيل الشيطان ، وآخرين قد غلوا أيديهم الى أعناقهم وبخلوا

بأموالهم ، وضيعوا حق الله الذى فرضه عليهم « وفى أموالهم  
حق معلوم للسائل والمحروم ». ان الحياة مزرعة للأخرة ، وان الله  
طيب لا يقبل الا ما كان طيبا . « اليه يصعد الكلم الطيب  
والعمل الصالح يرفعه » اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك ، واغننا  
بفضلك عن سواك ، واقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا  
وبين معاصيك ، ومن رضاك ما تبلغنا به جنتك ، وصلى الله وسلم  
وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه .

أحمد طه نصر

# قل من حرم زينة الله؟

## بقلم: أحمد طه نصر

مهلا أيها الشباب ، رفقا بالمسلمين ، وخير لكم أن تذكروا نعمة ربكم عليكم أن هداكم للإيمان ، خير لكم أن تتحملوا أماناتكم ، وتعتصموا بالكتاب الكريم أصدق الحديث ، وبخير الهدى هدى نبينا محمد ﷺ .

ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ، فلا تظمسوا جمال بيوتكم ، ولا تهملوا شؤون حياتكم ومتاجركم ومصانعكم ، لا تهلكوا متاع أزواجكم . ان الدين جمال وبناء ورفاء ، ان للدين أمانة وهداية ، فلا تكونوا من الخائنين بتخلفكم عن الركب ، ودعوتكم للعيش بمعزل عن الناس ، وكان الأولى أن تخوضوا الحياة ايمانا وكفاحا وتعميرا في غير ما عنت ولا عسر ولا ضيق . ان الله جعل لكم من بيوتكم سكنا فما يمنع أن تكون على نحو ما يتراضى الناس بالمعروف ؟ لا تشقوا على أولادكم ونسائكم ، ان وسع الله فأوسعوا ، فكفى بالمرء اثما أن يضيع من يعول ، فالؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير ، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن .

ما هذه العبارات الخاملة ، المثبطة للهمم التي تنم عن فهم سقيم وجفاء للقرآن العظيم !! هل معنى أن فترة من حياة المسلمين اiban نشأته حفلت بالاضطهاد والحصار والنيك من الضعفاء ، هل كونهم تحملوا في ذات الله والدلر الآخرة ، وهان كل شيء في سبيلك غرس شجرة الاسلام ، وصبروا حتى ما يجد أحدهم ما يسد رمقه ، ثم هاجروا ثم جاهدوا ثم جاء نصر الله والفتح ، هل بقوا على الضيم أم تخلصوا منه فلم يهنوا ، بل عزوا . هل ردوا نعمة الله وفضله ؟ حاشا لله ، بل شكروا وتحملوا أمانة الاصلاح بالعلم والعمل ، ونشروا راية الاسلام خفاقة على نواصي الشرق والغرب ، ودخل الناس في دين الله أفواجا . ويذكرهم الكتاب الكريم بمنة الله فيقول عز وجل

« واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فأواكم وأيدكم بنصره وورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون » .  
 كتاب كريم ودين قويم ونداء الى بنى آدم عليه السلام الى الاستمتاع بالحلال بزينة الله التي أخرج لعباده وعرفهم اياها في التحلى بالثياب والرياش ، والطيبات من الرزق في الطعام والشراب . وفي الحديث النبوي « كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان : سرف ومخيلة » ان الله لم يحرم زينته الحلال ، ولم يرد بالناس الشظف والمتربة والحمران ، والا فلن الجنات المعروشات والنخل والزرع مختلف أكله ؟ لن الأنعام حمولة وفرشا ؟ لمن الوصايا والخير والمواريث وكل ما به قوام الحياة ؟ انما كره الله عز وجل أن يكون الناس عبيدا للمتاع انحرافا نحو الاعتداء واغفال الآخرة .

ان المنعم العظيم يجب أن يرى أثر نعمته على عبده « وأما بنعمة ربك فحدث » ومن ثم تجد الآية الكريمة تستنكر تحريم الطيبات في الحياة ، وتعقبها آية « قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون » .

وجاء في الحديث أن الرجل يجب أن يكون ثوبه حسنا وتعبه حسنا . فما بالكم بالبيت ما يمنع طلاءه وأثاثه ومقاعه الى حين من يحرم وجود منضدة أو صوان لحفظ أمتعتنا وثيابنا ؟ ان اجابة سيد المتقين عليه السلام : ان الله جميل يحب الجمال !! ان الآية الكريمة تبشر المؤمنين أن الطيبات حق لهم ، وان كان سواهم يشاركونهم فيها في الدنيا لكنها بفضل الله ورحمته خالصة لهم يوم القيامة « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ؟ قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة . كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون » « آمن يعلم أنما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى » ؟

ان هذه الزينة من الطيبات مخلوقة للمؤمنين وللانسانية في الحياة . فلا تخلف ولا جمود ولا جحود ولا خذلان ، ولكن سعى وانتاج ورقى وازدهار ، انتفاعا بالنعمة وتيسيرا على العباد . ان الاسلام



لا يلبي فقط حوائجك ، بل يريدك تحس بجمالها وتنعم بها فلا أقل من الشكر والحمد لله رب العالمين . هلا قرأنا « والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون . ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون » ومع الدواب « لتركبوها وزينة » ثم وعد بخير عظيم « ويخلق ما لا تعلمون » ومثلها « وخلقنا لهم من مثله ما يركبون » ويختمها « رحمة منا ومتاعا الى حين » أليس في هذا اشارة الى كل الوسائل الحديثة التي تيسر وتعين الناس على أداء مهامهم من آلات ومواصلات وعمارة وانشاء لتعارف الناس وتبادل المنافع وصلاح الحياة ؟

ان الجمال والزينة تشمل الحياة كلها ، ونعمة من نعم الله تعالى علينا . تعالوا بنا الى القرآن العظيم « وزيناها للناظرين » انه يهدى القلوب والأذهان والعيون الى تقبل الحكمة . وهي ضالة المؤمن أنى وجدها أخذها — وإلى شكر النعمة . أليست الآية لفظة الى جمال الكون والمخلوق ؟ والانسان أعز المخلوقات « لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم » « وصوركم فأحسن صوركم » « وما ذرأ لكم في الأرض مختلفا ألوانه » لاسعاد الناظر مع انتفاعه بما سخر له في البر والبحر ، يمتن سبحانه « لتأكلوا منه لحما طريا ، وتستخرجوا منه حلية تلبسونها ، وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون » .

ان الاهتمام بأمر الدين والمسلمين لا يعنى اضاءة الحياة وخيبة الشباب لها ولعبا ، أو نكسة وتبلدا ، ان الاهتمام نهضة وجد واستقامة ، دراسة وعبادة ، وكل ذلك مطية وزاد للاخرة .

أى نكبة وبلاء يصيب العباد والبلاد ان قدر لأحدهم أن يلي أمر مصنع ، أو ادارة عمل أو مشاركة في اجلاء عدو ! أى فشل ذريع ييؤ به ! أى عجز وضعف يعصف بوجوده ! يا لها من عاقبة سوء ، وقد زين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون . أعاذنا الله جميعا من شرور النفس وسيئات العدل .

وسذاجة أخرى يهمل أحدهم أهله وزوجه يهيم في القرى بدعوى الجهاد والسياحة غافلا عن مسؤوليته . من للأهل والبيت ؟ أخلا بيته

البقية صفحة ( ٥١ )

### بقية مقال ( قل من حرم زينة الله ؟ )

ومجتمعه من جهاد ونصح وتقويم ؟ الدين أن تبدأ بمن تعول ومن ولاك الله . وسؤال الله عز وجل حفظت أم ضيقت ، وطاعة النبي ﷺ .  
يخبره رجل أن امرأته خرجت حاجة وأنه اكتتب في غزوة وكذا فيقول له اذهب فحج مع امرأتك . وآخر يستأذنه في الجهاد فيسأله ﷺ ألك أبوان ؟ فيقول نعم فيقول له ففيهما فجاهد » .

ان الشباب في الأمة هم عماد نهضتها وعدتها لمستقبلها ودورهم في كتاب الله تعالى : عمل صالح وخلق فاضل وبذل للجهاد « انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا » فان صدقت النيات فاقتداء بامام النبيين ﷺ في دعوة الناس الى التوحيد : عبادة الله وحده واخلاص الدين له وخشيته عز وجل وتقواه والعمل بشريعته السمحة ، وتحريرهم من عبادة الهوى والشيطان وتقليد الفرنجة سفورا وفجورا ، وانقاذهم من وثنية الطواغيت وتقديس الموتى وتعظيم قبورهم ، قولوا لهم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره . عند ذلك تستقيم الحياة ويهتدى الناس سواء علوا في السماء أم سبحوا في الماء ، ركبوا ابلا أو طائرات ، أضاءوا فتىلا أم ظلة مصابيح ، سكنوا كوخا أو قصرا . فما كان من نعمة فمن الله والهدى هداة وسبحانه لا يضيع أجر المصلحين ، وصلى الله على نبينا محمد وآله أجمعين .

أحمد طه نصر

# حَوْلَ إِهْدَاءِ الثَّوَابِ

بقلم: أحمد طه نصر

إذا استقرأنا كتاب ربنا عز وجل ، وهدى نبينا ﷺ في هذه المسألة ، مسألة الهبة وهو الشائع بين القراء المحترفين - الذين يساومون علي أجورهم - بقولهم : أهدى ثواب ما قرأت لروح نبينا ﷺ وروح أبي وروح فلان . وهذا العمل يفرض علينا سؤالاً : هل بعد مساومته وما يتقاضاه يكون له من أجر عند الله ويمكنه التصرف والهبة . وهو لم يقرأ ابتغاء وجهه ؟ وسؤال آخر : هل زاد تحصيل الأجر والحسنات عما يفتقر اليه للنجاة عند الله ؟ وما من عبد مؤمن الا وهو فقير الى الله وفضله ، ولن ينجو بعمله مهما بلغ - حتى الأنبياء - الا أن يتغمده سبحانه برحمة منه وفضل . وها هو سيد المرسلين يرسل قولته في سمع الزمان هداية للعالمين . في غزوة بدر كان كل ثلاثة يتعقبون بعيرا . وكان أبو لبابة وعلى رضى الله عنهما زميلي رسول الله ﷺ فكانت عقبة رسول الله فقالا له : نحن نمشي عنك - ليظل راكبا - فقال : « ما أنتما بأقوى مني ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما » .!! هل كان مثل ذلك على عهد رسول الله ﷺ والقاعدة أنه ما لم يكن ديننا على عهد رسول الله ﷺ فهو اليوم ليس بدين . وفي الحديث « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » رواية مسلم . ومن أين لانسان أن يهب ؟ وهل ملك هو أولا ؟ انه أمر غير وارد في الكتاب الكريم ولا في السنة الهادية .

ولسائل أن يسأل ماذا نجد في نور الكتاب الكريم ؟ والجواب نجد الخير والهداية . نجد أن النبيين وهم أئمة الهدى صلوات الله عليهم يسألون الله بعد أن يعملوا يسألونه أن يتقبل عملهم الصالح . وهذه أعظم من العمل نفسه ، لأن كثيرا من أعمال الناس قد لا ترتفع فوق رعوسهم . والعمل المرجو له القبول من الكريم - انما يتقبل الله من المتقين - هو ما حقق الأصلين العظيمين . الأول : الاخلاص لله وابتغاء مرضاته ووجهه الكريم . والثاني : القدوة والتأسي برسول الله ﷺ

وتحرى سنته ، لقول الله تعالى « فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ( وهو ما وافق هديه ﷺ ) ولا يشرك بعبادة ربه أحدا » ( وهو ما أريد به وجهه خالصا ) فالله سبحانه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه • ان هذا هو سبيل السداد والمرشاد •

ولنسمع متدبرين لآيات الله التي تركز على رجاء المؤمنين في القبول « فأما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى أن يكون من المفلقين » « ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون • ليجزي الذين آمنوا و عملوا الصالحات من فضله » « انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين » « والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون » من حديث أحمد والترمذي أن عائشة رضى الله عنها سألت رسول الله ﷺ فقالت « الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة » هو الذى يسرق ويزنى ويشرب الخمر وهو يخاف الله عز وجل ؟ قال : لا يا بنت الصديق ولكنه الذى يصلى ويصوم ويتصدق ويخاف ألا يتقبل منه » •

روى أحمد وابن ماجه أنه ﷺ اذا سلم من صلاة الصبح يقول :  
« اللهم انى أسألك علما نافعا ورزقا طيبا وعملا متقبلا » اللهم آمين •

والقرآن الذى يهدى الى الرشده يذكرنا بضراعة النبيين الى ربهم لينتقل منهم • وهذا خليل الرحمن يقوم ببناء البيت وابنه يعاونه عليهما السلام فيدعو ربه : ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم : الآيات • ويواصل ضراسته قائلا : رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ربنا وتقبل دعاء • ويثنى على ربه بقوله : ان ربي لسميع الدعاء • ومثلها من زكريا عليه السلام • أما سليمان عليه السلام فيدعو ضارعا « وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين » وتجمعهم آية من سورة الأنبياء « انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين » وعلى هذا النهج القويم جاء قوله عز وجل فى سورة الأحقاف « حتى اذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعنى أن أشكر

نعمتك التي أنعمت على وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لى  
 في ذريتي انى تبت اليك وانى من المسلمين • أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن  
 ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم فى أصحاب الجنة وعد الصدق الذى كانوا  
 يوعدون » ويوضح القرآن الكريم طريق السلامة لأولى الألباب « أمن  
 هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه • قل  
 هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون • انما يتذكر أولو الألباب » •  
 ما أعظمها من آية « رب انى لما أنزلت الى من خير فقير » •

### لمن ثواب القراءة!؟

من تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله فى الجزء الرابع شرحا لقوله  
 تعالى « وأن ليس للانسان الا ما سعى • وأن سعيه سوف يرى • ثم  
 يجزاه الجزاء الأوفى » من سورة النجم يقول : ثم شرع الله تعالى بين  
 ما كان أوحاه فى صحف ابراهيم وموسى عليهما السلام : أى ما اتفقت  
 عليه الشرائع • فقال : « أن لا تزر وازرة وزر أخرى » أى كل نفس ظلمت  
 نفسها بكفر أو شىء من الذنوب فانما عليها وزرها لا يحمله عنها أحد كما  
 قال تعالى « وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شىء ولو كان ذا قربى »  
 « وأن ليس للانسان الا ما سعى » أى كما لا يحمل عليه وزر غيره كذلك  
 لا يحصل من الأجر الا ما كسب هو لنفسه • ومن هذه الآية الكريمة  
 استنبط الشافعى رحمه الله ومن تبعه أن القراءة لا يصل اهداء ثوابها  
 الى الموتى لأنه ليس من عملهم ولا كسبهم • ولهذا لم يندب اليه رسول  
 الله ﷺ أمته ولا حثهم عليه ولا أرشدهم اليه بنص ولا ايماء • ولم  
 ينقل ذلك عن أحد من الصحابة رضوان الله عليهم • ولو كان خيرا  
 لسبقونا اليه • وباب القربات يقتصر فيه على النصوص • ولا يتصرف  
 فيه بأنواع الأقيسة والآراء • فأما الدعاء والصدقة فذاك مجمع على  
 وصولها ومنصوص من الشارع عليهما لحديث مسلم أنه ﷺ قال : اذا  
 مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاث : من ولد صالح يدعوه ، أو صدقة  
 جارية ، أو علم ينتفع به » فهذه الثلاثة فى الحقيقة هى من سعيه وكده  
 وعمله ووقفه • وقد قال تعالى « انا نحن نحيى الموتى ونكتب ما قدموا

البقية صفحة ( ٥١ )

# إنما يخشى الله من عباده العلماء

بقلم : محمد طه نصر

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله قال تعالى « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود • ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء • ان الله عزيز غفور » الآيتان ٢٧ - ٢٨ سورة فاطر •

هذه الصفحات التي ذكرها الملك العظيم في هذه الآية وغيرها هي بعض صفحاته ودلائل قدرته وعظمته • والعلماء هم الذين يتدبرون هذا الكتاب العجيب الموحى بالايان والتقدير والتسبيح لهذا الرب العلى الأعلى ومن ثم يخشونه حقا ويتقونه ويعبدونه استجابة ويقينا لما يرون من صنع الله المبدع للجمال والاتقان والألوان والتكوين والتنسيق في ذلك الكون الجميل « صنع الله الذى أتقن كل شىء » •

والآية الكريمة منبهة على كمال قدرته في خلقه الأشياء المتنوعة من الشىء الواحد وهو الماء الذى ينزله من السماء يخرج به ثمرات مختلفا ألوانها نعمة وجمالا ، كقوله تعالى « ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ان في ذلك لآيات للعالمين » أى إنما يخشاه عز وجل حق خشيته العلماء العارفون به المؤمنون بآياته ، لأنه كلما كانت المعرفة للملك العظيم القدير العليم المتصف بصفات الكمال والجلال والانعام وبالأسماء الحسنى كلما كانت المعرفة به أتم والعلم به أكمل كانت الخشية له أعظم وأكثر •

يذكر الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره عن ابن عباس رضى الله عنهما « إنما يخشى الله من عباده العلماء » الذين يعلمون أن الله على كل شىء قدير • والعالم بالرحمن من عباده من لم يشرك به شيئا - لأن

النعمة منه ، ومردّها اليه والجزاء بين يديه عز وجل ، فلم يتخذوا من  
دونه أولياء ولا شفعاء لأنه القريب المحيب – والمؤمن الصادق في خشية  
الله هو من أحلّ حلاله وحرم حرامه وحفظ وصيته وأيقن أنه ملاقيه  
ومحاسب ومجزى بعمله •

وقال سعيد بن جبير : الخشية هي التي تحول بينك وبين معصية  
الله سبحانه لحديث رسول الله ﷺ « اللهم اقسّم لى من خشيتك ما تحول  
به بينى وبين معاصيك » •

ويروى عن الحسن البصرى : العالم حقا من خشى الرحمن بالغيب  
ورغب فيما رغب (١) الله فيه وترك ما سخط الله عنه •

أما ابن مسعود رضى الله عنه فيقول : ليس العلم عن كثرة الحديث  
ولكن العلم عن كثرة الخشية لله الرب العظيم •

والقرآن يفسر بعضه بعضا • لتوضيح الآية الكريمة نورد بعض  
أخواتها « ان الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير » تبارك  
« ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون » الى قوله « وقلوبهم وجلّة  
أنهم الى ربهم راجعون أولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون »  
المؤمنون « وذكرنا للمتقين الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة  
مشفقون » الأنبياء • ومن السورة فى الثناء على الأنبياء « ويدعوننا رغبا  
ورهباً وكانوا لنا خاشعين » « انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب  
وأقاموا الصلاة ومن تركى فانما يتركى لنفسه » فاطر « انما المؤمنون  
الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا »  
الأنفال •

وعن الجزاء الحسن بالجنات والنعيم جاءت الآيات « جزاؤهم عند  
ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضى الله عنهم  
ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه » البينة « وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد  
هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ • من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب  
منيب ادخلوها بسلام » •

(١) رغب : بتشديد الغين وفتحها •

ان الله جل ثناؤه ولا اله غيره أعظم وأقدس من أن يظن به أنه  
يخشى العلماء • حاشا لله • ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوى عزيز •  
العزة لله جميعا •

ان القرآن بلسان عربى مبين ، وان المؤمن ليتضح له بنور ايمانه  
أن الآية الكريمة تصف أثر العلم والآيات فى قلوب وعمل العلماء المؤمنين  
فى كل مجال وزيادة يقينهم وخشيتهم وتذكرهم • ان الفاعل فى الجملة هو  
لفظ العلماء • أما لفظ الجلالة « الله » فمنصوب بالفتحة مفعول به ولكنه  
قدم فى الآية تعظيما واجلالا ومع أخواتها من الآيات تبين المراد • والمؤمن  
يؤدى عبادته وصلاته مكبرا لله قائما ومعظما له راکعا ومتقربا اليه  
ساجدا وداعيا • سبحان ربى العظيم سبحان ربى الأعلى ، والله أعلم •  
وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه آمين •

أحمد طه



## آداب لهداية الحياة ..

بقلم أحمد طه نصر

العون بالله عز وجل لصد هذه الموجات المتمردة على دين الله المتحللة من الفضيلة التي وصل بها المدى الى صرف ضعاف المؤمنين عن هداية القرآن الكريم والتأسي بهدى النبي ﷺ في بيته ونسائه أمهات المؤمنين رضى الله تعالى عنهن. نسوق هذه الآيات الهادية ... «والله يقول الحق وهو يهدى السبيل» «والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما. يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا» «يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا. ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما. يا نساء النبي لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي فى قلبه مرض وقلن قولا معروفا. وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى. وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله. انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا. واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة» الأحزاب .

يقول الحافظ ابن كثير هذه آداب أمر الله بها نساء النبي .

ونساء الأمة تبع لهن فى ذلك أه .

كما أنه ﷺ قدوة للعالمين، وشاء الكريم سبحانه أن يجعل من بيت النبي أسوة طيبة فى الأدب والحياء والخلق الكريم. واختار عز وجل أطيب وأطهر النساء ليجعل منهن زوجات للنبي ﷺ وأمهات للمؤمنين. فبدأ بهن لأن نساء الأمة كلهن سيتطلعن اليهن ويقتدين بهن. حتى الرجال فى الشئون الدينية يذهب المؤمن منهم ويقول يا أمه ماذا عن رسول الله فى كذا وكذا؟ والله الكريم يذكرهن بمنزلتهن ثم يحذرهن من الخطأ فى عشرة النبي ﷺ أو اغضابه ونحوه مما يعتبر فاحشة، وأن

العقوبة مضاعفة. ولا يلزم أن يقع ذلك، ولكنه التعريف بحق الزوج وطاعته وخاصة ﷺ، ثم بشرهن بالخير ومضاعفة الأجر مع التزام تقوى الله عز وجل .

وفى السورة أيضا آية «قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين» فأشرك الله المؤمنات فى هذه الآداب. مؤمنات الأمة حتى قيام الساعة بدليل أنها نزلت تخاطب مجتمع الايمان من المهاجرين والأنصار الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه. وكلهم فداء للنبي ﷺ. وزوجاته أمهات لا يتطلع اليهن الا بكل تقدير وتوقير. بالرغم من ذلك كله يقول لهن «ولا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض» يقصد المجتمع والناس. انه علاج وهداية القرآن الى يوم القيامة. وان رغمت أنوف. «وقرن فى بيوتكن» فلا تخرجن لغير حاجة. وأهمها الصلاة لما روى أحمد وأبو داود أنه ﷺ قال: لا تمنعوا اماء الله مساجد الله وليخرجن وهن تفلات وبيوتهن خير لهن. ومن حديث الترمذى «ان المرأة عورة فاذا خرجت استشرفها الشيطان. وأقرب ما تكون من ربها وهى فى قعر بيتها» ومن حديث البخارى «المرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها» والآيات توحى بالفضيلة وترشد الى الكمال وتعرف مرضاة الله. وخير الهدى هدى نبينا ﷺ. وفى الاستقامة عليها طيب الحياة وسلامة المجتمع واکرام للمرأة التى امتهنت اليوم حتى صارت سلعة للاعلان وصورة غلاف واثارة للفتنة كنساء الغرب اللاتى تحللن من كل أدب وحياء. عياذا بالله.

والدين كل لا يتجزأ. وحجاب المرأة ايمان وعفة. والسفور والاختلاط تمرد وعصيان. ان لم تتب المرأة منه فهى كما جاء فى حديث مسلم من أهل النار. وصلاتها ان صلت أو صامت ووليها معها يشملها الحديث «رب صائم لم ينله من صيامه الا الجوع والعطش» واذا لم تكن الآيات لهدايتنا فلم نزلت؟ وبم تقوم حجة الله علينا؟ ان المضلين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا. والنجاة فى الاعتصام بالله عز وجل «ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم» ختاماً «فاستمسك بالذى أوحى اليك» والله الموفق وهو خير معين. وصلى الله على نبينا محمد وآله أجمعين.

أحمد طه نصر

# تتنزل السكينة وتدنو

## الملائكة للقرآن

بقلم : أحمد طه نصر

القرآن الكريم أصدق الحديث، وهداية رب العالمين، حجته الخالدة ونعمته الكبرى، عصية لمن تمسك به، ونجاة لمن اتبعه. تلاوته وترتيبه إيماناً واحتساباً ابتغاء مرضاة الله والدار الآخرة هو عمل المؤمنين. ومعرفة قراءته كما يحب ربنا عز وجل، وكما علمنا رسول الله ﷺ هو سلوك للصراط المستقيم. يقول عز من قائل (واتل ما أوحى إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحداً).

ثم ربح عظيم وخبر بالثناء الكريم (إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور. ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور).

هداية التلاوة: روى البخارى عن قتادة سألت أنسا رضى الله عنه عن قراءة النبى ﷺ فقال: «كان يمد مداً إذا قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يمد بسم الله ويمد الرحمن الرحيم» وروى أبو داود والترمذى عن أم سلمة رضى الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يُقَطع قراءته يقول (الحمد لله رب العالمين) ثم يقف، (الرحمن الرحيم) ثم يقف (مالك يوم الدين).

وروى البخارى ومسلم عن البراء رضى الله عنه: «سمعت  
النبى ﷺ يصلى العشاء فما سمعت أحدا أحسن صوتا منه» وروى  
الطبرانى «إن من أحسن الناس صوتا بالقرآن الذى إذا سمعتموه  
يقرأ حسبتموه يخشى الله تعالى عملا بقوله تعالى «ورتل  
القرآن ترتيلا» أى اقرأ على تمهل فإنه يكون عوناً لك على فهم  
القرآن وتدبره، قراءة مفسرة حرفاً حرفاً - لا هذاً كهذاً الشعر ولا  
عجلة أى لا يكن همك آخر السورة - لأن التأنى فى القراءة يثمر  
التدبر، وهو حكمة إنزاله «كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا  
آياته وليتذكرو أولو الألباب».

وفى البخارى ومسلم قول النبى ﷺ لأبى موسى رضى الله عنه  
«لو رأيتنى وأنا أستمع لقراءتك البارحة، لقد أوتيت زمماراً من  
مزامير آل داود عليه السلام» فقال أبو موسى: «لو علمت مكانك  
لحبرت لك تحبيراً» أى تحسيناً. والمعنى لحسنت صوتى وزينته  
ورتلته. ومزمار داود عليه السلام ثناء على حسن الأداء. مزمار  
داود قلب خاشع ولسان ذاك مسبح بحمد ربه يردده معه الجبال  
والطير فتصفى إليه الأفئدة.

الترتيل وجزاؤه: روى أحمد وأصحاب السنن أنه ﷺ قال:  
«يقال - يوم القيامة - لقارئ القرآن - إيماناً وهداية وزاداً ليس  
للأمراء ولا للحفلات ولا للموتى عياداً بالله تعالى - اقرأ وارقد  
ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا فان منزلتك عند آخر آية كنت  
تقرؤها».

يقول تعالى «الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك  
يؤمنون به» وردت هذه الآية الكريمة فى سياق التنديد ببني  
إسرائيل ومن سلك سبيلهم «ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى  
حتى تتبع ملتهم. قل إن هدى الله هو الهدى» - الذى بعثنى به

هو الهدى وحده والدين المستقيم الشامل لخيري الدنيا والآخرة، لأن إيراد (ال) التعريف تفيد حصر الهداية، ثم تهديد ووعيد شديد للأمة عن اتباع طرائق اليهود والنصارى بعد ما علموا - أى المؤمنون - من القرآن وهدى النبى ﷺ طريق الحق: إن الخطاب للرسول والأمر لأمرته «ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من لى ولا نصير» ثم جاءت آياتنا الكريمة «الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به» فى أعقاب ذلك وإن كان النص أشمل وأعم.

روى عبد الرزاق عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: «والذى نفسى بيده إن حق تلاوته أن يحل حلاله ويحرم حرامه ويقراه كما أنزله الله، ولا يحرف الكلم عن مواضعه، ولا يتأول منه شيئاً على غير تأويله» ومثله عن ابن عباس رضى الله عنهما زائداً: يتبعونه حق اتباعه. ثم قرأ والقمر إذا تلاها» أى اتبعها.

التغنى بالقرآن ومعناه: روى مسلم أنه ﷺ قال: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن» وروى أيضاً عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: سمعت النبى ﷺ يقول: «ما أذن الله لشىء ما أذن لنبى حسن الصوت يتغن بالقرآن يجهر به» ما أذن: ما استمع من المسموعات شيئاً هو أرضى عنده، ولا أحب إليه من نبى يتغن بالقرآن يحسن صوته بخشوع وتحزن. يجهر به: يسمع نفسه ومن يليه. يوضحه الأثر عن عمر بن الخطاب وأبى هريرة رضى الله عنهما: «أى ليس منا من لم يحسن صوته بالقرآن» عناية ودراسة ومراعاة إعرابه - فإنه أول التعليم ويحرم مخالفة ذلك - أى خذوا بقراءته يهديكم ويقوم السنتم واشغلوا أصواتكم مع قلوبكم به واتخذوه دينكم، فإنه الذكر الحكيم والنور المبين.

ومن المعانى الواردة فى التغنى به: أى يُستغنى به من

الاستغناء الذى هو ضد الافتقار لا من الغناء. وفى الصحاح: تغنى الزجل بمعنى استغنى وأغناه الله عن سواه من الكتب لقوله تعالى « أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون ».

وقيل يتغنى أى يتحزن قنوتا وخشوعا لما روى أنه ﷺ كان يصلى ولصدره أزيز: كأزيز المرجل من البكاء، ولما روى أيضا فى البخارى ومسلم أنه ﷺ قال لعبد الله بن مسعود: اقرأ على. يقول عبد الله: فقرأت سورة النساء حتى بلغت قوله تعالى « فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا » قال: حسبك. فنظرت إليه ﷺ فإذا عيناه تذرفان .

التزيين: آية فى كتاب الله تهدينا إلى فهم جيد « فإذا قرأناه فاتبع قرآنه » أى قراءته. بهذا الأسلوب جاء حديث أبى داود والنسائى يقول ﷺ « زينوا القرآن بأصواتكم » أى زينوا القراءة، لأن القرآن العظيم ليس فى حاجة إلى من يزينه وهو النور والضياء والزين الأعلى لمن ألبس بهجته واستنار بضياؤه . ويقولون فى الحديث إنه من باب المقلوب: أى حسنوا أصواتكم فلن يكون حسنا إلا إذا كانت لكم بالقرآن صلة. والصوت الحسن هو الصوت الفطرى الحلو الذى يثمر زيادة الإيمان والاستجابة عند تلاوته. يقول تعالى « إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا » وقوله عز وجل « الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله. ذلك هدى الله يهدى به من يشاء. ومن يضلل الله فما له من هاد ».

الصوت الفطرى: لا تكلف فيه ولا صناعة ولا لحن ولا تطريب  
كقراءة المحترفين المخالفين لأدب قراءته واستماعه معاً لما يترتب

على طربهم من صياح ورفع صوت بالإعجاب فهم فى واد بعيد.  
فالقُرآن العظيم أعز وأغلى وأقدس من هذا الافتراء. وقد نددَ بهم  
الإمام القرطبي فى تفسيره حيث يقول: «الذين يقرءون أمام  
الأمراء والجنائز ويأخذون الأجور والجوائز - يتكفون لذلك طربا  
- ضل سعيهم وخاب عملهم. يعملون ذلك جهلا بدينهم ومروقا من  
سنة نبيهم ﷺ ونزوعا إلى ما يزين لهم الشيطان وهم يحسبون  
أنهم يحسنون صنعا أهـ

إن الذين يؤمنون به يعرفون له قداسته ووقاره، يهتدون به  
ويتلونه ببصيرة مستنيرة ويسجيبون له. وأحب ﷺ الصوت  
الحسن القوى لأمره عبد الله بن زيد رضى الله عنه «قم مع بلال -  
رضى الله عنه - فألق عليه ما رأيت فإنه أندى صوتا منك».

القُرآن تنزل له السكينة وتدنو منه الملائكة: روى البخارى  
عن أسيد بن حضير رضى الله عنه: بينما هو يقرأ من الليل  
سورة البقرة وفرسه مربوطة عنده إذ جالت الفرس (أى وثبت)  
فسكت فسكنت فقرأ فجالت فسكت فسكنت فأنصرف. وكان ابنه  
يحيى قريبا منها فأنشفق أن تصيبه فرفع رأسه إلى السماء فإذا  
مثل الظلة فيها أمثال المصابيح فخرجت حتى لا يراها. فلما أصبح  
حدث بذلك النبى ﷺ فقال له: «اقرأ ابن حضير. أتدرى ماذا؟  
تلك الملائكة دنت لصوتك ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها  
لا تتوارى عنهم».

وقريبا منه عن البراء رضى الله عنه أنه ﷺ قال له: «تلك  
السكينة تنزلت للقُرآن» متفق عليه. كما روت عائشة رضى الله  
عنها قوله ﷺ «الماهر بالقُرآن مع السفارة الكرام البررة والذى  
يقرأ القُرآن ويتتعتع فيه له أجران» متفق عليه. والله أعلم.

أحمد طه نصر

من أمانة الكلمة:

## البينة أو حدُّ في ظهرك

بقلم: أحمد طه نصر

مع توفيق الله عز وجل تزكو النفوس وتصلح الحياة بما تضمنه هذا الكتاب الكريم من آداب وأخلاق وحدود وأحكام ألزم الله بها المؤمنين لصيانة الأسرة وطهارتها ونظافة المجتمع واستقراره وفرض عليهم العمل بها.

إن الآداب الاجتماعية والأخلاق العالية التي جاء بها الكتاب في عديد من السور كسورة الحجرات وسورة النور - وحق لها أن تكون نورا وهداية وحصانة لما ورد فيها من الاستئذان على البيوت وفي داخلها، وغض البصر وحفظ الفروج، والتحذير من الفتنة والبغاء، وتحريم الاختلاط، والنهي عن إبداء الزينة للأجانب وغير المحارم. إنها أسباب وقائية لحفظ الأسرة من الانحلال، وحفظ المجتمع من التصدع والانهييار.

إن الحدود والأحكام الشرعية التي ذكرت في السورة كحد الزنا والقذف وأحكام اللعان إنما شرعت للضرب على يد العابثين بالأعراض، المنتهكين للحرمان، الممتهين للكرامات، وتطهيرا للمجتمع من رواد الفساد والفوضى، وحفظا للأمة من عوامل الانحلال الأخلاقي الذي يقضى على الأنساب ويغرس الأحقاد ويشيع الفاحشة بين الناس.

وفي عجالة: ماذا عن أمانة الكلمة والبينة والشهود؟ ماذا عن القذف والزنا؟ إن السورة جديرة بالدراسة والمتابعة لاستقامة الحياة وتحقيق النجاح المنشود.

الزنا: جريمة كبيرة الضرر، تهدم بنيان الأسرة، وتحطم كيان المجتمع. وهو خروج على النظام الإسلامي السليم، نظام الزواج الذي شرعه الله للارتباط بين الرجل والمرأة. ولعظم جنايته قرنه



الحكيم عز وجل بالشرك وقتل النفس فى قوله تعالى عن عباد الرحمن «والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون» فإذا وجد الماجن المستهتر بالقيم المتبجح بالجريمة كانت العقوبة التى فرضها الدين القويم زجراً وتأديباً. والحدود نظام أرحم بكثير مما ينتظر أمة يشيع فيها الزنا والاعتصاب من مصير سحيق: معاناة فى الحياة وغضب من الله. وفى الحديث «لا أحد أغير من الله من أجل ذلك حرم الله الفواحش ما ظهر منها وما بطن».

القذف: «والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم» إن ترك الألسنة تلقى التهم على المحصنات - وهن الحرائر العفيفات - دون دليل قاطع يترك المجال فسيحاً لكل من شاء أن يقذف بريئة أو بريئاً بتلك التهمة المنكرة ثم يمضى أمناً. فتصبح الجماعة وتمسى وإذا أعراضها وسمعتها ملوثة وإذا كل فرد فيها متهم أو مهدد بالاتهام وإذا كل زوج فيها شك فى زوجه، وكل بيت فيها مهدد بالانهيار. وهى حالة من الريبة والقلق لاتحتمل. لهذا وصيانة للأعراض من التهجم، وحماية لأصحابها من الآلام شدد القرآن الكريم فى عقوبة القذف فجعلها قريباً من عقوبة الزنا: ثمانين جلدة مع إسقاط الشهادة والوصم بالفسق، والجماعة المسلمة لا تخسر بالسكوت عن تهمة غير محققة كما تخسر بشيوع الاتهام.

وتظل العقوبات التى توقع على القاذف وبعد إقامة الحد مصلية فوق رأسه إلا أن يتوب: ذلك حكم القذف العام. ولكن استثنى منه أن يقذف الرجل امرأته فإن مطالبته أن يأتى بأربعة شهداء فيه إرهاب وبلاء، لذلك جعل لهذا النوع من القذف حكم خاص يعرف بالملاعنة.

وأيتنا الكريمة فيها حكم الله بجلد القاذف للمحصنة. فإذا كان المقذوف رجلاً فكذلك يجلد قاذفه أيضاً. وليس فيه نزاع بين العلماء. فإذا أقام القاذف بينة على صحة ما قال درأ عنه الحد. ولهذا قال تعالى «ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم» الآية.

والتوبة الصادقة ترفع الفسق ورد الشهادة. أما الجلد فقد مضى سواء تاب أو أصر.

من بيان السنة: روى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن هلال بن أمية رضى الله عنه قذف امرأته عند النبى ﷺ برجل وسماه. ومن رواية أحمد يقول جنئت على أهلى عشاء فوجدت عندها رجلا، فرأيت بعينى وسمعت بأذنى. فكره ﷺ ما جاء به واشتد عليه وقال له: «البينة أو حد فى ظهرك» فقال هلال والذى بعثك بالحق إنى لصادق ولينزلن الله ما يبرىء ظهرى من الحد. ويكرر ﷺ «البينة أو حد فى ظهرك» وتطلع الكثيرون من المؤمنين إلى كشف هذه الغمة عن شيخ أحسنوا الظن به. وعرفوا له حرمة. فوالله إن رسول الله ﷺ يريد أن يأمر بضربه إذ أنزل الله على رسوله الوحى. ولما سرى عنه قال أبشر يا هلال فقد جعل الله لك فرجا ومخرجا. والذى نزل آيات الملائنة بين الزوجين خاصة، أما غير الزوجين فالآية الأولى هى السياج والحصانة والبعد عن سوء الظن أو ترديد مقالات السوء والاتهام. فإن علق بنفس المؤمن شىء من ذلك ومن طائف الشيطان فلا ينبغى أن يتكلم به لينعم برحمة الله وعفوه، لما أخرج الشيخان أنه ﷺ قال: «إن الله تعالى تجاوز لأمتى عما حدثت به أنفسها ما لم تقل أو تعمل».

إن الكتاب الكريم قد عبر فى آيات كثيرة عن هداية الايمان «لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مبين. لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون» «ولولا إذ سمعتموه قلتُم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم» ومن رواية البخارى أنه أتى برجل قد شرب وضرب الحد. ثم سمع ﷺ رجلا يقول: أخزاك الله. فنهاه ﷺ قائلا: لا تقل ذلك فتعين عليه الشيطان.

اللهم نجنا من الفواحش ما ظهر منها وما بطن ونجنا من كل سوء واختم لنا بخاتمة الإيمان.

أحمد طه نصر

# الاستئذان وأمن البيوت

بقلم : أحمد طه نصر

يقول عز من قائل كريم «واللهُ جعل لكم من بيوتكم سكناً» وحول أمنها وحرمتها يقول سبحانه « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها . ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون . فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم . وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم »

إن القرآن العظيم كتاب هداية ومنهج حياة . وقد جعل الله البيوت سكناً يفيء إليها الناس ، وفيها مطمئن نفوسهم ويأمنون على حرمااتهم وستروعاتهم أن تنتهك . والبيوت لا تكون كذلك إلا حين تتخلق بما منحها الدين القويم من عناية . ومن أجل هذا وذاك أدب الله المؤمنين بهذا الأدب العالى ، أدب الاستئذان على البيوت والسلام على أهلها لإيناسهم . وبعد الاستئذان إما أن يكون فى البيوت أحد من أهلها أو لا يكون . فإن لم يكن فيها أحد إلا النساء فلا يجوز اقتحامها إلا ما استثنته آية سورة النور من المحارم الأبدية دون الأقارب عامة لأنه لا دخول بغير إذن . فإن لم يأذن أهل البيت فلا دخول ويجب الانصراف . وما أعظم هذه الآداب « وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم » وللناس أعدارهم ولا إساءة فى الاعتذار . وهذا فى الاستئذان من الأقارب وغيرهم من خارج البيوت . وقد أوردت السورة التى حُقُّ لها أن تسمى بسورة النور استئذانا آخر فى داخل البيوت يشمل الأطفال والعاملين .

**مع السنة الهادية :** متفق عليه قوله ﷺ إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليصرف أى بطرق الباب ثلاثاً فإن أُذِن له وإلا انصرف راضياً لما روى أحمد أنه ﷺ استأذن على سعد بن عبادة رضى الله عنه فقال : السلام عليكم ورحمة الله : فقال سعد وعليكم السلام ورحمة الله بصوت خافت ولم يُسمع النبى حتى سلم ثلاثاً وردَّ عليه سعد ثلاثاً ، فرجع ﷺ وأتبعه سعد فقال يا رسول الله بأبى أنت وأمى ما سلمت تسليمة إلا وهى بأذننى . ولقد رددتُ عليك ولم أسمعك . وأردتُ أن أستكثر من سلامك وبركة دعائك ثم أدخله البيت وأكرمه ودعا له ﷺ .

وعن كيفية الاستئذان روى أبو داود أنه ﷺ إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر ويقول في الحديث المتفق عليه «إنما الاستئذان من أجل النظر» وروى الشيخان أنه ﷺ قال لو أن امرأً اطلع عليك بغير إذن فخذفته بحصاة ففقت عينه ما كان عليك من جناح «

فإذا قيل لك من ؟ فلا تقل أنا بل اذكر اسمك ليتبين لأهل البيت. عن جابر رضى الله عنه أتيت النبي في أمر فدققت الباب فقال من ؟ فقلت أنا. قال أنا أنا كأنه كرهه « متفق عليه.

ولا يندفع الضيف أو القريب إلى داخل البيت لما روى أحمد وأبو داود أن صفوان رضى الله عنه دخل مرة على النبي قبل أن يسلم ويستأذن فقال له ارجع فقل السلام عليكم أدخل ؟ « وحتى على ذات المحارم. فقد كان الرجل من الصحب الكرام إذا دخل الدار تكلم ورفع صوته ليؤنسهم ولا يتخونهم. وعن أبي أيوب رضى الله عنه قلت يا رسول الله هذا السلام فما الاستئذان ؟ قال يتكلم الرجل بتسيحة أو تكبيرة أو تحميدة «

وحول آية سورة النور ٣١ وما أذنب للمحارم من الآباء والأبناء وإخوة الزوجة وأبناء إختها وأبناء أخواتها وكذلك النساء المؤمنات ولأية الأحزاب ٥٥ يدخلون ولو في غير وجود الزوج. ولا تأذن الزوجة لغيرهم . أما الحمى وهو القريب الذى ليس بمحرم كإخ الزوج وأبناء عمومته وأبناء أخواله، وكذلك أبناء أعمام الزوجة وأبناء أخوالها فقد روى الشيخان أنه ﷺ قال : إياكم والدخول على النساء فقال رجل أفرأيت الحمى ؟ فقال ﷺ هو الموت « أى لا تكون حياة. وبهذه الآداب تهدأ البيوت وتسلم وتنعم بأمنها

**الاستئذان داخل البيوت :** أمر الله المؤمنين أن يستأذنهم خدمهم مما ملكت أيماهم وأطفالهم الذين لم يبلغوا الحلم منهم فى ثلاثة أوقات : من قبل صلاة الفجر وهم نيام فى فرشهم، وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة وقت القيلولة وقد يكون مع أهله، ومن بعد صلاة العشاء لأنه وقت النوم وسكن الزوجين . فيؤمر الأطفال وغيرهم بالاستئذان خشية أن تقع أعينهم على شيء . فخلق الإسلام الحياء . والحياء خير كله . والله أعلم وبه التوفيق

**أحمد طه نصر**

# ومن يعتصم بالله فقد هُدى إلى صراط مستقيم

بقلم: أحمد طه نصر

بسم الله الرحمن الرحيم «هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً» والآية وما بعدها لمسة رقيقة للقلب البشرى: أين كان قبل أن يكون؟ مَنْ الذى أوجده؟ ومن الذى جعله شيئاً مذكوراً فى هذا الوجود بعد أن لم يكن له ذكر ولا وجود؟ وهذا الاستفهام إنما هو ليسأل الإنسان نفسه ويتدبر حقيقتها ويوقن باليد التى دفعته إلى الحياة، ورحلته فيها، ومصيره بعد الموت، وأن من حكم الخلق وقام عليها الكون تحقيق العبودية لله رب العالمين، ثم الابتلاء والاختبار، والتزود للآخرة التى خلقتنا من أجلها. أما الحياة ذاتها فهى مطية إلى الآخرة لمن وفق للخير «إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه» خلقه الربّ القدير هكذا من نطفة أمشاج - أخلاط - لاعبثاً ولا سدى، ولكنه لحكم عظيمة شاءها الخالق العظيم ليبتليه ويمتحنه وسبحانه يعلم ما هو وما اختياره وما ثمرة ابتلائه ولكن المراد ما يظهر من نتائج سعيه وعمله، ومن ثم جعله «سميعاً بصيراً» أى زوده بوسائل الإدراك ليستطيع التلقى والاستجابة وتدبر الأشياء والقيم ويحكم عليها ويختار ما يصلحه وأن تترتب عليها آثارها المقدره، ويُجزى وفق نتائج ابتلائه، ثم زوده إلى جانب المعرفة بالقدرة على اختيار ما بين له من معالم الطريق المستقيم الموصل إلى السعادة والنجاة وله أن يختار ويسعد أو ليضل ويشرد فيما وراءه من طرق لا تؤدى إلى الله عز وجل ومرضاته «إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً» وليعلم أن الأمر جد وأنه يحاسب على عمله ويُجزى به «ولقد بعثنا فى كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة» وشاعت إرادة الله أن يجعل إرادة العبد حرة فى سلوكه بعد ما زوده من هدايات، كذلك

ينفى القرآن الكريم بهذا النص وَهُمْ إِجْبَارَ الَّذِي لَوْحَ بِهِ الْمَشْرُكُونَ وَيَسْتَنْدِ  
إِلَيْهِ كَثِيرٌ مِنَ الْعَصَاةِ وَالْمُنْحَرِفِينَ.

والعقيدة الإسلامية عقيدة ناصعة واضحة. وهكذا شاء الله، والله فعال لما  
يريد، وحكمته عز وجل اقتضت خَلْقَ هذا الكائن البشرى باستعداد للخير  
والشر، والهدى والضلال، وقدرت أنه إذا أَحْسَنَ استخدام مواهبه من حواس  
ومشاعر ووجهها إلى إدراك الهدى فى الكون وفى النفس وما جاءت به الرسل  
عليهم السلام فإنه يؤمن ويهتدى. فالإيمان متروك للاختيار، ولا يكره عليه أحد  
«لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغي» «وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن  
الله» أى وفق إذنه وسُنَّتِهِ، فلا تصل نفس إلى الإيمان وقد سارت فى طريق  
آخر لا يؤدى إليه، بل هناك ما وعد الله به «والذين جاهدوا فىنا لنهدينهم سبلنا»  
«ويزيد الله الذين اهتدوا هدى» «ويهدى إليه مَنْ أُناب» فالإنابة إلى الله عز وجل  
هى التى جعلتهم أهلاً للهداية. والمفهوم إذا أن الذين لا ينيبون هم الذين  
يستأهلون الضلال بإعراضهم وغفلتهم وانغماسهم فى الشهوات والأهواء  
وتقليدهم الأعمى للأباء والشيوخ وعدم تعقلهم أن الهدى فى دين الله وحده من  
كتاب كريم وسنة ثابتة. وقد يُسَلِّمُ نفسه للشيطان الرجيم. وفيه يقول الله «كتب  
عليه أنه من تولاه فإنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير» ويتمرغ فى حماة  
المدنية الفاجرة بدلاً من أن يمحص دينه وطريق ربه المستقيم.

فإذا أدرك الإنسان حكمة الله ومشينته تعالى وتأدب العبد مع ربه العلى  
العظيم راجياً توفيقه وعونه لأخذ الله بيده وهدى قلبه وشرح صدره. وإلا فلن  
يهتدى إذا أبدأ، وصدق الله الكريم «فمن يُرِدِ الله أن يهديه يشرح صدره  
للإسلام» والله الرحيم يشرح للإسلام قلوباً يعلم منها الخير ويصلها بنوره  
فتشرق به وتستضيء. والآية تصور حقيقة القلوب التى تتلقى الإسلام الحق  
فتنشرح به، كما تصور القلوب الأخرى فى غلظتها وعمتها «ذلك هدى الله  
يهدى به من يشاء. ومن يضلل الله فما له من هاد» وهى هداية القلوب بعد  
هداية الفطرة وهداية العقل وهداية المرسلين بإبلاغ رسالات الله. ولذلك جاء

قوله تعالى «نفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها» وعبر عنها القرآن تارة بالهداية «وهديناه النجدين» ليختار أيهما شاء فهو استعداد فطري. وهذه الفطرة كامنة في قلب كل إنسان ولا يوقظها إلا الرسالات، فمن تلقى هداية الله في تزكية نفسه وتطهيرها وتنمية الخير فيها فقد أفلح، ومن أظلم وطمس هذه الفطرة وغفل عنها فقد خاب «قد أفلح من زكاهها وقد خاب من دساها» وقيمة الإنسان في حرية الاختيار وتحمل الأمانة وتبعية ما يختار، ولا نجاح له إلا بالرجوع إلى الموازين الإلهية من وحى السماء ليظل قريباً من ربه فيتولاه ويوفقه ولذلك يدعو الودود عز وجل «إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً».

إنه القرآن والذكر الحكيم وأساس الحق والهداية فيه هو الوجدانية المطلقة التي يقوم عليها الوجود. وهو منهجه الذي يدعو إليه الناس كافة: عبادة الله وحده وإخلاص الدين له، وقيام الحياة كلها على قاعدة هذا التوحيد.

وتوحيد الله وإخلاص الدين له ليس كلمة وعبرة تقال، إنما هو منهاج حياة كامل يبدأ بالعقيدة الخالصة وينتهي إلى نظام يشمل الحياة. والقلب الذي يُوحّد الله ولا يعبد إلا إياه ويبرأ من كل ما اتخذ الناس من دونه عز وجل من آلهة وأولياء يحيا في نور القرآن. فما للعباد من دون الله من ولي ولا يشرك في حكمه أحداً. إنه يعيش في أنسٍ وطمأنينة بالله الولي الحميد. إن البشرية لتتحرف عن منطلق الفطرة كلما انحرفت عن دين التوحيد الخالص الذي جاء به الإسلام وأن ما عليه شيوخ البدعة ووثنية الصوفية البغيضة وعبادتها للأوثان والموتى من دون الله طاعة للهوى والشيطان. إنهم على ضلال بعيدون عن الحق. إن التوحيد الخالص لا يتلبس بواسطة أو شفاعات «الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم - إشرار - أولئك لهم الأمن وهم مهتدون» ويحتجون بالهدى والضلال. «إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار»

إن القرآن تذكرة تنبه من غفلة وتنقذ من ضلال فمن شاء فليذكر، ومن لم يشأ فهو وشأنه، وهو ومصيره، وهو وما يختار لنفسه من جنة وكرامة أعدت للمتقين، ومن نار ومهانة للمخالفين. إن هذا القرآن يهدى للتي هي أقوم. قاعدته الأصلية الإيمان والعمل الصالح، وعليهما يقيم القرآن بناء الحياة وجزاء الآخرة. فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه، ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى. تبعة فردية تربط الإنسان بنفسه ويسأل عن عمله ويجزاه الجزاء الأوفى. وشاء الله أن يعذر إلى العباد بإنزال الكتب وإرسال الرسل عليهم السلام قبل أن يأخذهم بالتبعات. إنه عز وجل «لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً» والعبد أعجز من أن يعتمد على نفسه، ولا استغناء له عن الله أبداً وإلا فهو هالك لا محالة. إنه أفقر وأحوج إلى الاعتصام بالملك الذي له مقاليد السموات والأرض «ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم» إن الله العظيم يحب منا أن نأتيه طواعية. وأن نخلص له الدين. أمر عز وجل ألا نعبد إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون»

إننا في الحياة نعقد لجان الامتحانات رغم أنها لا تملك إلا رصد النتائج ودرجات الإجابات. ولكل مجتهد نصيب. ولكل مقصر ما احتمل. ولا لوم على اللجان؟! أما الله الملك الحكيم - والله المثل الأعلى - وقد خلق وأكرم وأنعم وهدى وأنزل كتباً وأرسل رسلاً بالهدى ودين الحق، وناداهم تودداً ورحمة «يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه» رواه مسلم. اللهم أنت الملك الحق والحكم العدل. اللهم وفقنا لما تحب وترضى والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وآله أجمعين

**أحمد طه نصر**



# وجوب تطهير القلب من الباطل ليستقبل طهر الإيمان

بقلم: أحمد طه نصر

«لا إكراه فى الدين» وحكمته: «قد تبين الرشد من الغى» ووضح الطريق لمن يرى. فليكن للإنسان بعد هداية الله الاختيار. وهو مبدأ يوقظ ضمير الإنسان ويسوقه إلى تصحيح مساره وسلوك الطريق المستقيم وتحمل تبعه عمله واختياره. «فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها» إن الكفر ينبغى أن يتجه إلى ما يستحق الكفر به وهو الطاغوت، وإن الإيمان يجب أن يتجه إلى من يجب الإيمان به وهو الله ذو الجلال والإكرام. فلا يسلم دينك ولا يتحقق إيمانك إلا بالبراءة والمعادة لقدر الكفر ونجس الشرك وهو الطاغوت المفسد للعقائد الإيمانية.

إن الكفر بالطاغوت تطهير للقلب ليستقبل طهر الإيمان ونقائه - كغسل الإناء قبل وضع الشراب النقى فيه من أجل السلامة - إن الكتاب الكريم هداية وإرشاد فلنسمع لآياته «قل إنما هو إله واحد وإننى برىء مما تشركون» «قل إنى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاعى البيئات من ربه وأمرت أن أسلم لرب العالمين» أسلم أمرى كله تعظيماً وحباً، رجاء وأملاً، اتكالا واستعانة، حياة وموتاً، أخرة ونجاة، مغفرة وجنة، إن ربه له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين.

إن منهج الإيمان علم وعمل وهداية ويقين بحق الملك العظيم على عباده «أن يعبدوه لا يشركون به شيئاً» الذين آمنوا ولم يلبسوا - يخلطوا - إيمانهم بظلم - بشرك من دعاء غير الله بطلب المدد والبركة - المبرعون من ذلك: أولئك لهم الأمن وهم مهتدون»، وعلى المؤمن أن يعمل على إرضاء ربه عز وجل قبل لقائه، وأن يكون على كلمة التوحيد والإخلاص «فاعلم أنه لا إله إلا الله» وهى تشتمل

على نفى وإثبات: نفى وبراعة ومعادة لكل ما اتخذ الناس من دون الله من آلهة وأولياء، فما للعباد من إله إلا الله، وما لهم من دونه من ولي ولا يشرك فى حكمه أحدا». وإثبات حق العبودية المقدس لله وحده عز وجل: عبودية مبرأة من الجهل، وضلال الوثنية والنصب - الأضرحة والمقاصير - التى يصفها الكتاب الكريم من سورة المائدة أنها رجس من عمل الشيطان» ويأمرنا باجتنابها «فاجتنبوه لعلكم تفلحون»

هذا هو هدى الدين ورسالته « ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت» «فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور» فمن أسلم على هذا النهج المستقيم «فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها» وأختها «ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى» أى من أخلص عبادته لربه وأحسن العمل باتباع هدى النبى ﷺ فقد أخذ موثقا من الله ألا يعذبه.

ومن الطاغوت ووجوب الكفر به واجتنابه والحذر منه شيطان يضل، وتقليد أعمى للشيوخ والعادات، وهوى متبع، ومدنية فاجرة، وصوفية دخيلة على الإسلام، دينها الخرافة والبدع. إن الاسلام تحرر وخلص من هذه المهلكات كلها. والعروة من الدلو والكوز المقبض، ومن الثوب مدخل الزر. والمعنى أن العروة هى النفع والهداية. ولا تنكسر ولا انفصام لها. والاستمسك بها هو الاعتصام بحبل الله المتين، وهدى خير النبيين ﷺ وهو طريق لا يضل سالكه، بل يصل به إلى النجاة.

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله فى تفسيره لآية سورة البقرة فمن يكفر بالطاغوت: أى من خلع الأنداد والأوثان - وهى المقاصير - وما يدعو إليه الشيطان من عبادة لكل ما يعبد من دون الله عز وجل ثم وحد الله فعبدته وحده وأخلص له دينه فقد استمسك بالعروة الوثقى ليلقى الله بقلب سليم. سلم من آفات الأهواء والشهوات والضلال. فالمؤمن لا يرجو إلا الله، ولا يتعلق إلا برحمته، ولا يلجأ إلا إليه، ولا يستعين إلا به، لأنه الإله الحق. «ومالى لا أعبد الذى فطرنى وإليه ترجعون» وبالله التوفيق.

أحمد طه نصر

# فَاتَّقُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِغَمٍّ مِنْ إِخْوَانِنَا

يقول الله عز وجل: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾  
ويقول سبحانه: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ .

الأخوة في الله تبارك وتعالى من أوثق عرى الإيمان . ولذلك تُعدُّ من أرفع درجات الأخوة بين الناس لأنها موثقة بيد الله عز وجل وبتوقيفه ، وعلى الرغم من جهد الرسول ﷺ لتأليف قلوب أصحابه رضوان الله عليهم ومواخاتهم = وهو أول عمل تأسس عليه قيام مجتمع الإيمان في المدينة بعد الهجرة = على الرغم من هذا الجهد العظيم فإن الله أعلم الرسول ﷺ أنه عز وجل تولى هذا الأمر . ونزلت الآيات ﴿ وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ . لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ ﴿ فَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ وعند مبايعة النبي المؤمنين على الجهاد جاء قوله: ﴿ يَدْ أَلْفَ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ .

إن المآخاة بين الأوس والخزرج : ثم بين المهاجرين والأَنْصار . كانت بناءً شامخاً . وتكافلاً صادقاً . وحبّاً امتزج بالقلوب والأرواح . ولقد أثنى الله على الأَنْصار بقوله : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يَحْتَوُنْ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ الآيات .

أخوة سمّت بهم وكونت رجالاً باعوا أنفسهم وأموالهم لله المالك الحق . نصرته لدينه وجهاداً مع رسوله ﷺ ودفاعاً عن كياناتهم برؤ أدعائهم وكفالة مجتمعهم ، إن أخوة الدين منحها الله حقّ الولاية فيما بينهم ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ﴾ ﴿ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون . ومن يتولّ الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله

هم الغالبون ﴾ . إن الأخوة التي وثقها الله . ونفذها رسوله في الأرض هي الكفيلة وحدها بأن تصنع مجتمعاً مؤمناً برّبّه مخلصاً له الدين . لا يعيد إلا إياه . يرجو رحمته ويخاف عذابه . نقيّاً من الحقد والحسد ، لا بغضاء ولا كُزّه ولا اعتداء على الأرواح والأموال . ولا انتهاك للأعراض ، إن الأخوة في الله لا تصنعها المذاهب المعاصرة التي عجزت أيديها عن استنقاذ اناس من



الظلم والجور والظفیان ، وإنما تصوغها وتهديها آيات الله المحكمة وهدى النبي الأمين ﷺ وليس غيرها ، ومما يترتب على هذه الأخوة أن يكون الحبّ والسلام والتعاون والعقيدة الصحيحة المستقاة من الكتاب والسنة القائمة على توحيد الله عزّ وجلّ وعبادته وحده اقتداء بالرسول وتحرى سنته ﷺ هي الأصل في الجماعة المسلمة . قيم راشدة . وخلق فاضل . معاملة أمينة . وبذلك تكون الحصانة والوقاية والعافية من فتن الحياة وإضلال الشياطين .

### من كنوز السنة

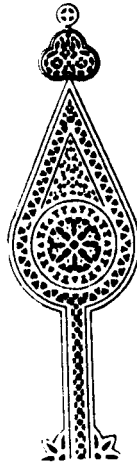
متفق عليه قوله ﷺ : مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ، متفق عليه ، المؤمن





للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضاً ، متفق عليه : هديه ﷺ المسلم أخ المسلم لا يظلمه ولا يَسْلَمُه . مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ . وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرْبَاتٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، مسلم ، بِحَسَبِ أَمْرٍ مِنْ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ . كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعَرْضُهُ ، متفق عليه « لا يُؤْمَنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يَحِبُّ لِنَفْسِهِ ، متفق عليه : هديه ﷺ ، « حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خُمْسٌ : رُدُّ السَّلَامِ . وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ . وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ . وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ . وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ ، وَمِنْ رِوَايَةِ مُسْلِمٍ : « حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتُّ إِذَا لَقِيْتَهُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ . وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجَبْتَهُ . وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانصَحْتَ لَهُ . وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَشَمَّمْتَهُ . وَإِذَا مَرِضَ فَعَدَدْتَهُ . وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبَعْتَهُ ، مسلم « أَنْ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى فَأَرْصَدَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا . فَلَمَّا أَتَى

عليه قال أين تريد ؟ قال أريدُ أخاً لي في هذه القرية قال : هل لك عليه من نعمة تربُّها عليه ؟ قال : لا غير أُنِّي أحببته في الله . قال : فإنسى رسول الله إليك بأن الله قد أحببك كما أحببته فيه ، مسلم إعلامه ﷺ « الدِّينُ النَّصِيحَةُ فَلَنَا مَنْ ؟ قَالَ : لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَتِهِمْ ، متفق عليه « بَايَعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَالنَّصِيحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ ، مسلم « إِنْ اللَّهُ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ



تواضعوا حتى لا يفخر أحدٌ على أحد . ولا يبغي أحدٌ على أحد ، مسلم نهيه ﷺ ، لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباعضوا ولا تدابروا . ولا يبيع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخواناً . المسلم أخو المسلم . التقوى هاهنا ، مسلم ، لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق ، مسلم « مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا . وَمَا تَوَاضَعُ أَحَدٌ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ ، مسلم « سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ فَقَالَ : الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ . وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ وَكِرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ . وَكَانَ يَقُولُ : « إِنْ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا ، الترمذی « اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ . وَاتَّبِعِ السَّبِيلَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا . وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ ، متفق عليه . وصيته ﷺ « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُوَدُّ جَارَهُ . وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمِ ضَيْفَهُ . وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَبْصُلْ رَحِمَهُ . وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ



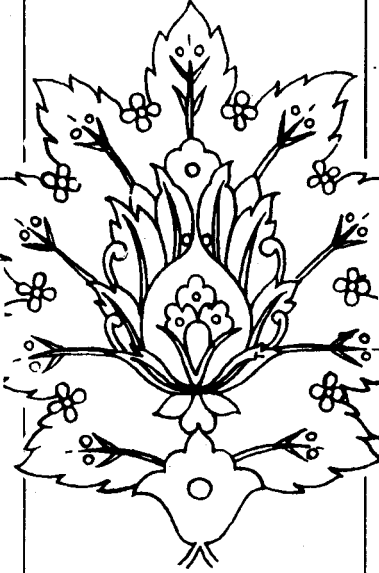
طيب نفس منه ، جزاه الله خيراً ،  
من طرائف التاريخ أن الحجاج ظفر  
بركب من ثلاثة رجال وامرأة  
ليقتلهم . وثار فيه نخوة العروبة  
آلا يقتل امرأة . ولا يدعها وحيدة في  
سفرها . فسألها عن الرجال ما  
قرابتهم منها ؟ قالت أخی وزوجی  
وولدی . فأمرها أن تختار أحدهم  
ليصحبها في سفرها . وأصر على  
نك ففوجيء لقسوة قلبه باختيارها  
أخاها . فعجب من ذلك !! وقال :

لم ؟ قالت : زوجي قد يعوضني الله  
عنه . وولدي فعلل الله أن يهيني  
فألد غيره . أما أخی فمن أين أتى  
بأبی وأمی ثانية ليلدا لي أخا . إنه  
سندی ، فقال : من شدة تأثره :

وهبتهم لك جميعاً . ونجا الركب  
بهداية الله لامرأة عرفت معنى  
الأخوة بسلامة فطرتها . اللهم اهدنا  
لما فيه رضاك . وبالله التوفيق .

وصلی الله وسلم وبارك على نبینا  
محمد وآله أجمعین .

أحمد طه نصر



الآخر قليقل خيراً أو ليصمث ، ،  
متفق عليه ، المسلم من سلم  
المسلمون من لسانه ويده ، فالإسلام  
اتقياداً لله عز وجل ؛ مسلم . تحذيره  
ﷺ ، من اقتطع حق امرئ مسلم  
بيمينه فقد أوجب الله له النار .

وحرّم عليه الجنة . فقال رجل : وإن  
كان شيئاً يسيراً ؟ فقال : وإن كان  
قضيياً من أراك ، ، بخارى . بيانه  
ﷺ ، لن يزال المؤمن في فسحة من  
دينه ما لم يصب بما حراماً ، ،

بخارى : « إن رجالاً يتخوضون في  
مال الله بغير حق فلهم النار يوم  
القيامة ، ، ومن حقوق الإنسان في  
حجة الوداع جاء قوله ﷺ بعد أن  
حمد الله وأثنى عليه : « أيها الناس  
اسمعوا قولي فإني لا أدري لعلي لا  
ألقاكم بعد عامي هذا . أيها الناس إن  
دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام  
عليكم إلى أن تلقوا ربكم . وستلقونه  
فيسألكم عن أعمالكم . فمن كانت  
عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه  
عليها . وأن المسلمين إخوة فلا يحل  
لامرئٍ من أخيه إلا ما أعطاه عن

## أليس الله بكاف عبده ؟ بلى هو حسبنا ونعم الوكيل

فضيلة الشيخ أحمد طه نصر

الأوثان . وخدم النصب فوق القبور وصوفية دخيلة على الإسلام تقدس الأضرحة وتساءل الموتى من دون الله وتقدم لها النذور والقرابين وتقيم لها الموالد أعياد الجاهلية ترجو بركتها ومددها الذين إذا ذكر الله اشمازت قلوبهم وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون - أن مشركى مكة كانوا يخوفون رسول الله ﷺ من الهتهم الباطلة الذين اتخذوهم شفعاء ووسطاء يدعونها من دون الله جهلاً منهم وضلالاً . ولهذا قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ

يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾  
ويحذرونه من غضبها لأنه يكفر بها ويبرأ منها لكونها عاجزة لا تملك ذرة في هذا الملك العظيم . ولا تملك

المالكة الغالبة . مع براءته من القوى الضئيلة الواهية الهزيلة ، فالحول والقوة بالله وحده . ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن . ومن ثم لا يؤمن بالوهم والجهل . بل يكمل أمره وأمر الخلائق إلى الله الحى القيوم مدبر الأمر ويمضى فى حياته ثابتاً واثقاً بالله مطمئناً به عز وجل ، إن الآيات تذكر بمنطق الإيمان الصحيح فى وضوحه وقوته كما ينبغى أن يكون فى قلب وعمل كل مؤمن بربه الذى له مقاليد السموات والأرض وله دعوة الحق ويجب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض . سبحانه وتعالى عما يشركون .

وقد ورد فى سبب نزولها أن مشركى مكة - وأمثالهم فى كل زمان من عبدة

أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ  
وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ  
دُونِهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ  
مِنْ هَادٍ ﴿٢٦﴾ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا  
لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي  
أَنْتِقَامٍ ﴿٢٧﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ  
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ  
لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا  
تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ  
اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ  
ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ  
هِيَ مُمَسِّكَةٌ رَحْمَتَهُ قُلْ  
حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ  
أَيَاتِ

كريمة من سورة الزمر تتناول حقيقة التوحيد من جوانب متعددة . تبدأ بتصور صدق القلب المؤمن وموقفه إزاء قوى الأرض ، واعتماده على قوة الله القادرة الوحيدة

لنفسها فضلاً عن غيرها نفعاً ولا ضراً . والعجب أنهم يدعون موتى لا يسمعون ولا يجيبون وعن دُعائهم غافلون ، كما قال قوم هود عليه السلام حينما دعاهم إلى عبادة الله وحده . ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ﴾ إِنَّ نَقُولُ إِلَّا أَعْرَبْنَاكَ بَعْضَ الْهَيْئَاتِ بِسُوءِ قَالِ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُ أَنَّ بَرِيءٌ مِمَّا تَشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾

وقال ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِن دَابَّةٍ إِلَّا أَهْوَأُ أَخَذَهَا بِنَاصِيَتِهَا ﴾

وايتنا تجمع الثقة

واليقين والطمأنينة في القلب المؤمن

﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾

والجواب بلى : فمن

ذا يُخيفه وماذا يُخيفه ؟ إذا كان الله معه . ومن ذا يشكُّ في كفاية الله وهو القويُّ القاهر فوق عباده . فكيف

يخاف ؟ والذين اتخذوهم أولياء أعجز وأضعف من أن يخيفوا من يحرسه الله ويحفظه ،

﴿ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ﴾ ﴿٢٧﴾

أى منيع الجناب

لا يضام من استند إلى جنبابه عز وجل ولجأ واعتصم به . فإنه العزيز الذي لا يغلب . ولا أعز ولا أشد انتقاماً منه ، ثم تقرر الآيات الحقيقة ذاتها من واقع ما يقررونه في فطرتهم . وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ

الآيات ﴿ يَقُولُ بَلِ اللَّهُ ﴾ . أى

إذا كان الله هو خالق السموات والأرض فهل يملك أخذ أن يكشف ضراً أراد الله أن يصيب به عبداً من عباده ؟ أم يملك أخذ سوى الملك العظيم أن يمنع رحمة أرادها الله لمؤمن يتوكل عليه ؟ ما شاء الله . والجواب : لا : فإذا استقرت هذه الحقيقة فقد

انتهى الجدل وذهب الخوف وانقطع الأمل إلا في الله الكريم وحده ، فهو كاف عباده وعليه الاعتماد والتوكل

اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ

وإنه لشرف

عظيم للنبي ﷺ ولكل مؤمن أخلص دينه لله وأفرده بعبوديته ولم يتخذ من دونه عز وجل ولياً ولا نصيراً فالله هو الولي وهو يُخَيِّ الموتى وهو على كل شيء قدير ، شرف وفوز وإنعام أن يصفه الله بعبده ولاية وتوفيق وعون . نجاة ونعيم يوم القيامة بفضله ورحمته .

فيا من الودُّ به فيما أوَّمته ومن أعوذُ به ممَّا أحازره . لا يجبرُ الناسُ عظماً أنت كاسره ولا يهيضونُ عظماً أنت جابره .

وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنسب ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .



# مع القرآن

المخلصين . يقول تعالى :  
﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي  
وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ .

إن من حولنا فتناً كقطع  
اللؤلؤ المظلم : من الفراغ  
والأمية الدينية والأهواء  
والبدع والمدنية الفاجرة .  
والمخرج منها هو طريق  
النور : وصراط الله  
المستقيم . إن النجاة هي  
الاعتصام بحبل الله المتين .  
وميثاق الله علينا ببيانه للناس  
وعدم كتمانها يقول تعالى :  
﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا  
مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا  
بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۗ أُولَٰئِكَ  
يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ۗ  
إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّاهُ  
فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ  
الرَّحِيمُ ﴾ .

وكما تحتاج العين إلى  
النور ليمدها بالرؤية  
الواضحة . فكذلك القرآن  
الكريم هو للبصيرة كالنور  
للبصر . لا يعرف الطريق  
المستقيم إلا بنور القرآن .  
﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ

الحمد لله القائل : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا  
رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ ۖ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ  
وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۗ وَأَنْزَلْنَا  
الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ۗ  
وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ  
قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ .

بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۖ خَلَقَ  
الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۖ اقْرَأْ وَرَبُّكَ  
الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۖ عَلَّمَ  
الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ العلم  
النافع الموصول إلى سعادة  
الدنيا والآخرة إبتداءً بالعلوم  
الدينية التي يزداد بها القلب  
خشية واستقامة : ﴿ إِنَّمَا  
يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾  
ويزداد العقل بها نوراً . وهي  
ما يجب على المسلم معرفته  
لقوله ﷺ من حديث مسلم :  
« ومن سلك طريقاً يلتمس فيه  
علماً سهل الله له طريقاً إلى  
الجنة » . ومن كل علم يرفع  
من شأن الأمة ويرقى بها  
إصلاحاً وتعميراً .

إن القرآن العظيم هو مئة  
الله الكريم على رسوله ﷺ  
وعلى المؤمنين العاملين

إلى أحبائي وأبنائي شباب  
جماعة أنصار السنة  
المحمدية . وكل شباب  
المسلمين المعتصمين بالحق .  
فتية الإيمان والتوحيد . جدير  
بكم أن تذكروا نعمة الله عليكم  
أن هداكم للإيمان . وخير لكم  
أن تتزودوا من نور هذا  
الكتاب أصدق الحديث . وبخير  
الهدى هدى نبينا محمد ﷺ .  
وذلك تقوى الله التي هي منازل  
العز والعاوية في الحياة .  
والنجاة والفوز في الآخرة .  
وسبيلها العلم والعمل : التفقه  
والتدبر . لتتحملوا أمانة  
الدعوة والقدوة .

إن من يتدبر أول آيات  
القرآن الكريم نزولاً يجدها  
تحض على العلم وترفع من  
مكانته . قال تعالى : ﴿ اقْرَأْ

بِرَّهَانٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا \* فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَقَضَلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا ﴿

[ النساء: ١٧٥ ] .

وكما تحتاج الأرض إلى فيض من الغيث يحيى موتاتها . ويبعث الحياة في جنباتها ، وكما يحتاج البدن إلى الروح تسرى في أوصاله فتبقى معها الحياة الكاملة . ولو فارقت هذه الروح لأصبح جثة هامدة . أجل . كما تحتاج هذه الكائنات إلى مقومات وجودها . تحتاج البشرية إلى دين الله عز وجل . إلى وحيه وشرائعه لأنها الروح : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرٍ مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ \* وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا \* وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض \* ألا إلى الله نصير الأمور ﴿ [ الشورى : ٥٣ ] .

لا غنى للإنسانية عامة والمؤمنين خاصة عن هذه الهداية حتى لا تضل ولا تشقى . إنها الخلاص .

يقول عز من قائل كريم : ﴿ فَاِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلْ وَلَا يَشْقَى \* وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى \* قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا \* قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيْتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى ﴿ [ طه : ١٢٦ ] .

إن من رحمة الله تعالى أن أنزل القرآن : ﴿ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ﴾ .

ومن حق القرآن على الناس . والمؤمنين بالأولى أن يعرفوا قدره . وأن يشكروا النعمة . وأن يلتزموا الحجة وكلما زاد حظهم من القرآن وتبهره اعتصاماً به فهو حبل الله الممدود لنجاتهم . وهو العروة الوثقى لا انفصام لها .

تحاكماً إليه وتخلقاً به . زاد حظهم من الخير والتوفيق لحياة طيبة عزيزة . وفوز ونجاة في الآخرة . وفي ضوء القرآن الكريم والسنة الحكيمة الثابتة أقدم بعض الكلمات المبسطة والموجزة لأخفرهم الشباب المؤمن إلى التزود من هداية هذا الدين القيم القائم على إخلاص العبودية لله رب العالمين . وإمامة خير المرسلين نبينا محمد ﷺ وبارك عليه وعلى آله أجمعين .

الضراعة إلى الله عز وجل أن يكتب في قلوبنا وقلوبكم الإيمان وأن يؤيدنا جميعاً بروح منه وأن تكون من حزب الله . ﴿ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ الْمُفْلِحُونَ ﴾ يقول ﷺ : « ما من الأنبياء نبي إلا أعطى ما مثله آمن عليه البشر . وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي . فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة » [ رواه الشيخان ] . وبالله التوفيق .

# الساعة قبل قيام أمارات وآيات

حمداً لله وضرعةً إليه : ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكفينا مع الشاهدين . ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين ، هذه الآيات تحيىء في آخر الزمان عند فساد الناس وتركهم طاعة شرائع الله عز وجل وتبديلهم الدين الحق الذى أوحاه العظيم وأرسل به خير رسله صلى الله عليه وعليهم أجمعين القائل من حديث الشيخين « لا أحد أحب إليه العذر من الله تعالى من أجل ذلك أرسل رسله وأنزل كتبه » وفي الكتاب الكريم بياناً وتهديداً ووعيداً أكيداً لمن سوف بإيمانه وتوبته إلى وقت لا ينفعه ذلك . عند اقتراب الساعة وظهور أشراتها ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلْ انظُرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴾ ، فيوم تأتيهم الملائكة ستأتيهم لتقبض أرواحهم . أو تدمرهم . ويوم يأتي ربك سيكون ذلك للحشر والحساب كقوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ﴾ روى مسلم حديثه صلى الله عليه « يؤتى بهم يومئذ لها سبعون ألف زمام . مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها » .

بقلم الشيخ

**أحمد طه نصر**

ويوم يأتي بعض آيات ربك - أى علامات الساعة - ستكون الخاتمة التى لا يقبل بعدها إيمان . بل تكون فصل الخطاب فإن كانوا يريدون الانتظار إلى ذلك الموعد فدعهم ﴿ قُلْ انظُرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴾ روى البخارى فى تفسير الآية قوله صلى الله عليه : « لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها

فإذا رآها الناس آمنَ مَنْ عليها فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل» كما روى مسلم أنه صلى الله عليه قال : « ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها : طلوع الشمس من مغربها ، والدجال ، ودابة الأرض » وصدق الله العظيم : ﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ . فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرُ لِذَنْبِكَ ﴾ ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴾ حيث لا ينفع الظالمين معذرتهم وهم اللعنة ، فليكن التوحيد من العبودية لله وحده . والبراءة من كل ما اتخذ الناس من دونه من آلهة وأولياء . ليكن ذلك الحق هو دينك وزادك فتوحيد الله عز وجل هو السلامة والنجاة . ولأهله سمة الرحمة والمغفرة والفوز

بالجنة يوم القيامة . ومن حديث قُدسي يقول سبحانه : « لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة » ، وفقرة من حديث جبريل عليه السلام عند الشيخين : أخبرني عن أمارتها قال صلى الله عليه : « أن تلد الأمة ربّتها . وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان » بمعنى انغماس الناس وتكالبهم على الدنيا وترفها غافلين عن آخرتهم روى مسلم وأحمد وأهل السنن عن حذيفة الغفاري رضى الله عنه قال : أشرف علينا رسول الله صلى الله عليه من غرفة ونحن نتذاكر أمر الساعة فقال : « لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات : طلوع الشمس من مغربها . الدخان . الدابة . يأجوج ومأجوج . الدجال . عيسى ابن مريم عليه السلام . وثلاثة خسوف :

خسف بالمغرب وخسف بالمشرق وخسف بجزيرة العرب . وناز تخرج من قعر عدن تسوق الناس وتحشرهم تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا » مسلم أيضاً عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : حفظت من رسول الله صلى الله عليه حديثاً لم أسه بعد ما سمعته يقول : « إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها . وخروج الدابة على الناس ضحى . وأيتهما كانت قبل صاحبها فالأخرى على أثرها قريباً » مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه صلى الله عليه قال : « بادروا بالأعمال ستة : طلوع الشمس من مغربها ، والدخان ، والدجال ، والدابة ، وخاصة أحدكم ، وأمر العامة » خاصة أحدكم : ساعتكم ونهاية أجلكم ، وأنه لن تكون هناك نجاة إلا بالاستقامة على الدين اعتصاماً بالله عز

وجل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ وأمر العامة من مسئولية التبليغ والنصح عملاً بقوله تعالى : ﴿ أَنْجَبْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ [ الأعراف : ١٦٥ ] وفي معناه روى البخارى « إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة » . قيل : كيف إضاعتها ؟ قال : « إذا وُسِّدَ الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة » . الشمس : أخرج الشيخان أنه ﷺ قال : « أتدرى أين تذهب الشمس إذا غربت يا أبا ذر ؟ » قلت : لا أدري !! قال : « إنها تنتهى دون العرش فتحيرُ ساجدة لله عز وجل ثم تقوم حتى يقال لها ارجعى . فيوشك أن يقال لها ارجعى من حيث جئت وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل » . الدابة : قول الله

تعالى : ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ [ النمل / ٨٢ ] وعن ابن عباس وعطاء رضى الله عنهم : تكلمهم كلاماً وتقول لهم : كذبت فاستقبلوا ما تستحقون . لأن بخروجها ينقطع الخير ، بدليل قوله تعالى بعدها : ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ [ النمل / ٨٣ ] أى يُجمعون ويُساقون بعنف ، وهى آية خاصة خارقة للعادة بكلامها . الدخان : أخرج الشيخان وغيرهما عن ابن مسعود رضى الله عنه حول قوله تعالى : ﴿ فَأَرْقَبُ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾ [ الدخان / ١٠ ] حيناً بلغه من يقول : دُخانٌ يأتى يوم القيامة يأخذُ بأسماع وأبصار المنافقين . ويُصيبُ المؤمنين منه شبه الزكام .

ففرع وقال إن الله عز وجل قال لنيكم ﷺ : ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ [ إن من العلم أن يقول الرجل لما لا يعلم : الله أعلم . سأحدثكم عن ذلك ، إن قريشاً لما أبطأت عن الإسلام واستعصت على رسول الله ﷺ دعا عليهم بسنين كسنى يوسف عليه السلام فأصابهم من الجهد والجوع حتى أكلوا العظام والميتة وجعلوا يرفعون أبصارهم إلى السماء فلا يرون إلا الدخان من الجهد . فذلك فارتقب إلى قوله : ﴿ يَعْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ فأتى رسول الله ف قيل له : يا رسول الله استسق لمضر فإنها قد هلكت فاستسقى لهم فسقوا فنزلت : ﴿ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴾ قال ابن مسعود : فلما أصابهم الرفاهية عادوا إلى حالهم

فَأَنْزَلَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ ﴿ يَوْمَ نَبِّطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴾ قَالَ يَعْنِي يَوْمَ بَدْرٍ ، وَظَاهِرُ الْقُرْآنِ أَنَّ الدِّخَانَ مِنَ الْآيَاتِ الْمُنْتَظَرَةِ ﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ﴾ أَيْ بَيْنَ وَاضِحٍ يَرَاهُ كُلُّ أَحَدٍ ، أَمَا عَلَى مَا فَسَّرَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ فَإِنَّمَا هُوَ خِيَالٌ رَأَوْهُ فِي أَعْيُنِهِمْ مِنْ شِدَّةِ الْجُوعِ وَالْجَهْدِ ، لَعَلَّهُ إِشْفَاقٌ مِنْهُ ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا - أَيْ السَّاعَةِ - وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ ﴾ كَذَلِكَ ظَاهِرُ الْقُرْآنِ ﴿ يَغْشَى النَّاسَ ﴾ أَيْ يَتَغَشَاهُمْ وَلَوْ كَانَ خِيَالاً يَخْصُ أَهْلَ مَكَّةَ الْمُشْرِكِينَ لَمَا قِيلَ فِيهِ يَغْشَى النَّاسَ ، فَكَلِمَةُ النَّاسِ تَشْمَلُ أَهْلَ مَكَّةَ وَغَيْرِهِمْ . كَذَلِكَ رَوَى ابْنُ جَرِيرٍ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : الْبَطْشَةُ الْكُبْرَى يَوْمَ بَدْرٍ وَأَنَا أَقُولُ هِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَأَيُّهَا كَانَ

الرأى فالأمر جدٌ خطير ، اللهم اخم لنا بالإيمان . الدجال: أخرج الشيخان « أن الدجال - أعادنا الله منه - يخرج وإن معه ماءً وناراً فالذي يراه الناس ماءً فنارٌ تحرق . وأما الذي يراه الناس ناراً فماءٌ باردٌ عذب . فمن أدركه منكم فليقع في الذي يراه ناراً فإنه ماءٌ عذبٌ طيبٌ » ومسلم : « أنه خارج من ثُحْلَةٍ بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ . يَخْرُجُ الدِّجَالُ فَيَمُكِّثُ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً أَوْ أَرْبَعِينَ شَهْرًا أَوْ أَرْبَعِينَ عَامًا فَيَبْعَثُ اللَّهُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ابْنَ مَرْيَمَ فَيَطْلُبُهُ فَيَهْلِكُهُ ثُمَّ يَمُكِّثُ النَّاسَ سَبْعَ سِنِينَ لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ رِيحًا بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّامِ فَلَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ ذَرَّةٌ مِنْ خَيْرٍ إِلَّا قَبِضَتْهُ وَيَقْبِضُ شَرَارَ النَّاسِ فَيَمَثَلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ - مِنْ النَّصَبِ وَالْمَقَاصِيرِ الَّتِي

تَنْصُبُ وَتَعْظُمُ بِاسْمِ أَوْلِيَاءِ وَصَالِحِينَ إِنْكَارًا مِنْهُمْ وَزُورًا - ثُمَّ يَنْفِخُ فِي الصُّورِ » وَرَوَايَةٌ أُخْرَى لِمُسْلِمٍ : « إِذْ بَعَثَ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ أَبْطَاهِمُ فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ وَيَقْبِضُ شَرَارَ النَّاسِ فَيَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارِجَ الْحَمْرِ فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ » وَرَوَايَةٌ : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ وَعَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مِنْ يَقُولُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » وَرَوَايَةٌ : « شَرَارُ الْخَلْقِ مَنْ تَدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا عَلَى الْقُبُورِ مَسَاجِدَ » . وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ « لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطُوهُ الدِّجَالُ إِلَّا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ . وَلَيْسَ نَقْبٌ مِنْ أَنْقَابِهِمَا إِلَّا عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ صَافِينَ تَحْرُسُهُمَا . وَيُخْرِجُ اللَّهُ مِنْهَا كُلَّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ ، وَمَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ أَمْرٌ أَكْبَرُ مِنْ الدِّجَالِ » وَتَمْتَقُّ عَلَيْهِ : « إِنَّهُ أَعْوَرَ كَذَابٌ وَإِنْ رَبَّكُمْ عَزَّ

وجل ليس بأعور ، مكتوب  
بين عينيه - ك ف ر -  
أعور العين اليمنى كأن عينه  
عنبه طافية « وفي الحديث :  
« وأعوذ بك من شر فنة  
المسيح الدجال » .

عيسى ابن مريم عليه  
السلام: أخرج الشيخان أن  
نبينا ﷺ قال: « لقيت عيسى  
ووصفه : ربعة أحر جعد  
عريض الصدر كأنما خرج  
من ديماس - هام - » ،

وعندهما : « والذي نفسى  
بيده ليوشكن أن ينزل  
فيكم ابن مريم حكماً  
عدلاً . يقتل الدجال .

ويكسر الصليب . ويقتل  
الخنزير . ويضع الجزية -

أى لا يقبلها من أهل  
الكتاب بل لا يقبل إلا  
الإسلام أو السيف -

ويفيض المال حتى لا يقبله  
أحد . وحتى تكون  
السجدة خيراً له من الدنيا  
وما فيها . ثم قرأ

أبو هريرة ﷺ « وإن من أهل  
الكتاب إلا ليؤمنن به قبل  
موتيه ويوم القيامة يكون

عليهن شهيداً » ومن رواية  
أحمد « وينزل الروحاء  
فيحج منها ويعتمر »  
والبخارى « كيف بكم إذا  
نزل فيكم المسيح ابن مريم  
وإمامكم منكم » ورواية  
أحمد « ويهلك الله في زمانه  
الملل كلها إلا الإسلام . ثم  
يتوقى ويصلى عليه  
المسلمون » وصدق الله  
العظيم : ﴿ وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ  
لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرْنَ بِهَا ﴾  
[ الزخرف / ٦١ ] .

واقرب الوعد الحق :  
أخرج الشيخان « لا تقوم  
الساعة حتى يقاتل المسلمون  
اليهود حتى يختبئ اليهودي من  
وراء الحجر أو الشجر .

فيقول الحجر والشجر :  
يا مسلم هذا يهودي خلفي  
تعال فاقتله إلا الغرقد -

شجر اليهود - » ورواية  
« قال فيهلكهم الله ثم يرجع  
الناس إلى بلادهم فعند  
ذلك يخرج يأجوج

ومأجوج وهم من كل  
حذب ينسلون فيطئون  
بلادهم فلا يأتون على شيء

إلا أهلكوه . ولا يمرون  
على ماء إلا شربوه فأدعو  
ربى - أى عيسى عليه  
السلام - عليهم فيهلكهم  
ويؤميتهم . ففيما عهد إلى  
ربى أن ذلك إذا كان  
كذلك أن الساعة كالحامل  
المتم لا يدرى أهلها متى  
تفجؤهم بولدها ليلاً أو  
نهاراً » من رواية أحمد وابن  
ماجه

يأجوج ومأجوج :

أخرج الشيخان أن أم المؤمنين  
السيدة زينب رضى الله عنها  
قالت : استيقظ رسول الله  
ﷺ من نومه وهو محمّر  
وجهه وهو يقول : « لا

إله إلا الله . ونيل للعرب  
من شر قد اقترب . فتح  
اليوم من ردم يأجوج

ومأجوج مثل هذا وحلق  
بيده » . قلت يا رسول الله  
أنهلك وفينا الصالحون ؟

قال : « نعم ، إذا كثرت  
الخبث » وذكر الإمام ابن  
كثير رحمه الله : أنهم من  
سلالة آدم عليه السلام .

ومن نسل نوح عليه

السلام ، تركوا من وراء  
السّد الذي بناه ذو  
القرنين ، وقوله تعالى :  
﴿ حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ  
وَمَاْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ  
حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ، وَاقْتَرَبَ  
الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ  
شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ  
كَفَرُوا - أَى قِيَامِ السَّاعَةِ -  
يقولون هذا يوم عسير -  
يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ  
هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾  
الحذب : المرتفع من

الأرض، ينسلون: يُسرعون  
في المشى إلى الفساد، وعن  
ابن عباس رضى الله عنه ،  
وروى أحمد أنه صَلَّى اللهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « ليحجنّ هذا  
البيت وليعتمرنّ بعد خروج  
يأجوج وماجوج » نعم إنها  
الآيات، وفي المتفق عليه « لا  
تقوم الساعة حتى يحسر  
الفرات عن جبل من ذهب  
يقتل عليه، فيقتل من كل  
مائة تسعة وتسعون . فيقول  
كل واحد: لعل أن أكون

أنا أنجو»، وعند البخارى: أنه  
صَلَّى اللهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « بعثت أنا  
والساعة كهاتين وأشار  
بأصبعيه الوُسطى والشى  
تليها » لأنه خاتم النبيين  
والمرسلين . ختم الله به  
الرسالات والهدايات .  
وأتمه آخر الأمم فيوشك أن  
يأتى أمر الله ﴿ وَمَنْ يَعْتَصِمْ  
بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ  
مُسْتَقِيمٍ ﴾ وصلى الله على  
نبينا محمد وآله أجمعين .  
والله سبحانه أعلم .

أَنْ ظَلَمَ الْعَبْدَ نَفْسَهُ يَكُونُ بَتَرَكَ مَا يَنْفَعُهَا وَهِيَ مُحْتَاجَةٌ إِلَيْهِ ذَلِكَ فَعَلَّ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ  
ويفعل ما يضرها ، وذلك المعاصى كلها .  
كما أن ظلم الغير كذلك إما بمنع حقه أو التعدى عليه ، فإن الله أمر العباد بما ينفعهم  
ونهاهم عما يضرهم .  
وجاء القرآن بالأمر بالإصلاح والنهى عن الفساد ، والصلاح كله طاعة والفساد كله  
معصية .  
وقد لا يعلم كثير من الناس ذلك على حقيقته فعلى المؤمن أن يأمر بكل مصلحة وينهى  
عن كل مفسدة .  
وكل ما أمر الله به راجع إلى العدل وكل ما نهى عنه راجع إلى الظلم .  
والظلم الذى حرمه الله على نفسه أن يترك حسنات المُحْسِنِ فلا يَجْزِيهِ بها ، أو يُعَاقِبِ  
البرىء على ما لم يفعل من السيئات .  
أو يعاقب هذا بذنب غيره ، أو يحكم بين الناس بغير العدل ونحو ذلك مما ينزه الله جل  
وعلا عنه وذلك لكمال عدله وحمده .  
من أسباب قوة الإيمان ونوره سماع القرآن وتدبره ومعرفة أحوال النبي صَلَّى اللهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومعجزاته .



# لُدُنْ

وَأُودِهَا  
وَمَعْنَاهَا  
الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ

فضيلة الشيخ

أحمد طه نصر

وكلمة لُدُنَا في الآية  
مرادفة لكلمة عندنا :  
معناها واحد : أسلوب  
عربي بليغ وحكيم . مثل  
قوله عز وجل : ﴿ وَقَالَ  
الَّذِينَ فِي النَّارِ لِحَزَّتِهِ  
جَهَنَّمَ ﴾ [ غافر : ٤٩ ]  
وقوله : ﴿ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ  
فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾  
[ غافر : ٧٢ ] .

والكلمة لدنا ذكرت في

السورة نفسها - الكهف -  
أربع مرات . إحداهما -  
وعجباً هداية القرآن  
العظيم - جاءت على لسان

الحمد لله وحده . والصلاة والسلام على من لا نبي  
بعده . ﴿ مَعْدِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ تزعم  
الصوفية - المحدثه في الإسلام لنشأتها بعد القرون  
الثلاثة الأولى . خير القرون بخبر النبي ﷺ في الحديث  
المتفق عليه - تزعم افتراءً على الله عز وجل وإضلالاً  
لمريديهم الغافلين أن هم علماء لديناً يتلقونه مباشرة  
بالإلهام . ويسمونه علم الحقيقة . وإمعاناً في الضلالة  
يموهون على العامة بقولهم والقرآن الكريم علم  
الشريعة . ويستدلون بآية من سورة الكهف وردت في  
شأن العبد الصالح أو النبي الخضر عليه السلام . رجع  
هذا الحافظ ابن كثير مستنداً إلى قوله تعالى في القصة  
نفسها : ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ﴾ مع رسول الله موسى  
عليه السلام . والآية هي قوله تعالى : ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا  
مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا  
عِلْمًا ﴾ .

نبي الله موسى عليه السلام  
اعتذاراً للخضر في شأنهما  
حيث يقول له ﴿ إِنَّ  
سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا  
تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ  
لَدُنِّي عُذْرًا ﴾ .

وقد وردت هذه اللفظة  
العربية الواضحة البينة في  
الكتاب الكريم تسع عشرة  
مرة سأذكرها لك بمشيئة  
الله تعالى ، ولا يفوتك  
كمؤمن يتدبر كتاب ربه  
عز وجل ويهتدى به إلى  
الحق وإلى الصراط المستقيم .  
ويوقن أن القرآن وحده مع  
حديث النبي ﷺ الثابت  
الصحيح هما الحقيقة . وهما  
الشرعية . وهما الدين .  
وهما الوحي . وهما هداية  
رب العالمين .

وبحمد الله يعتر كل  
مؤمن بأية محكمة نزلت  
على نبينا محمد ﷺ في  
حجة الوداع يوم عرفة  
العظيم هي ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ  
لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ

نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ  
الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣] ،  
والعنى كَمَلُ الدين كَمَالاً  
واكتمالاً فلا نحتاج إلى دين  
غيره . ولا إلى نبي غير نبينا  
الأمين محمد ﷺ . وأتم  
الله بهذا الدين القيم نعمته  
على المؤمنين المخلصين  
ورضى عز وجل  
الإسلام - وهو دين الله  
الذي أنزله على نبيه الخاتم  
ﷺ - ارتضاه لعباده  
واصطفاه لهم .

وأخبر في الآية أنه عز  
وجل لا يقبل من العباد  
عملاً ولا عبادة إلا وفق ما  
ارتضاه عز وجل وشرعه ،  
وقد كان ﷺ وهو صفوة  
الله من خلقه يتلقى الوحي  
من ربه تبارك وتعالى بنزول  
ملك الوحي جبريل عليه  
السلام ، يقول تعالى :  
﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ  
الْعَالَمِينَ . نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ  
الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ  
الْمُنذِرِينَ ﴾ [الشعراء : ١٩٣]

وقوله : ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ  
الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ  
لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى  
وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾  
[ النحل : ١٠٢ ] وأوليه  
عز من قائل كريم ﴿ وَمَا  
كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا  
وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ  
يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآذنيه  
مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ ﴾  
[ الشورى : ٥١ ] .

ورسولنا العظيم محمد  
صاحب المنزلة العالية  
باصطفاء الله له . فهل  
تروج فتنة القوم من  
الصوفية وافترائهم على الله  
بأنهم يتلقون - وهو محال  
أصلاً - بغير ملك ، وأتى  
لهم ؟ إنه الباطل يخدعون به  
السذج من مريديهم وبعض  
شيوخ البدعة .

ونذكرهم رجاء هداية  
ربنا لنا وهم ﴿ أَوْ لَمْ  
يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ  
الكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي  
ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ

يُؤْمِنُونَ ﴿ العنكبوت : ٥١ .  
 فله الحمد رب  
 السموات وربّ الأرض  
 رب العالمين .

### مادة الكلمة

مادة الكلمة : لغة في  
 القاموس : لَدُنْ . ظرف  
 بمعنى عند . واستدل  
 المعجم بأيتين : قوله تعالى :  
 ﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ  
 فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ  
 خَبِيرٍ ﴾ [ هود : ١ ] .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ  
 لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ  
 حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾  
 [ النمل : ٦ ] .

وكلمة لَدُنَّا مكونة  
 من : لَدُنْ ونا فأدغمت  
 النونان : لَدُنَّا . وقد  
 وردت ستّ مرات في  
 القرآن الكريم .

وكلمة لَدُنْكَ مكونة  
 من : لدن والكاف ضمير  
 مضاف . لدنك . وقد

وردت سبع مرات في  
 الكتاب الكريم .  
 وكلمة لَدُنْهُ مكونة  
 من : لدن والهاء ضمير  
 مضاف . وردت مرتان في  
 التنزيل العظيم .

وكلمة لَدُنِّي مكونة  
 من : لدن ونون الوقاية لغة  
 وياء المتكلم . وردت مرة  
 واحدة على لسان موسى  
 عليه السلام .

### الآيات التي اشتملت عليها

رقم الآية	اسم السورة	الكلمة	الآية
١	هود	لَدُنْ	﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾
٦	النمل	لَدُنْ	﴿ وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾
٦٧	النساء	لَدُنَّا	﴿ وَإِذَا لَا آتِيَانَهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴾
٦٥	الكهف	لَدُنَّا	﴿ آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴾
١٣	مريم	لَدُنَّا	في شأن يحيى عليه السلام : ﴿ وَخَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَوَّةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴾
٩٩	طه	لَدُنَّا	عن القرآن : ﴿ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ﴾
١٧	الأنبياء	لَدُنَّا	عن خلق السموات والأرض بالحق : ﴿ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا لَاتَّخَذْنَا مِنْ لَدُنَّا سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى

٥٧	القصص	لُدْنَا	عن رزقه وفضله والبلد الحرام : ﴿ أَوْلَمْ تُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجِبِّي إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لُدُنَّا ﴾
٨	آل عمران	لُدُنْكَ	طلب الرحمة: ﴿ وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾
٣٨	آل عمران	لُدُنْكَ	طلب الذرية : ﴿ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾
٥	مريم	لُدُنْكَ	طلب من يرث الدين ويحفظه : ﴿ فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثْ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ﴾
٧٥	النساء	لُدُنْكَ	طلب النصر : ﴿ وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴾
٨٠	الإسراء	لُدُنْكَ	طلب العون : ﴿ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴾
١٠	الكهف	لُدُنْكَ	طلب الرشد : ﴿ رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾
٤٠	النساء	لُدْنُهُ	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾
٢	الكهف	لُدْنُهُ	بلاغ القرآن : ﴿ قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴾
٧٦	الكهف	لُدْنِي	مقالة موسى عليه السلام مع الخضر ، والقرآن بلسان عري مبین : ﴿ قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴾
٤	الزخرف	لُدِينَا	منزلة القرآن العظيم عند مُنزَلِهِ عز وجل : ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمَّ الْكِتَابِ لَدِينَا لَعَلِّي حَكِيمٌ ﴾

﴿ رَبَّنَا آمِنًا بِمَا أَنْزَلْتَ وَأَتَّبِعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾

والله ولي التوفيق

# ولا الضالين ومن الضلال؟

بقلم  
الشيخ أحمد طه نصر

بسم الله . والصلاة والسلام على رسول الله . يقول الإمام القرطبي - رحمه الله - في تفسيره : الضلال في كلام العرب هو الذهاب عن ستن القصد وطريق الحق . ومنه ضل اللبن في الماء : أي غاب ، ومنه قول المكذبين منهم بالبعث : ﴿ وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ ﴾ [السجدة : ١٠] أي : غينا بالموت وصرنا ترابا اهـ .

ومن لم يعرف الحق فهو تائه لا يهتدي إلى الجادة الموصلة إليه . وعلى هذا فإن الضال حقيقة : هو التائه الواقع في عماية لا يهتدي معها . ( وللقطة الضلالة عدة معانٍ . منها ما يقوله الإمام محمد عبده -

رحمه الله - في تفسيره عن الضالين يقول : هم من حُرْمُوا رُشْدَ الدِّينِ . فإن لم يضلُّوا في شئونهم الدنيوية . ضلُّوا لا محالة فيما تُطلب به نجاة الأرواح وسعادتها في الحياة الأخرى ) اهـ .

✽ الضلال : ضد الحق لقوله تعالى : ﴿ فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنْتَ تُصِرُّونَ ﴾ [يونس : ٣٢] .

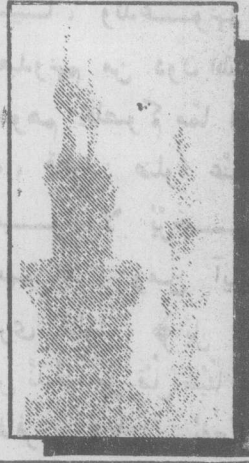
✽ الضلال : ضد الهدى ، لقوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ [البقرة : ١٦] .

✽ الضلال : عمى عن الحق ، لقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ ﴾ [الثلج : ٨١] وقوله : ﴿ أَقْمَنَ يَعْلَمُ أَنَّهَا ﴾

أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ  
كَمْ مِنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ  
أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿ [الرعد :  
١٩] .

❖ لا يضل : لا  
يُخْطِئُ . لقوله تعالى :  
﴿ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا  
يَنْسَى ﴾ [ طه : ٥٢ ]  
محال عليه - عز وجل -  
الخطأ ، بل هو المتصف  
بكل كمال وجلال  
وحكمة . ﴿ وَهُوَ الْمَثُلُ  
الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ  
الْحَكِيمُ ﴾ [ الروم :  
٢٧ ] تقدس سبحانه  
وتنزهه ، وسع كل شيء  
رحمة وعلماً .

❖ ضلال : عدم  
هداية ، لقوله تعالى عن  
الحال قبل الإسلام :  
﴿ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَفِي  
ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [ الجمعة :  
٢ ] . فالحمد لله على نعمة  
الإسلام .  
❖ ضالاً : حائراً تنشُد  
الحقَّ فمنَّ اللهُ عليك



بالاصطفاء ، والنبوة  
ﷺ ، وذلك قوله :  
﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴾  
[ الضحى : ٧ ] يوضحه  
قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ  
أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا  
مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ  
وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ  
نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ  
عِبَادِنَا ﴾ [ الشورى :  
٥٢ ] الآية .

❖ تضليل : تضييع ؛  
لقوله تعالى عن أصحاب  
الفيل : ﴿ أَلَمْ يَجْعَلْ  
كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴾  
[ الفيل : ٢ ] ، ضاع  
كيدهم وأهلكهم اللهُ عزَّ  
وجل .

❖ ضلَّ سعيه : ضاع هباءً ؛  
لقوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ  
نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا  
الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي  
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ  
أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾  
[ الكهف : ١٠٣ ] ،  
[ ١٠٤ ] ، والآية عامة في  
كل من عمل عملاً على غير  
بينة من كتاب ربه - عز  
وجل - وهدى النبي الأمين  
ﷺ ، كالاتباع في  
الدين ، ووثية الأضرحة ،  
وتقديس الموتى ، وطقوس  
الصوفية الدخيلة على  
الإسلام ، وأرباب الأهواء  
والشهوات .

❖ ضلَّ الطريق : أي لم  
يهتد إلى الحق ، لقوله  
تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ  
بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءً  
السَّبِيلِ ﴾ [ البقرة :  
١٠٨ ] ، فلا هداية إلا  
بالدين الحق من وحي  
السماء . ومنه قوله :

﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ١٠٨] ، أعاذنا الله منه .

﴿ ضل الشيء عنه :

غاب عنه ؛ لقوله تعالى : ﴿ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا ﴾ والآية ٣٧ من سورة الأعراف تُذَرُّ وتُحَذَّرُ من مآل الذين أشركوا بالله العظيم في عبادته ، كدعاء المولى من دونه - عز وجل - يقول سبحانه :

﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ رَسُولُنَا يُتَوَفَّوهُمْ قَالُوا آيِنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ؟ قَالُوا : ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾ [الأعراف: ٣٧]

يقول الحافظ ابن كثير

عند تفسيره لهذه الآية :

يُخْبِر - عز وجل - أن

الملائكة إذا توفت المشركين

تُفْرِغُهُمْ عند الموت وقبض

أرواحهم إلى النار . يقولون

لهم : آين الذين كنتم

تشركون بهم في الحياة

الدنيا ، وتدعونهم ، وتعبدونهم من دون الله ؟ ادعوهم يخلصكم مما أنتم فيه ، قالوا : ضلوا عنا ، ذهبوا لا يرجى نفعهم اهـ . ومن آية أخرى قالوا : ﴿ بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا ﴾ [غافر: ٧٤] . يُفَصَّلُ اللَّهُ الآيات للناس لو أنهم كانوا يهتدون !! .

﴿ وضل عنهم ما كانوا

يفترون : ومآلهم في الآخرة

أيضًا . يقول عز وجل :

﴿ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ

شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ . فَاَلْقُوا إِلَيْهِمُ

الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ .

وَالْقُوا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّامِ

وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا

يَفْتَرُونَ ﴾ [النحل :

٨٦ - ٨٧] ﴿ وَضَلَّ

عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ

قَبْلِ . وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ

مَجِيسٍ ﴾ [فصلت :

٤٨] .

﴿ ضلنا : أي : غبنا

بالدفع في الأرض . من

مقالة المكذبين بالبعث .

لقوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا أَئِذَا

ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَتِنَّا لَفِي

خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [السجدة :

١٠] نسوا قدرة الله

وحكمته أن يعيدهم كما

بدأهم - عز وجل - أول

مرة من عدم . ﴿ إِنَّهُ يَدْعُوا

الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ

الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ .

وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ

مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا

كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾ [يونس :

٤] وصدق الله العظيم

حيث يقول : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ

أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ

إِنبَاءٌ لَا تَرْجِعُونَ .

فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا

إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ

الْكَرِيمِ ﴾ [المؤمنون :

١١٤ ، ١١٦] .

﴿ أن تضل : بمعنى

تسى لقوله تعالى في شأن

الشهادة : ﴿ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا

رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَأَمْرَاتَانِ مِمَّنْ  
تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ  
تُضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ  
إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ﴿

[ البقرة : ٢٨٢ ] .

﴿ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ :  
أي : أضعافها وأحطها .  
فلم يُثبِّم عليها لكفرهم .  
لقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ  
كَفَرُوا وَضَلُّوا عَنْ  
سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾  
[ محمد : ١ ] ﴿ ذَلِكَ  
بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ  
فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾

[ محمد : ٩ ] ﴿ فَمَنْ  
يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ  
مَنْ نَاصِرِينَ ﴾ [ الروم :  
٢٩ ] ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا  
لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ  
أَهْوَاءَهُمْ . وَمَنْ أَضَلَّ مِمَّنْ  
اتَّبَعَ هَوَاهُ بَعِيرٌ هُدًى  
مِّنَ اللَّهِ . إِنْ اللَّهُ لَا يَهْدِي  
الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾  
[ القصص : ٥٠ ] .

﴿ الْمُضِلُّ : هو  
الصارف عن الهداية . وهو  
الشیطان الرجيم - أعاذنا

الله منه - يحدونا الله العظيم  
منه كثيرا . وجاء هذا  
اللفظ في قوله تعالى على  
لسان نبي الله موسى عليه  
السلام : ﴿ قَالَ هَذَا مِنْ  
عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ  
مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴾ [ القصص :  
١٥ ] وقوله عز وجل  
مُحَذَّرًا : ﴿ إِنْ الشَّيْطَانُ لَكُمْ  
عَدُوٌّ . فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا .  
إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ  
أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾  
[ فاطر : ٦ ] .

﴿ ولأضلنهم : على  
لسان الشيطان الرجيم :  
أي : أحدث بهم الضلال  
بالوسوسة والإغواء  
والتزيين فلا يمتدون ، يقول  
تعالى : ﴿ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ  
أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾  
[ النساء : ٦٠ ] وأن الله  
العظيم لعنه : ﴿ لَعْنَةُ اللَّهِ  
وَقَالَ - أي الشيطان -  
لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا  
مَّفْرُوضًا وَلَا ضِلَّةً لَهُمْ  
وَلَأُمْنِيَةً لَهُمْ وَلَا مَرْتَبَةً لَهُمْ  
فَلْيَتَكَنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ .

وَلَا مَرْتَبَةً لَهُمْ فَلْيَغْيِرُنَّ  
تَخْلُقَ اللَّهُ . وَمَنْ يَتَّخِذِ  
الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّنْ دُونِ اللَّهِ .  
فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿

[ النساء : ١١٨ -  
١١٩ ] .  
﴿ لو يضلونكم : في  
شأن طائفة من أهل  
الكتاب : يقول تعالى :  
﴿ وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ  
الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا  
يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا  
يَشْعُرُونَ ﴾ [ آل عمران :  
٦٩ ] وأكثر من ذلك

يقول سبحانه : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ  
مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ  
يُرُدُّوكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ  
كُفْرًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ  
أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ  
الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا  
حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ  
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾  
[ البقرة : ١٠٩ ] .

اللهم اهدنا لما اختلف  
فيه من الحق بإذنك . إنك  
تهدي من تشاء إلى صراط  
مستقيم .



بقلم  
فضيلة الشيخ / أحمد طه نصر

# الرد على مقال الصوفية ليسوا كفارا

بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ  
وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿  
[ سورة يونس : ١٨ ] .

﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ  
دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ . إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا  
يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ  
وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ  
خَبِيرٍ ﴾ [ فاطر : ١٣ ، ١٤ ] . وغيرها كثير .

والسؤال الآن أكل ما تركبه الصوفية بدعة  
وضلال فحسب ؟ وهل من يرتكب مثل عمل  
المشركين يكون مسلماً ؟ .

الحق أن الصوفية دخيلة على الإسلام .  
لنشأتها بعد القرون الثلاثة الأولى . وجريمتها  
أنها أعادت الوثنية والجاهلية اليوم باسم  
الإسلام . طهر الله البلاد والعباد منها .

فضيلة الشيخ / صفوت الشوافي . السلام عليكم  
ورحمة الله . وكل عام وأنتم بخير  
حول مقالكم ( الصوفية ليسوا كفارا )

ربما يكون من وراء هذا المقال أمر ما . فالله  
حسينا وهو نعم الوكيل نعم ليس لنا أن نكفر  
أحداً بعينه . ولكن نذكره بأن عمله كذا شرك  
أو كفر . حسب ورود النص من الكتاب  
والسنة . كحديثه ﷺ فيما رواه مسلم « بين  
الرجل وبين الكفر والشرك ترك الصلاة » فتركها  
كفر . ولا نقول كافر فلعله يتوب . وفي  
الصحيح قوله ﷺ أيضاً « سباب المسلم فسوق  
وقتاله كفر » ولنا أيضاً أن نذكر ما دمغه القرآن  
العظيم وأوضح أنه عمل المشركين بصريح اللفظ  
في قوله تعالى : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا  
يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعْنَا عِنْدَ  
اللَّهِ ﴾ - مقالة القوم اليوم - ﴿ قُلْ أَنتَبُونَ اللَّهُ

من بلائهم . لنا الله أيها الأخ الفاضل هو مولانا  
وهو نعم المولى ونعم النصير .

الضراعة إلى الله الكريم ذي الجلال  
والإكرام ، وبرحمته التي وسعت كل شيء أن  
يعصمنا من كيدهم ، وأن يرد كيدهم في  
نحورهم . اللهم لا تجعل مصيبتنا في ديننا ،  
وانصرنا على أعدائنا وأعداء دينك ورسلك  
يا أرحم الراحمين . اللهم أنت ولينا فاغفر لنا  
وارحمنا وأنت خير الغافرين .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا الأمين محمد  
وعلى آله أجمعين . والسلام عليكم ورحمة الله .

أخوكم  
أحمد طه نصر

القاهرة يوم السبت الثالث من شوال ١٤١٥ هـ  
الموافق ٤ مارس ١٩٩٥ م

أليسوا هم الذين إذا قيل لهم « لا إله إلا الله  
يستكبرون » إن الكتاب قد عناهم بقوله : ﴿ وما  
يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ . مع  
وجوب البراءة من الشرك .

أخي الفاضل . ما جاء بصدر مقالكم إن  
عقيدنا التي نؤمن بها . جميل وقد كان يغني عن  
تصريحكم بآخر المقال . معذرة . وكذلك  
ما جاء بالمقال من كلام الدكتور الذهبي رحمه  
الله . جميل .

وأيضاً ما أوردتموه من كلام ابن الجوزي  
مفيد وكاف . عن عبارة - إنهم مسلمون - !! .

أما دفاع الشيخ عبد الحلیم عن ابن عربي  
فهو غصة . والشيخ ركيعة صوفية .

ولا يخفى على فضيلتكم غلوهم في الحقيقة  
المحمدية . وعقائدهم قديماً وحديثاً حول  
الحلول والاتحاد . والمنة لله الذي هدانا لهذا

### دعاء النبي ﷺ عشية عرفة

ابن ماجه : أن النبي ﷺ دعا لأُمَّته عشية عرفة فأجبت : إني قد غفرت لهم ما خلا الظالم  
فإني آخذ للمظلوم منه . قال ﷺ : « أي رب . إن شئت أعطيت المظلوم من الجنة وغفرت للظالم  
فلم يُجِبْ عشية . فلما أصبح بالمزدلفة أعاد الدعاء فأجيب إلى ما سأل . قال : فضحك ﷺ .  
أو قال تبسم ؛ فقال له أبو بكر وعمر رضي الله عنهما : بأي أنت وأمي إن هذه لساعة ما كنت  
تضحك فيها فما الذي أضحكك ؟ أضحك الله سنك - أي . أدام عليك السرور - قال : إن عدو الله  
إبليس لما علم أن الله عز وجل قد استجاب دعائي وغفر لأمتي أخذ التراب فجعل يحثوه على رأسه .  
ويدعو بالويل والثبور . فأضحكني ما رأيت من جزعه .

# فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

الشيخ: أحمد طه نصر

إِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هِيَ الدِّينُ الْقِيمُ الَّذِي ارْتَضَاهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لِعِبَادِهِ، إِنَّهَا شَهَادَةُ الْحَقِّ وَالصِّدْقِ وَالْيَقِينِ بِاللَّوْهِيَةِ لِلَّهِ - عِزٍّ وَجَلٍّ - وَحَدِهِ، شَهَادَةُ تَحَقُّقِ هِدَايَةِ الْحَيَاةِ وَفُوزِ الْآخِرَةِ، وَهِيَ حَسَنَةٌ تُثَقِّلُ الْمِيزَانَ فَيَنْجُو الْعَبْدُ، إِنَّهَا قَاعِدَةُ الدِّينِ الرَّاسِخَةِ، عَلَى نُورِهَا يُشَيِّدُ الْبِنَاءَ مِنَ الشَّرَائِعِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ فَيُرْفَعُ إِلَى اللَّهِ قَبُولًا وَتَحْقِيقًا لِحُكْمَتِهِ - عِزٍّ وَجَلٍّ - الْعَالِيَا مِنَ الْخَلْقِ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وَقَوْلِهِ: ﴿إِن الْحُكْمُ لِلَّهِ إِلَّا لَمَّا أَمَرَ إِلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠].

وَفِي ضَوْءِ آيَاتِنَا الْكَرِيمَةِ: ﴿فَاعْلَمْ﴾ [محمد: ١٩]، جَاءَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، وَحُكْمَتِهِ: ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالسُّورَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: ٢٥٦]، نَعَمْ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ، فـ ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤]، وَلِيَكُن لِلْإِنْسَانِ - وَالْمُسْلِمِ بِخَاصَّةٍ - بَعْدَ هِدَايَةِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ الْإِخْتِيَارَ وَهُوَ مَبْدَأٌ يَوْقُظُ ضَمِيرَ الْمُؤْمِنِ وَيُسَوِّقُهُ إِلَى تَصْحِيحِ مَسَارِهِ وَإِخْتِيَارِ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ، وَتَحْمَلِ تَبِعَةَ عَمَلِهِ مُلَيَّبًا أَمْرَ الْمَلِكِ الْعَظِيمِ: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وَمَا تَوَكَّدَهُ عَقِيدَةَ التَّوْحِيدِ أَنَّهُ: لَا أَحَدَ فِي الْوُجُودِ يَتَجَاوَزُ مَرْتَبَةَ الْعِبَادِيَّةِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَكُلُّ مَا سِوَى اللَّهِ عَبْدٌ لَهُ، وَاللَّهُ وَحْدَهُ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ، الْمْتَفَرِّدُ بِالْمَلِكِ وَالسُّلْطَانِ، لَوْ قَالَ النَّاسُ غَيْرَ ذَلِكَ فَهَمَّ كَذِبَةٌ مَبْطُولُونَ.

إِنَّ نَبِيَّ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّادِقَ الْأَمِينُ يَعلنُهُ فِي سَمْعِ الدُّنْيَا صَبَاحَ مَسَاءً، يَقُولُ: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ أَشْهَدُكَ وَأَشْهَدُ حَمَلَةَ عَرْشِكَ وَمَلَائِكَتَكَ وَجَمِيعَ خَلْقِكَ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، وَأَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ)).

**ولفظ الكفر** الوارد في الآية بأسلوب الشرط يجب أن يتجه إلى ما يستحق الكفر به وهو الطاغوت، وبأن الإيمان يجب أن يتجه إلى مَنْ هو جدير به، وهو الله - ذو الجلال والإكرام - فلا يُسلم دينك ولا يتحقق إيمانك إلا بالبراءة والمعاداة لقدر الكفر، ونجس الشرك، وهو الطاغوت المفسد لعقائد الإيمان، الكفر بالطاغوت: تطهير للقلب ليستقبل طهر الإيمان ونقاته - كغسل الإناء قبل وضع الشراب النقي فيه - من أجل السلامة.

**إنّ** الكتاب الكريم هداية وإرشاد، فلنسمع آياته: ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٩]، وقوله: ﴿قُلْ إِنِّي نَهَيْتُ أَنْ أُعْبَدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسَلِّمَ لِلرَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: ٦٦]، وقوله: ﴿وَلْيَعْلَمُوا إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلْيَذَكَّرِ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [إبراهيم: ٥٢].

**وَأَيْتَانَا** : ﴿فَاعْلَمْ﴾ تشتمل على نفي وإثبات، نفي وبراءة ومعاداة لكل ما اتخذ الناس من دون الله من الهة وأولياء، فما للعباد من إله إلا الله، وما لهم من دونه من ولي، ولا يشرك - عز وجل - في حكمه أحدًا، وإثبات حق العبودية المقدس لله وحده، عبودية خالصة ومبرأة من جاهلية وضلال النصب - والأضرحة والمقاصير - التي يصفها الكتاب الكريم في آية سورة المائدة: (إنها رجس من عمل الشيطان)، ويأمرنا باجتنابها: ﴿فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾ هذا هو هدي الدين ورسالته: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾، ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور﴾، فمن أسلم على هذا النهج المستقيم: ﴿فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها﴾، وأختها: ﴿ومن يُسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾.

**ومن** الطاغوت ووجوب الكفر به واجتنابه والحذر منه: شيطان مُضل: تقليد أعمى لشيخ البدعة والعادات، وهو متبع، ومدنية فاجرة، وصوفية دخيلة على الإسلام، إنَّ

الإسلام تحرّز وخلص من هذه المهلكات كلها، وبالله التوفيق.

يقول الحافظ ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره لآيتنا: ﴿فمن يكفر بالطاغوت﴾: أي مَنْ خلع الأنداد والأوثان وما يدغو إليه الشيطان من عبادة لكل ما يُعبد من دون الله - عز وجل - ثم وَحَدَّ اللهُ فعبده وحده، وأخلص له دينه، فقد استمسك بالعروة الوثقى ليلقى الله بقلب سليم، سليم من آفات الأهواء والشهوات والضلال، فالؤمن لا يرجو إلا الله، ولا يتعلّق إلا برحمته، ولا يلجأ إلا إليه.

**ولا** يستعين إلا به، لأنه الإله الحق: ﴿وما لي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون﴾.

**بعقيدة** التوحيد تتميّز حياة المسلم في جميع شئونه، إن مَنْ اعتقد أنّ الله العظيم خالقه ورازقه ثم ذهب يستعين بغيره ويدعوه في حاجاته، إنه بذلك يفقد إيمانه ويكون مشركاً بربه في عبادته، ونقص: ﴿إِسَّاكَ نَعْبُدُ وَإِسَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

**من هدي النبي صلى الله عليه وسلم حول كلمة التوحيد :**

**روى** مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال: ((مَنْ قَالَ: لا إله إلا الله، وكفر بما يُعبد من دون الله حَرَّمَ ماله ودمه وحسابه على الله - عز وجل)).

**وهذا** الحديث من أعظم ما يبيّن معنى: ((لا إله إلا الله))، فإنه لم يجعل اللفظ بها وترديدها على اللسان عاصماً للدم والمال، إلا بعبادة الله وحده، وحتى يضيف تنكراً وبراءته مما يُعبد من دونه: ﴿سبحانه وتعالى عما يُشركون﴾.

**الشيخان** يوم أنزل إليه قوله تعالى: ﴿وأنذر عشيرتَكِ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، قال صلى الله عليه وسلم: ((يا معشر قريش اشتروا أنفسكم لا أعني عنكم من الله شيئاً، يا عباس عم رسول الله لا أعني عنك من الله شيئاً، يا صفية عمّة رسول الله لا أعني عنك من الله شيئاً، يا فاطمة بنت رسول الله سلبني من مالي ما شئت لا أعني

يملكون: ﴿والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يُخَلَقُونَ\* أمواتٌ غير أحياء وما يشعرون آياتٍ يعنون\* إلهكم إلهٌ واحدٌ فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون﴾، وعبارة شفعاء ووسطاء حجة الضالين، نسأل الله السلامة.

**الشيخان** عن معاذ - رضي الله عنه - قال: كنت رذف رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ((يا معاذ! هل تدري حقَّ الله على عباده؟ وما حقَّ العباد على الله؟)) - جعل لهم حقاً تفضلاً منه عز وجل - قلت: الله ورسوله أعلم، قال صلى الله عليه وسلم: ((إن حقَّ الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحقَّ العباد أن لا يعذبَ مَنْ لا يُشركُ به شيئاً))، وفي رواية: ((إن هم فعلوا ذلك ألا يعذبهم))، عبادة خالصة وبراءة من الشرك.

**البخاري** (ج ٥) : عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وحول البيت ستون وثلاثمائة نُصْب، فجعل يطعنها بعُودٍ في يده ويقول: ((جاء الحق وزهق الباطل، جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيده))، فأمر بها فأخرجت، تطهيراً لبيت الله العظيم.

**الشيخان** : بُشِرَى النبي صلى الله عليه وسلم: ((إن الله حَرَمَ على النار مَنْ قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله))، ومن رواية مسلم: ((مَنْ شَهِدَ أن لا إله إلا الله مُسْتَقِئاً بها قلبه فبشره بالجنة))، وعند البخاري: ((خالصة من قلبه))، وعند الترمذي أنه صلى الله عليه وسلم سئل عن إخلاصها، فقال: ((أَنْ تُحْجِزَهُ عن محارمِ الله)).

اللهم ثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، اللهم احتم لنا بحِقْمَةِ الإيمان، اللهم آمين. وصلِّ اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد وآله والتابعين بإحسان إلى يوم الدين، والله أعلم.

**الشيخ أحمد طه نصر**

عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً))، إِذَا صَرَحَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ سَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ، وَصِفْوَةُ اللَّهِ مِنْ خَلْقِهِ أَنَّهُ لَا يُغْنِي عَنْ رَجْمِهِ وَابْتِهَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - شَيْئاً، إِذَا وَعَيْتَ الْحَدِيثَ أَخِي الْكَرِيمِ تَبَيَّنَ لَكَ مَعْنَى التَّوْحِيدِ وَأَنَّ أَمْرَ الْخَلَائِقِ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ، وَمِنْ سُورَةِ الْجَنِّ جَاءَ قَوْلُهُ تَعَالَى بِأَسْلُوبِ التَّلَقُّينِ: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرْماً وَلَا رَشْداً﴾ [الجن: ٢١]، فَمِنْ ذُوْنِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَابِ أَوْلَى.

**الشيخان** عن أبي ذر - رضي الله عنه - أنه صلى الله عليه وسلم قال: ((أتاني آتٍ من ربي فبشرني أنه من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة)).

**الشيخان** عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: لما نزلت آية الأنعام: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]، شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ آتِنَا لَا يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((ليس ذلك، إنما هو الشرك، ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، كَذَاءِ غَيْرِ اللَّهِ، وَقَدْ نَصَّتْ آيَةُ سُورَةِ فَاطِرٍ عَلَى أَنَّهُ إِشْرَاكٌ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ [إن تدعوهم لا يسمعون دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلَ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣، ١٤]، فَالِدُعَاءِ مِنْ حَقِّ اللَّهِ السَّمِيعِ الْمُجِيبِ وَحْدَهُ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، وَكَاتِّخَاذِ أَوْلِيَاءِهِمُ الْمَوْتَى شَفَعَاءَ عِنْدَ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَجَاءَتْ آيَةُ سُورَةِ يُونُسَ تَقُولُ: أَنْ هَذَا مِنْ عِقَابِ الْمُشْرِكِينَ، وَمَعْنَاهُ لَا يَلِيقُ بِجَلَالِ اللَّهِ؛ لِأَنَّهُ الْعَلِيمُ بِخَلْقِهِ، مُنْزَعٌ عَنِ أَنْ يُخَيَّرَ أَحَدٌ بِحَاجَةِ خَلْقِهِ، تَقُولُ الْآيَةُ: ﴿وَيَعْبُدُونَ - يَدْعُونَ - مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هُوَ ذَا شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَبْتُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨]، أَمَا آيَةُ سُورَةِ النحل فَيَبِينُ أَنَّ أَوْلِيَاءَهُمْ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَلَا يُجِيبُونَ وَلَا

# الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى

بقلم الشيخ / أحمد طه نصر

﴿والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه لافتدوا به أولئك﴾

لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم وبئس المهاد ﴿ | الرعد : ١٨ | .

● ومن سورة "الشورى" آيات تشرح المنهج ؛ منها : ﴿والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون﴾ | الشورى : ٣٨ | . وتمضي بنا السورة . وقيل ختامها تذكّر بالمآل وقيام الساعة ، وما أعدّ للمستجيبين من نجات ونعيم ، وما لغيرهم من شقاء وعذاب أليم ، يقول سبحانه : ﴿استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يومٌ لا مردّ له من الله ما لكم من ملجأ يؤمّنون وما لكم من نكير﴾ | الشورى : ٤٧ | .

● إن آيتنا من سورة "الرعد" ارتبطت بما قبلها ، بدءاً من قوله عز وجل : ﴿قل من ربّ السموات والأرض قل الله قل أفأخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرّاً﴾ الآية | الرعد : ١٦ | .

● وحول هذه الآيات الكريمة يقول الحافظ ابن كثير ، رحمه الله ، في "تفسيره" : ( يقرر الله تعالى أنه لا إله إلا هو ؛ لأنهم معترفون بأنه عز وجل هو

● وحتى يتضح المراد من الآية الكريمة ، مع كونها مرتبطة بما قبلها من آيات . نجد أن القاعدة التي درج عليها أئمة التفسير أن يقرأ قبلها آيات وبعدها آيات لإتمام المعنى ومعرفة أي استجابة يأمرنا الله الكريم بها . وأيضا نستطلع الآيات التي اشتملت على الأمر بالاستجابة الواردة بسور أخرى ليكتمل الخير والهدى .

● بسورة "الأنفال" نداءً غلويّ للمؤمنين ، يجدر بنا أن نتلقاه طائعين ؛ لأنه مقتضى الإيمان ، يقول تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾ | الأنفال : ٢٤ | . وأكرم بها من استجابة لدواعي الحياة الطيبة واستقامتها وما تضرر من استخلاف وتمكّن وعزّ وأمن . وعقيدة تحيى القلوب وتسير العقول ، وتخلصها من رق الجهل والخرافة ، إن الإسلام دينٌ إيجابيٌ لحمته وسداده إيمان واستقامة على منهج الله الحكيم العليم .

الذي خلقهم وخلق السماوات والأرض ، وهو ربها ومدبرها ، وهم مع هذا قد اتخذوا من دونه أولياء يعبدونهم ؛ يتوجهون إليها ويرجونها فيما هو حق الله وحده ، وأن هذه الآلهة المزعومة لا تملك لأنفسها ولا لغيرها من باب أولى نفعاً ولا ضرراً ، أى لا تحصل لهم منفعة ، ولا تدفع عنهم مضرة ، فهل يستوي مَنْ عبد هذه الآلهة ؛ الأضرحة والمقاصير ومساخر الموالد ، وَمَنْ عبد الله وحده لا شريك له ، فهو على نُورٍ من ربه ، ولهذا قال تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ [الرعد : ١٦] ، سبحانه وتعالى عما يُشركون . اهـ .

● كما يذكر الإمام القرطبي رحمه الله عند تفسيره الآية : ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ يقول : أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول للمشركين : « قل من رب السماوات والأرض » ، ثم أمره أن يقول : « قل الله » ، إلزاماً للحجة ، إن لم يقولوا ذلك ، ودليله قوله سبحانه : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ [لقمان : ٢٥] ؛ أي فإذا اعترفتم فَلِمَ تعبدون غيره ؟! وذلك الغير لا ينفع ولا يضر ، وهو إلزامٌ صحيح ، ثم ضرب لهم مثلاً ، فقال : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ﴾ ، فكذلك لا يستوي المؤمن الذي لا يُبصرُ الحق ، فيخلص دينه وعبوديته

لله وحده ، والمشرك الذي لا يبصر الحق ؛ حق الله على عباده بأن يعبدوه لا يشركوا به شيئاً مما اتخذوه من دونه عز وجل من الأولياء والشفعاء ، إلى قوله تعالى : ﴿ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ ؛ أى قل لهم يا محمد : ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ ، فلزم لذلك أن تعبد الخلاق ، ثم قال : ﴿ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحَسَنَى ﴾ [الرعد : ١٨] ؛ أى أجاب إلى ما دعاه الله إليه من التوحيد والنبوات : ﴿ الْحَسَنَى ﴾ وهي الجنة ؛ لأنها نهاية الحسن . اهـ .

● والخَلْقُ : صفة لله خالصة له من صفاته القادرة وحدها على هذا الخلق : ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمَصُورُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يَسْبَحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الحشر : ٢٤] ، والكون كله ناطق بهذا الحق : ﴿ هَذَا خَلَقَ اللَّهُ فَارُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [لقمان : ١١] ، كل ذلك ليتضح الحق : ﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم \* والله يعلم ما تسرون وما تعلنون \* والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يُخْلَقُونَ \* أمواتٌ غير أحياء وما يشعرون أيان يعنون \* إهكم إلهٌ واحدٌ فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون \* لا جرم أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه لا يحبُّ المستكبرين ﴿ [النحل : ١٧-٢٣] .

● ويعقب القرآن الكريم على آية الاستجابة بآية عظيمة لإحقاق الحق ، ولتذكّر أولو الألباب ، يقول عز من قائل كريم : ﴿ أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى ﴾ | الرعد : ١٩ .

● إن المقابل لمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى ليس إلا شيء واحدٌ بغير مبالغة ولا مواربة ، المقابل هو العمى ، والعمى ؛ هو الذي ينشئ الجهل بهذه الحقيقة الكبرى الواضحة وضوح الشمس في رابعة النهار ، والناس إزاء هذه الحقيقة فريقان ، مُبصرون ؛ فهم يعلمون - ويُخلصون لله دينهم - وعمى آلا يعلمون ، والعمى عمى البصيرة واستغلاق القلوب : ﴿ كلا بل رآن على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾ | المطففين : ١٤ .

● والخلاصة : أن توحيد الله ، عز وجل ، في ذاته وصفاته وأسمائه ، وإفراده بالعبادة هو قاعدة الدين الراسخة التي لا يسبقها عمل ، ولا يقوم بناءً ولا يتحقق إيمان إلا بتحقيقها ، أي براءة من كل زور وباطل ووثنية تقديس الموتى ممن يسمونهم بالأولياء : ﴿ وهم عن دعائهم غافلون ﴾ | الأحقاف : ٥ ، وبراءة من كل طاغوت يصد عن دين الله ، واتباع الهوى والعادات والوراثات .

● والتوحيد ؛ هو دعوة الله التي أرسل بها صلى الله عليه وسلم وواجه بها صناديد قريش -

للأمة كلها - يوم جاءوا يفاوضون عمه أبا طالب بغية إصلاح ما بينه وبينهم ، فقال لهم صلى الله عليه وسلم : « كلمة واحدة تعطونها تملكون بها العرب ، وتدين لكم بها العجم ؛ تقولون : لا إله إلا الله ، وتخلعون ما تعبدون من دونه » ، وكان مفهوم كلمة التوحيد من الوضوح في أذهان زعماء المشركين يومئذ بحيث لم يجدوا حاجة إلى أي جدل في شأنه صلى الله عليه وسلم ، فهو لا يقبل منهم إلا الإسلام والبراءة من عبودية غير الله ، عز وجل ، وهكذا الرسل جميعاً مع أقوامهم ، فعاد قوم هود ، عليه السلام ، وقد دعاهم بدعوة الله وتوحيده فيقولون له : ﴿ أجأتنا لعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا ﴾ | الأعراف : ٧٠ .

● إن التوحيد هو الولاء والعبودية الخالصة لله عز وجل : ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ﴾ لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾ | الأنعام : ١٦٢ ، ١٦٣ ، ﴿ ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير ﴾ | الحج : ٦٢ .

● إن التوحيد هو أوثق عهد مع الله ذي الجلال والإكرام : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ | الفاتحة : ٥ . قائم على تطهير القلوب والحياة . وبالله التوفيق . وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله أجمعين .



# الإيمان والحياة

## والاجتماع

بقلم الشيخ / أحمد طه نصر

بالله وحده العون لصد هذه الموجات المتمردة على هداية القرآن الكريم العظيم ، وخلق الإسلام «الحياة» ، والحياة خير كله ، والحياة من الإيمان ، والحياة من مكارم الأخلاق ، ومما يريح النفس أن الشعور بخطر هذه الموجات - المدنية الفاجرة - موجود تتحدث عنه بعض الأوساط ويلقى اهتماماً لدى الباحثين ، وعلماء المسلمين ، وتكاد كلمة المحققين تجمع على أنه لا سلامة للمجتمع وإنقاذ الشباب إلا بهداية القرآن الكريم الذي يهدي للتي هي أقوم ، وكذلك هدي النبي ﷺ الذي قام عليه مجتمع الإيمان ، مجتمع الفضيلة .

وما أقصد بنشر هذه السطور بين شبابنا إلا للتنوير والسلامة بنبذ هذه الموجات المظلمة ، ولا أقل من أن يستبرئ كل مؤمن بريه غيور لدينه وعرضه بتجنب السفور والاختلاط وموضة الأزياء والعلاقات الآثمة بالنوادي والشواطئ وغيرها ، وكذلك عمل المرأة لغير ضرورة شرعية .

من آيات القرآن الكريم التي تنصُّ مجتمع

### الفضيلة

آيات للطهر والعافية لإقامة مجتمع الإيمان ، آيات بدأت ببيت النبي المعصوم ﷺ ، لكونه قدوة الأمة المسلمة التي أَرادها الله أن تكون : ﴿ خير أمة أخرجت للناس ﴾ [ آل عمران : ١١٠ ] ، على طريق الحق والنور ، لمن يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ، والآيات للتحذير ، ولم يكن

ولست أغفل دور كثير من الصحف والمجلات والأفلام والإذاعة المرئية بالذات ، والمسموعة في التأثير بهذه الموجات المتمردة ، إن لم تكن تعمل على إشاعتها وترويجها عن قصد أو غير قصد ، وكذلك سكوت أو تغاضي أكثر الشيوخ حمل أمانة الدين - إلا من وفق الله - رغم أن هذه الموجات غير الأخلاقية والتي تهدم ولا تبني ، إنها نذيرٌ بسوء العاقبة والمآل ، والمسئولية بين يدي الله عز وجل : ﴿ ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر ﴾ بل الإنسان على نفسه بصيرة ﴿ ولو ألقى معاذيره ﴾ [ القيامة : ١٣ - ١٥ ] ، ﴿ والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً ﴾ [ النساء : ٢٧ ] .

في بيوته ﷺ إلا النور والحكمة ، ولكنها توجيه من الخالق العظيم الذي له الخلق والأمر ، جل في علاه ، بأن الاستقامة على هذه الآداب هي الحياة الطيبة الراشدة ، وهي الفوز والنجاة في الآخرة .  
الآيات من سورة (( الأحزاب ))

﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَسَوْفَ يُرْحَمُونَ ﴾  
﴿ وَالْمَرْءُ بِمَا كَسَبَ رَبُّهُ مُقْتَدِرٌ ﴾  
﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَسَوْفَ يُرْحَمُونَ ﴾  
صالحاً نوتها أجرها مرتين وأعدنا لها رزقاً كريماً \* يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرضٌ وقلن قولاً معروفاً \* وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً \* واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفاً خبيراً ﴿ [ الأحزاب : ٣١ - ٣٤ ] .

ومن سورة (( النور ))

وحق لها وللقرآن كله أن يكون نوراً وهداية وحياة آمنة في الدنيا والآخرة : ﴿ نورٌ على نورٍ يهدي الله لنوره من يشاء ﴾ [ النور : ٣٥ ] ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾ [ النور : ٤٠ ] . الآيات : ﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبيرٌ بما يصنعون ﴾ وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو إخوانهن أو أبناءهن أو أبناء إخوانهن أو إخواتهن - إلى

قوله :- وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ﴿ [ النور : ٣٠ ، ٣١ ] .

يقول ابن كثير في تفسيره لسورة (( الأحزاب )) : هذه آداب أمر الله بها نساء النبي ﷺ ونساء الأمة الإسلامية تبعن لها في ذلك ، وقد أشرك الله العظيم نساء المؤمنين نصاً في هذه الفرائض ، ومن السورة نفسها بقوله تعالى : ﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيماً ﴾ [ الأحزاب : ٥٩ ] .

إنها آداب الإسلام حتى تقوم الساعة

بدليل أن الآيات نزلت تخاطب مجتمع الإيمان من المهاجرين والأنصار ، رضي الله عنهم ، وكانوا فداءً للنبي ﷺ حباً وتقديراً واقتداءً ، وزوجاته رضوان الله عليهن أمهات للمؤمنين ، لا يتطلع إليهن إلا بكل تقدير وإعزاز ، وكأمر الله كان سؤالهن عن الدين من وراء حجاب .

قال كل مؤمنة ، رضيت بالله رباً ، وبمحمد ﷺ رسولاً ، وبالإسلام ديناً ، إلى كل الصالحات الفاتحات ، يقول الله عز وجل في حكمة ما نلبس : ﴿ يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوآتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خيرٌ ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون ﴾ [ الأعراف : ٢٦ ] ، وشرفهن الكريم بقوله تعالى : ﴿ وقل للمؤمنات ﴾ ، وهو الرب العظيم تبارك وتعالى ، والآيات أنزلها ديناً وفرائض كالصلاة ونحوها ، والشأن أن ترتدي المؤمنة الجلابب عند خروجها من البيت - كعباءة ونحوها - ثوب سابغ ساتر ، لا يصف ما تحته ، ولا يشف عن شيء ، ولا

تكشف المؤمنة الوقورة عند الضرورة إلا الوجه والكفين مع الخمار - غطاء الرأس الذي يستر الشعر والأذنين والعنق حتى فتحة الثوب على الصدر - ( فريضة من الله ) ، ولا يكون الثوب ذا لون مُلَفَتٍ للنظر ، ولا ثوب شُهْرَة ، ولا يشبه ثوب الرجال - كالبنطلون ونحوه - ولا يُحاكي الموضة الضالّة فيفقد وقاره واحتشامه ، فإن مرضاة الله تعالى والدار الآخرة هي حياة الإيمان والفضيلة .

إن الدين الإسلامي صيانة وحفظ وستر للمرأة العفيفة التي تأتي أن تمتهن ، فلا تكون سلعة للإعلان ، وفتنة للأهواء والإعجاب ، بل تحذر أن يتبعها الكثير بالنظرات الخائنة الأثمة ، إنها تخشى الله ، وترجو النجاة في الآخرة من النار .

وكذلك آيتنا الكريمة من سورة « النور » تحرم ما هو شائع اليوم من فتنة الأحذية التي تُسمع صوتَ خطواتهن ، فيقطع الذي في قلبه مرض ، والأمر : ﴿ ولا يضرين بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ﴾ ، وتخنم الآية مذكورة بالتوبة والاستقامة لنا جميعاً ، النساء وأولياء أمورهن : ﴿ وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ﴾ .

**أرهمُ الراجمين يُبين لنا ويهذرنا عذابه**

فيقول سبحانه : ﴿ أفمن يُلقى في النار خيراً من يأتي آمناً يوم القيامة اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير ﴾ [ فصلت : ٤٠ ] ، ويقول عز وجل : ﴿ يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ﴾ إن الشيطان لكم عدوٌ فاتخذوه عدوً إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ﴾ [ فاطر : ٥ ، ٦ ] .

وما رواه مسلم أنه ﷺ قال : « صنفان من أهل النار لم أرهما : نساء كاسيات عاريات ، مائلات مميلات ، على رعوسهن كأسنمة البخت المائلة ، لا يرين الجنة ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا » ، إلا أن يتبن قبل أن يمئن ، ويتبن من قريب .

**وأين الرجال من آباء وأزواج ؟**

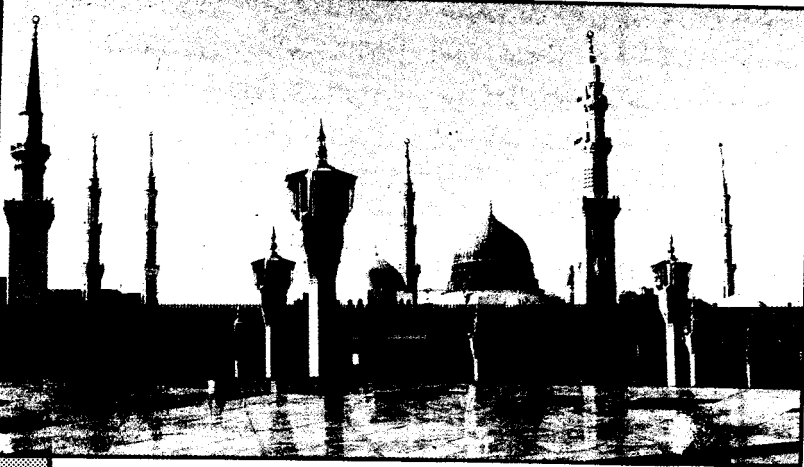
يا مَنْ ولاحم الله أمّانة ومسئولية الأسرة والقوامة عليها ، هل قرأتم ؟ هل سمعتم قول الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظٌ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يُؤمرون ﴾ [ التحريم : ٦ ] ، هل عرفتم مسئوليتكم من خير النبي ﷺ الصادق الأمين : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » . الحديث .

**سؤال قبل الختام**

هل السباحة أيها الآباء والمعلمون ورياضة الجمباز والبالية للفتيات يأذن أو يرضى عنها الإسلام ؟ أم يُحرّمها ؟ حينما تتجرد الفتاة من ثيابها إلا ما يُعرف أمام المشاهدين والمعجبين .

إن المرأة في الإسلام - دين الله - كلها عورة وأمّانة ، كما أن الفتى له حدوده أيضاً ، فلا يحل له أن يبرز شيئاً من سوائه ما بين السرة والركبة ، فلا أقل من سروال قصير حفظاً للحياء ، والحياء والأدب للجميع .

بالله تعالى التوفيق .



# فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا

## وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ

بقلم الشيخ / أحمد طه نصر

بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّهُ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ، اسْتَفْتَحَ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ، وَاسْتَمَطَّرَ لِرَحْمَةِ اللَّهِ ، وَاسْتَعَانَ بِهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَمَا لِلْعِبَادِ مِنْ نُونِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْ وِلِيِّ ، وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا .

عليه وعليهم أجمعين : ﴿ الَّذِينَ يُلْقُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ [الأحزاب : ٣٩] .  
أما الذين خوت قلوبهم من الإذعان والإيمان ، وصدورهم من الهداية والقرآن ، أسرى الجهل والتقليد الأعمى ، أرباب الخرافة والوهم ، هلاً أيقنتم بخبر الله أصدق القائلين : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف : ١٠١] ، ﴿ فَمَنْ أَتَمَّ فِي الْفَرِيقَيْنِ ؟ أَلَا يَجْدُرُ بِكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا أَنَّ اللَّهَ الْعَظِيمَ الَّذِي هُوَ : ﴿ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [يوسف : ٦٤] .

إن سبحانه مُبِيرُ الْأَمْرِ وَحْدَهُ ، وَبِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ : ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ﴾ [فاطر : ١٣] وَالْخَلْقُ جَمِيعًا لَا يَمْلِكُونَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْئًا فِي هَذَا الْكُونِ الْفَسِيحِ : ﴿ قُلْ لِذَوَاتِ الْأَلْبَانِ زَعَمْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي

يَقُولُ عَزَّ مِنْ قَائِلِ كَرِيمٍ : ﴿ وَإِنَّمَا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نِزْجٌ فَمَسْتَبِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [فصلت : ٣٦] ، وَيَقُولُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مُحَذِّرًا : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [فاطر : ٦] ، وَيَذَكِّرُ الْمُؤْمِنِينَ بِقَوْلِهِ : ﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [النساء : ٧٦] .

فَبَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ : ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد : ٢٨] ، الصَّادِقِينَ فِي إِيْمَانِهِمْ بِقِيَّتَا وَتَوَكَّلَا عَلَى الْمَلِكِ الْقَدِيرِ الَّذِي لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، الْمُخْلِصِينَ لَهُ دِينَهُمْ : ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ [الزمر : ٣] ، إِلَيْهِمْ نِدَاءُ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ : ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٧٥] ، أَنْ اثْبَتُوا عَلَى صِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ أُمَّةِ الْهُدَى وَخَاتَمَهُمْ صَلَوَاتِ اللَّهِ

السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مَنْ ظَهِيرٌ ﴿ [سبأ : ٢٢] ، أي من معين - حاشا لله - تنزهه وتقدس ، هو القوي العزيز القاهر فوق عباده .

سبحاته وعدّه ، والله لا يخلف وعده : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ [ الحجر : ٤٢ ] ، وأتبع الوعد بضمّان أكيد ، فقال : ﴿ وَكَفَىٰ رَبِّكَ كَيْلًا ﴾ ، والذي يُسَلِّمُ نفسه للشيطان ببعده عن ذكر الله والاحتماء به عز وجل لا يضرُّ إلا نفسه ، لقوله تعالى : ﴿ فَبِإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَكَّلُونَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾ [ النحل : ٩٨-١٠٠ ] ، وجاء على لسان العدو اللعين يذكر كيدَه وإضلاله للغافلين : ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [ الحجر : ٣٩ ، ٤٠ ] ، قال الربُّ العظيم : ﴿ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَالِبِينَ ﴿ وَإِنْ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [ الحجر : ٤١-٤٣ ] ، والعهد مع الله أن يعيده مخلصين له الدين . يقول عز وجل : ﴿ أَلَمْ آعْهَدْ لَكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿ [ يس : ٦٠ ، ٦١ ] .

ويحمي الله المؤمنين المعتمسين بربههم يقوله : ﴿ فَلَمَّا يَأْتِيَكَ مَوْتِي هُدًى فَمَنْ اتَّبَعَ هَذَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَتَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا كَذَلِكَ الْيَوْمِ تَنْسَى ﴿ [ طه : ١٢٣-١٢٦ ] .

فهل نهدي ونوقن بحفظ الله لمن لجأ إليه ولحتمى به وتحصن بذكره : ﴿ وَإِنْ يَسْأَلْكَ اللَّهُ بَضْرًا فَلَا كَثِيفٌ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِيدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [ يونس : ١٠٧ ] .

إن الإيمان بالله نور يملأ القلب ثقة وركوناً إلى حفظه وحماه ، وهو أعظم الأمن ، ووقاية من كل مكروه

وسوء : ﴿ فَمَنْ يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴾ [ الجن : ١٣ ] ، إن الكون وحدةً ناطقةً بهيمنة الله القوي العزيز ، ووحدايته وقبوميته وقدرته التي لا يعجزها شيء ، إنه اللجأ والاحتماء بالملك ذي الجلال والإكرام ، هداية للنفس وطمأنينة للقلب والحياة ، ونجاة من الشر والشيطان والهلاك ، إن السخر مهما بلغ ، ومهما اجتمع له السحرة البظلة ، كلمة نبينا الأمين ﷺ من حديثي مسلم : لا تأثير له على المؤمنين أصحاب سورة البقرة . وكذلك البيت الذي تقرأ فيه السورة يفر منه الشيطان .

إلى شبابنا وأبنائنا : إن في دين الله - ولا شيء غيره - العصمة والنجاة والسلامة في الدنيا والآخرة ، وبالله التوفيق .

### حصون من كتاب الله الكريم وهدى

#### نبينا الصادق الأمين ﷺ

بأسلوب التلقين من الله جل جلاله نبييه ﷺ وللمؤمنين من بعده : ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿ [ المؤمنون : ٩٧ ، ٩٨ ] ، والاستعاذة هي الالتجاء والاحتماء بالله العظيم من شر كل ذي شر ، ومن همزات الشياطين : الحياة دوماً حتى الممات ، فإن الشيطان لا يقبل مصالحةً ولا إحساناً ، ولا يبتغي غير هلاك ابن آدم لشدة العداوة بينه وبين أبيه آدم ﷺ من قبل .

والمعنى : أستجير بالله وقدرته من الشيطان الرجيم أن يضرني في ديني ودنياي ، أو يصدني عن فعل ما أمرت به ، أو يحثني على فعل ما نهيت عنه بوسلوسه وحيله .

فإن الشيطان لا يكفه عن الإنسان إلا الله الذي خلقه ، ولما كان الشيطان يرى الإنسان من حيث لا يراه استعاذ منه بالذي يراه ، ولا يراه الشيطان : ﴿ وَإِنَّمَا يَرْزُقُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [ الأعراف : ٢٠٠ ] .

روى مسلم قوله ﷺ : (( ألم تر آيات أنزلت الليلة لم ير مثلهن قط : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ ، ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ هما أفضل ما تعوذ به المتعوذون )) .

ومن حديث البخاري القدسي ، يقول عز وجل : (( ولئن استعاذني لأعيذنه )) .

وروى البخاري أنه ﷺ كان يجمع كفيه عند النوم وينفث فيهما ويقرأ المعوذات الثلاث : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿ السُّورَةُ . والصمد : هو السيد على الكون كله ، والمقصود في الحوائج جميعها ، و ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ فالق الإصباح يأتي بالنور بعد الظلام ، و ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ السورة ﴿ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴾ . الخناس : الذي يفرُّ مهزوماً أمام ذكر الله عز وجل ، وكررت الاستعاذة من شرِّ عدوِّ يُمتحنون به ، والوسواس صوتٌ خفيٌّ للإضلال ، وإن كان مزلقاً إلى الهلاك عند الإصغاء إليه ، وعلى المسلم أن يدفعه بالاستعاذة مرة ومرة .

روى أحمد وأصحاب السنن الأربعة أنه ﷺ كان إذا استفتح الصلاة كبر ، ثم يقول : ﴿ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه ﴾ . همزه : الموتة ، نفخه : الكيز ، نفثه : الشعر ، وسئل ﷺ عن الوسوسة أثناء الصلاة فقال : ﴿ إذا أحسنته فتعوذ بالله منه ، يذهب الله عنك ﴾ . رواه مسلم .

ومع تلاوة القرآن الكريم جاء قول الله عز وجل : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾ . وعن حصانة البيت المسلم قوله ﷺ فيما رواه مسلم : ﴿ لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ، فإن البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة يفرُّ منه الشيطان ﴾ . رواه مسلم .

﴿ إذا دخل الرجل بيته فذكر الله وسلم عند دخوله وعند طعامه ، قال الشيطان لجنده : لا مبيت لكم ولا عشاء ﴾ . رواه مسلم .

يُوصِي ﷺ من نزل منزلاً ، ثم قال : ﴿ أعوذ بكلمات الله التامات من شرِّ ما خلق . لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك ﴾ . رواه البخاري .

عن أعظم الحفاظ : تأكيده ﷺ على قراءة آية الكرسي قبل النوم : ﴿ لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح ﴾ . وقراءتها بعد الصلوات

المكتوبات مع المعوذات تكون في ذمة الله ، وحفظه من حديث السنن .

ولتحسين الأبناء كان ﷺ يعوذ الحسن والحسين : يقول : ﴿ أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة ﴾ . ويقول : ﴿ إن أباكم إبراهيم العليل كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق ، عليهما السلام ﴾ . رواه البخاري ( ٣١٩١ ) .

وعند دورة المياه ؛ كان ﷺ يقول قبل الدخول : ﴿ بسم الله ، اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث ﴾ الشياطين . رواه البخاري .

وعند الغضب ورَّده يقول ﷺ : ﴿ إني أعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد ! لو قال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴾ . رواه الشيخان .

ولوقاية المولود ؛ ينصح ﷺ بقوله : ﴿ لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال : اللهم جنبنا الشيطان ، وجنب الشيطان ما رزقتنا ، فإنه إن يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره الشيطان ﴾ . متفق عليه .

الجزء من الشيطان سائر اليوم حتى المساء ؛ قال ﷺ : ﴿ من قال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، مائة مرة ، كتبت له عدل عشر رقاب ، وكتبت له مائة حسنة ، ومحيت عنه مائة سيئة ، وكتبت له جزأ من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ، ولم يأت أحدٌ بأفضل مما جاء به إلا أحدٌ عمل أكثر من ذلك ﴾ . رواه الشيخان .

أخي المؤمن ، لتتدبر سويّاً هذا المشهد يوم القيامة : ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتَكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَا تَلُمُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي إني كفرت بما أشركتمون من قبْل إِنْ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [ إبراهيم : ٢٢ ] .

فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين .

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أَجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ ﴾

﴿ إِذَا دَعَا فَلَئِن سَأَلْتَهُ لَنَجِيبَنَّوْا لِي وَلَيُؤْمِنُنَّوْا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾

[ البقرة : ١٨٦ ]

بقلم فضيلة الشيخ / أحمد طه نصر

يقول الملك جلّ وعلا : (( وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه )) . وعند مسلم يُخبرُ ﷺ : (( أقرب ما يكون العبدُ من ربه وهو ساجد ، فأكثروا الدعاء )) . والله يحب الملحّين في الدعاء .

وآيتنا الكريمة : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ ﴾ يُمنُّ ذو الجلال والإكرام على السائلين الراغبين في رحمته وفضله - بغير تلقين للنبي ﷺ أن يجيبهم بما يُوحيه إليه ، كبقية الآيات السبع الواردة بسورة (( البقرة )) نفسها ، كقوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتٌ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ﴾ [ البقرة : ١٨٩ ] ، وغيرها . وإنما تفضل الكريم سبحانه فأجابهم من عليائه مباشرة وفَرَبًا ليحبب إليهم الإيمان ويُسعدهم بقربه ، فيقبلوا إلى رحابه عز وجل ضارعين مخلصين له الدعاء : ﴿ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ [ إبراهيم : ٣٩ ] ، وهو البرُّ الرحيم ، الذي لا تنبغي العبادة إلا له ، والمستحق أن يعبد وحده ، ولا يعبد إلا بما شرع ، ولا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا ، هذا هو الدين الحق ، الدين القيم : ﴿ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [ يوسف : ٤٠ ] .

ومن مقالة الموحدين الفائزين بالجنة يوم القيامة وثمرة دعائهم : ﴿ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِي

أيها الأخ المؤمن ، الدعاء مسألة وعبادة ، وفي الحديث عنه ﷺ : (( الدعاء هو العبادة )) . ولكي يصدق العبدُ في دُعائه يجب أن يصدق في عبوديته لله خالصًا ، فدعاء بغير عبودية دعاء بلا رَوْحٍ وبلا إيمان .

واعلم أيها المسلم أنه - عز وجل - ما أمرك بالدعاء إلا ليفيض عليك بالعطاء ، وهو وحده - تبارك وتعالى - المجيب : ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَا وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾ [ النمل : ٦٢ ] ، وقد أمرنا سبحانه أن ندعوه مخلصين له الدين ، ووعدنا - وهو الكريم - بالإجابة : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [ غافر : ٦٠ ] ؛ لأنه القريبُ المجيب ، والغني الحميد ، وذو الفضل العظيم . وعلمنا أن نسأله مِن فضله ، فقال : ﴿ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ [ النساء : ٣٢ ] ، وأن ندعوه بأسمائه الحسنى ، فقال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ [ الأعراف : ١٨٠ ] ، وما أكثر جهل الإنسان بعظمة ربه وسعة رحمته حين يسأله بجاه نبيٍّ ، أو واسطة وليٍّ ، تعالى الله عن ذلك ، فما للعباد من إلهٍ رحيمٍ إلا الله السميع لهم ، والعليم بهم .

﴿ فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾ : والقربُ منه بطاعته وعبادته بما ارتضاه عز وجل للمؤمنين من دين ومنهاج اقويم ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [ المائدة : ٣ ] ، ومن حديث البخاري القدسي :

أهلنا مُشَفِّقِينَ ﴿ فَمَنْ لَّهٗ عَلَيْنَا وَوَقَاتِنَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴾ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ السَّبْرُ الرَّحِيمُ ﴿ [الطور : ٢٦ - ٢٨] .

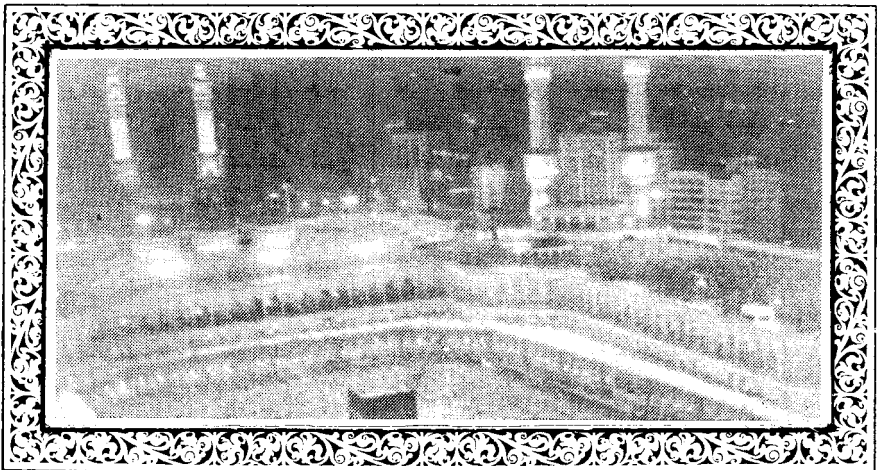
ومن أدب الدعاء في القرآن الكريم جاءت الآيات الهادية الراشدة : ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿ [الأعراف : ٥٥ ، ٥٦] ، ومن ثناء الله على المستغفرين بالأسحار جاء قوله : ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ [السجدة : ١٦] ، ومن ثناء الله أيضاً على النبيين ، عليهم السلام ، أئمة الهدى : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ [الأنبياء : ٩٠] .

وما رواه الشيخان عن أبي موسى ، رضي الله عنه ، قال : كُنَّا فِي سَفَرٍ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَجْهَرُونَ بِالتَّكْبِيرِ ، فَقَالَ ﷺ : (( أَيُّهَا النَّاسُ ، ارْبِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمًّا وَلَا غَائِبًا ، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وَهُوَ مَعَكُمْ )) .

وآية (( الأعراف )) تبين مدى جهل ومخالفة المبتدعين بما يسمونه الابتهالات والتواشيح ، قُرب العِزَّة في غِلاه لا يُنَاجي بالألحان والنغم -

سبحاته - وإنما يَنَاجي بأدبٍ وتذللٍ وصوتٍ خفيضٍ ، ويراجع ما ذكره الإمامان ابن القيم والقرطبي في تفسيرهما للآيات عن أدب الدعاء ، وأن رفع الصوت من الاعتداء في الدعاء ، والله لا يحب المعتدين ، علاوة على خطأ كثير من عباراتهم ومناجاتهم غير الله عز وجل ، والله يهدينا وإياهم إلى سواء السبيل . آمين .

أما قوله تعالى : ﴿ أُجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَا ﴾ : أي بنفسه ، وهو وعدٌ من الكريم بما له من صفات الجلال والإكرام ، والمجيب اسم من أسماء الله الحسنى ، ومن حديث أبي داود قوله ﷺ : (( الدعاء هو العبادة )) : أي أقبل عبادة من عبدي وحدي مخلصاً لي الدين بغير واسطة ، ولا شفاعة وكلي : ﴿ إِذَا دَعَا ﴾ : أي توجه إلي في دعائه وحاجته ، موقناً أن لي الخلق والأمر ، تبارك الله رب العالمين : ﴿ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ ﴾ [الملك : ١٤] ، فسبحاته غني عن شفيع يعلمه بحاجة عباده واتخاذ الأولياء شفعاء لله العليم من عمل المشركين ، والقرآن الكريم أوضح هذا الأمر لينقذنا من الخسران والكفران ، فأرني سمعك هداني الله وإياك للحق والرشاد ، يقول تعالى : ﴿ وَيَعْبُدُونَ ﴾ يدعون ، ﴿ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾ حجة الجاهلين اليوم ، ﴿ قُلْ أَتُبْنُونَ اللَّهَ بِمَا





لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى  
عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿ [ يونس : ١٨ ] .

ويُخزّنك أخي المسلم ما تراه من الضالين عن  
الحق ، حيث يقفون أمام النصب - الأضرحة - في  
ذلة ومسكنة ؛ رجاء البركة والمدد ممن لا يملكون  
لهم ضرراً ولا نفعاً ، ولا يسمعون ولا يجيبون ،  
لكنها الصوفية الدخيلة على الإسلام التي تفسد  
عقائد المسلمين ، وتضلل عن سبيل الله بموالدها  
وبدعها وجاهليتها ، ومعهم خدم هذه النصب التي  
وصفتها آية (( المائدة )) : ﴿ وَالْأَنْصَابِ وَالْأَرْلَامِ  
رَجَسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ ﴾  
[ المائدة : ٩٠ ] ، ومعهم - بكل أسف - شيوخ  
البدعة من أرباب صنديق النذور ، والمقاصير هي  
أصل الداء والضلال ، ويجب تطهير بيوت الله منها ،  
حتى لا يقع الضالون والجاهلون في حماة الشرك  
وذعاء الموتى من دون الله تفريخ كروبهم وقضاء  
حاجاتهم ، إنه من يشرك بالله في عبادته فقد حرم  
الله عليه الجنة ، ومأواه النار وما للظالمين من  
أنصار : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا  
دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ [ النساء : ٤٨ ] .

وكتاب الله العزيز عصمة لمن تمسك به ،  
ونجاة لمن اتبعه ، فلنسمع آيات تدفع هذا الباطل .  
يقول عز من قائل كريم : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو  
مِن دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ  
وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴾ [ الأحقاف : ٥ ] ،  
وقوله : ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا  
يَمْلِكُونَ كَشْفِ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾  
[ الإسراء : ٥٦ ] ، وقوله : ﴿ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ  
الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ  
قِطْمِيرٍ ﴾ إن تدعوهم لا يسمعون دعاءكم وتو  
سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون  
بشرككم ولا ينبتك مثل خبير ﴿ [ فاطر : ١٣ ] ،  
١٤ ] ، وقوله : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ  
اللَّهِ أَحَدًا ﴾ [ الجن : ١٨ ] ، وقوله : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ  
اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ  
الْبَاطِلُ ﴾ [ الحج : ٦٢ ] .

أما الإسلام دين الله الحق ؛ فهو أفراد الله عز  
وجل بالدعاء والعبادة ، وهو أساس الدين ، وكلمة

التوحيد : لا إله إلا الله ، لا يسبقها عمل ، إنها  
قاعدة الدين الراسخة . يقول تبارك وتعالى :  
﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ  
خُنْفَاءً وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ  
الْقِيَامَةِ ﴾ [ البينة : ٥ ] ، وقوله : ﴿ فَاعْبُدِ اللَّهَ  
مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾ [ الزمر : ٢ ، ٣ ] ، ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ  
أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾ [ الزمر : ١١ ] ، وقوله :  
﴿ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ  
لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ  
الْعَالَمِينَ ﴾ [ غافر : ٦٦ ] .

#### مع الإجابة والاستجابة لله عز وجل :

روى أحمد أنه ﷺ قال : (( ما على الأرض  
مسلم يدعو الله بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة  
رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث : إما أن يعجل  
له دعوته ، وإما أن يدخر له ، وإما أن يكشف عنه  
من سوء بمثلها )) .

وروى الشيخان أنه ﷺ قال : (( يستجاب  
لأحدكم ما لم يعجل ، يقول : دعوت فلم يستجب  
لي )) . فادع الله ، وألح في الدعاء ، وأيقن  
بالإجابة ، فليستجيبوا لي - وهم عبادي - بالإيمان  
والعمل الصالح مع الاستقامة لما أذعوه إليه ، كما  
يحبون أن أجيب دعوتهم وأقبل عبادتهم : ﴿ وَأَوْقُوا  
بِعَهْدِي أَوْفٍ بَعْدَكُمْ وَإِنِّي فَارُهِقُونَ ﴾ [ البقرة :  
٤٠ ] ، وأقدس العهد ما ورد بأمر الكتاب : ﴿ إِنَّا كُنَّا  
نَعْبُدُ وَإِنَّا نَسْتَعِينُ ﴾ [ الفاتحة : ٥ ] .

﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ : والرشد ضد الغي .  
الرشد استقامة واعتصام بالله عز وجل ، واتباع  
واقتهاء بنبي البر ورسول الخير نبينا محمد ﷺ  
الذي اختاره الله وعصمه وجعله قدوة وأسوة  
حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ، وأن  
يحشرنا في زمرة وتحت لوائه ، والاستقامة الحقبة  
هي استقامة القلب والجوارح بأمرين : محبة الله  
تعظيماً وتسبيحاً بحمده ، وتعظيم أمره ونهيه ،  
والمحافظة على حدوده ، وصدق الاقتداء بخير إمام  
ﷺ ، على صراط الله المستقيم ، ومكاته : ﴿ النَّبِيُّ  
أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ [ الأحزاب : ٦ ] .  
وبالله التوفيق ، والله أعلم .

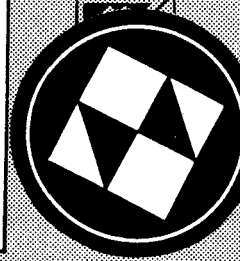
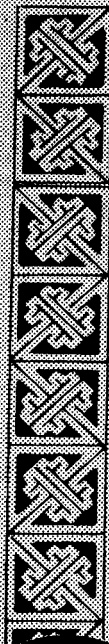
# الهجرة

## وعناية القرآن الكريم بها

بقلم فضيلة الشيخ / أحمد طه نصر

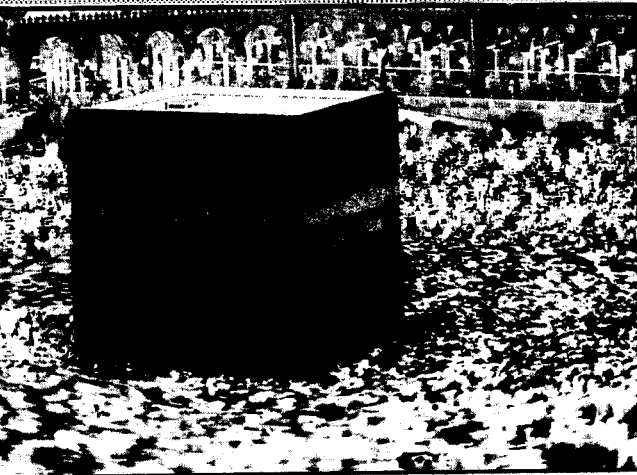
الهجرة مبادئ خالدة ، ومثل عليا ، تُحدد للمسلمين هدفهم ليمضوا إلى غاياتهم في صِدْقٍ وَجْدٍ ، وجديرَ بنا ونحن نودع عاما ونستقبل عاما أن نحاسب أنفسنا حسابا صادقا ؛ ماذا قدمنا لديننا ؟ وهل خطانا على طريق العمل الجاد لإعلاء كلمة الله وإيلاغ أمانة دعوته ، وإصلاح حياة ومجتمع المسلمين ، بل وإلى إنقاذ البشرية مما تردت فيه من جاهلية وثنية ، فهل كانت دعوة الإسلام إلا دعوة إلى التوحيد الخالص لله رب العالمين ، إلى عز الدنيا وفوز الآخرة .

إن على كل مسلم يرجو لقاء ربه ، ﴿ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [ الغنكوت : ٦ ] ، أن تتحول الهجرة في حياته إلى عمل نافع وسلوك راشد ، وعلى المسلمين كافة أن يهاجروا بأرواحهم وقلوبهم إلى الله هداية واستقاء به عز وجل من سواه ، اعتصاما بدينه بالكتاب الكريم عقيدة ومنهجًا وخلقًا وتحكما ، واقتداء بالنبي الأمين ﷺ الذي نُسأل عنه بين يدي الله عز وجل بتحري سنته ، واتخاذَه إمامًا لا نقدم بين يديه شيئا ولا رايًا ؛ لأنه ﷺ هو الأسوة الحسنة على طريق الله المستقيم .



بقلمهم حينما أسماهم المهاجرين ، ويشمل رضاه فومًا بالمدينة فتحوا قلوبهم لدين الله الحق ، وفتحوا ديارهم لإخوانهم المهاجرين من أهل هذا الدين ، وأعتابهم وقسموهم مسا يملكون ، ويعرض من أخلاقهم ما سماع بهم ، فقال سبحانه : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَبْتَغُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَلَيْسَ لَهُمُ الصَّادِقُونَ ؟ ﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّعُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ

نظرة فحص ودراسة للقرآن الكريم نجده قد تبسط في تسجيله لقيم حادث الهجرة الذي عظم أمره وظهر أثره ، وتجلى قدره ، ودل على يقين وإيمان راسخ وثبات على الحق واعتزاز بالدين الحق ، يسجل القرآن رضاه الله عن قوم أخرجوا من ديارهم وأجبروا على ترك أموالهم وديارهم ، وتحمل الاعتزاز والمشقة والعذاب في سبيل العقيدة التي خالطت القلوب ، واستزجت بالأرواح ، ويشهد لهم بصدقهم ؛ إذ يسميهم



عز وجل حيث نصره على أعدائه من أهل مكة ذلك اليوم . وقد خرج المشركون وكل قلوبهم حقد وحسد ونار تتلظى على الإسلام ورسول الإسلام بحثاً عن محمد ﷺ وصاحبه وسيفهم مسلولة تريد أن تروي ظمأ حاملها من دماء الإسلام الطاهرة ، وقفوا على الغار الذي أحاطه الله بجنده من الملائكة وتدخلت عنايته عز وجل بما صرف من قلوبهم وأخذ من أبصارهم ، إنه عمل الله وحده العزيز الحكيم .

يروى البخاري أن أبا بكر رضي الله عنه قال للنبي ﷺ : لو نظر أحدهم تحت قدمه لرأنا ، ويجيبه الواثق بربه المطمئن إلى وعده تبارك وتعالى : « ما ظنك باثنين الله ثالثهما » . وتضمنت الآيات هذا الفضل : ﴿ إِلَّا تَتَّصِرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَاتِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَخْزِنِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الْفَائِزِينَ اللَّهُ سَكِينَتُهُ عَلَيْهِ وَأَيْدِيهِ يُجَنِّدُ لِمَن تَرَاهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [ التوبة : ٤٠ ] ، إن المهاجر ضيف الله في هجرته ، وقد باع الدنيا بما فيها من أهل ودار ومال ، واشترى بها رحمة الله ورضوانه ، فكان الله كفيلاً له

مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [ الحشر : ٨ ، ٩ ] ، وقوله : ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [ التوبة : ١٠٠ ] ، وقوله : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [ الأنفال : ٧٤ ] ، إن كثرة الآيات شهادة بقدرها ، وثناء على المهاجرين مع إكرامهم مثوبتهم .

من أجل ذلك يروي البخاري في اختيارهم هذا الحادث العظيم بدأ للتاريخ : عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : ما عدوا من مبعث النبي ﷺ ولا من وفاته ، ما عدوا إلا من مقدمه المدينة . يوم تحقيق إرادة الله عز وجل الحياة لمجتمع الإيمان والأمة من بعده بالدين ، روح الحياة وزاد الآخرة ، وتمكينهم واستخلافهم ليبلغوا ما اتتمنوا عليه ، ويقودوا الإنسانية بهذا الدين القويم حتى نهتدي إلى الصراط المستقيم ، يوم التضحية الغالية الخالصة لله وابتغاء مرضاته .

وجاء من سببها قوله عز وجل : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ [ الأنفال : ٣٠ ] ، مشيراً إلى ندوتهم وما بيتوا من مؤامرة ومكر سيئ حاق بهم ، وكتب الله السلامة لرسوله ﷺ حيث خرج من بينهم بكلوه ويعصمه من له الأمر وهو الولي الحميد ، وكفله

وحسبياً ، وأنه عز وجل ضمن لهم الخير والنجاح  
والتمكن والسعة في الحياة والرزق والنصر ،  
وأعظم من هذا هو وقوع الأجر على الله تعالى ؛  
إن هومات في هجرته فإنه سيجد عنده عز وجل  
خير الجزاء : ﴿ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ  
فِي الْأَرْضِ مَرَاغِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ  
بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ  
فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا  
رَحِيمًا ﴾ [ النساء : ١٠٠ ] ، ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا  
فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قَاتَلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ  
رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾  
[ الحج : ٨٥ ] .

وفي الحديث المتفق عليه : (( لا هجرة بعد  
الفتح ، ولكن جهاد ونية ، وإذا استنفرتم  
فاتفروا )) ، وإنما هي اليوم مفتوحة أمام  
المسلمين هجرة في سبيل العلم ، هجرة في سبيل  
الفضل ، هجرة في سبيل الكرامة ، هجرة لكل ما  
حرّمه الله عز وجل من زور ومنكر : ﴿ وَالرُّجْزَ  
فَأَهْجُرْ ﴾ [ المزمل : ٥ ] ، بل حفاظاً على حدود  
الله في الدماء والأموال والأعراض ، وكلها تجد  
عند الله الفضل والجزاء ما دامت خالصة لله  
وعملًا بمرضاته ، ولخير الأمة الإسلامية التي  
شاء الله أن تكون خير أمة .

الهجرة بناء ونظام ، من يوم وصل ﷺ إلى  
يثرب أخذ مباشرة في الإعداد وبناء الأمة  
الإسلامية في دارها الجديدة ، دار الانطلاق  
والعمل والجهاد ، فبدأ بالمواخاة بين المهاجرين  
والأنصار ، تلك المواخاة التي كانت أول لبنات  
القوة والقاعدة الأصيلة التي تتحرك منها وعليها  
جماعة المسلمين إلى الجهاد الذي أصبح واجبًا  
مقدسًا ، وكانت المواخاة تماسكًا قويًا في الصف  
الواحد حتى لا تستطيع المكائد أن تنفذ إلى

الجماعة أو تنال منها ، تحدثنا السيرة عن نموذج  
اللبنات التي اصطفاه الله لغرس شجرة الإسلام ،  
ويسجله الكتاب ثناءً : ﴿ وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ  
وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [ الحشر : ٩ ] ، آخى  
ﷺ بين سعد بن الربيع الأنصاري وبين  
عبد الرحمن بن عوف المهاجري في حديث  
البخاري : سماحة من سعد يقابلها نبيل وإباء من  
عبد الرحمن رضي الله عنهما وعن الصحب  
جميعًا . قال سعد لأخيه : أقسم مالي نصفين ولي  
امراتان فاتظر أعجبهما إليك أطلقها ، فإذا انقضت  
عدتها فتزوجها ، ويردّ عبد الرحمن : بارك الله  
لك في أهلِكَ ومالك ، أين سوقكم ؟ الحديث .

ثم أخذ ﷺ في بناء المسجد لتظهر فيه شعائر  
الإسلام التي طالما خُربت ، وتقام فيه الصلوات  
التي تربط المرء بربِّ العالمين ، يؤمهم ﷺ  
ويتعهدهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ، من  
الغداة إلى العشي .

إن الصلاة صِلَةٌ وطهور ، وهو أول مسجد  
أسس على التقوى ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ  
يَتَّطَّهَرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴾ [ التوبة :  
١٠٨ ] .

اللهم لا عيشَ إلا عيش الآخرة

فاغفر للأنصار والمهاجرة

يذكر ابن القيم رحمه الله عن الهجرة الواجبة  
اليوم : هجرة من عبودية غير الله إلى عبودية  
الله وحده ، هجرة من إمامة غير رسول الله ﷺ  
وتقليد الشيوخ إلى إمامته ﷺ طريق السلامة ،  
هجرة من كتب الضالين إلى كتاب الله الذكر  
الحكيم والصراف المستقيم ، عصمة لمن تمسك به  
ونجاة لمن اتبعه .

وبالله التوفيق .

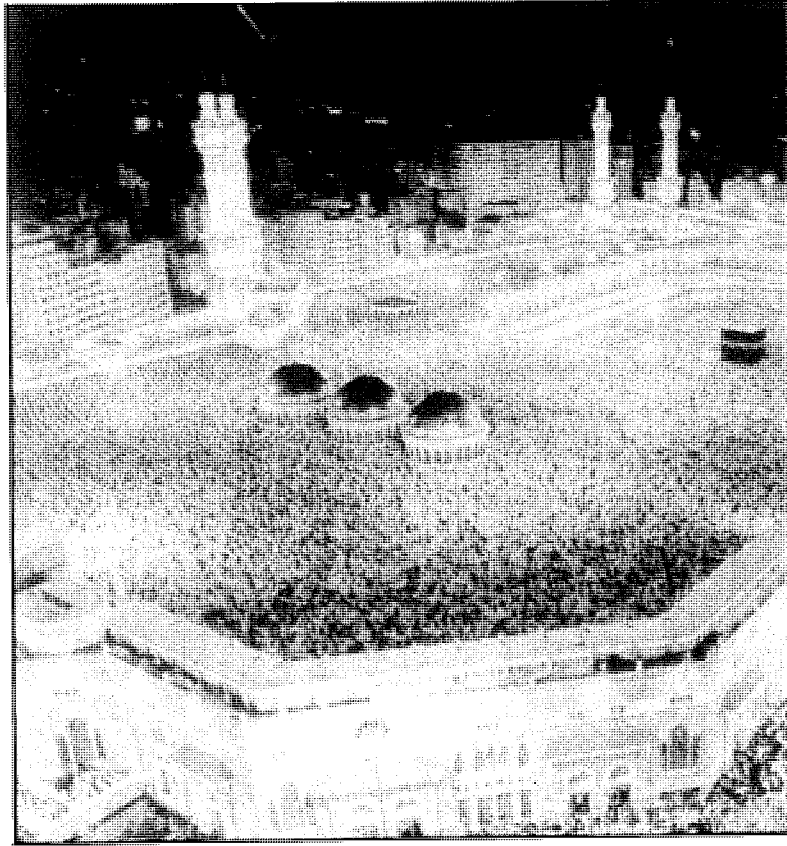
# الأمن والحرب والأشهر الحرم وحقوق الإنسان

بقلم فضيلة الشيخ : أحمد طه نصر

﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلَمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [ التوبة : ٣٦ ] .

يؤكد الله ويذكر بأنه عز وجل فطر الكون على نظام حكيم ، وأن هناك دورة زمنية ثابتة مقسمة إلى اثني عشر شهراً ، وأن ذلك في كتابه الذي أقام عليه نظام هذا الكون ، وقد تكون هذه الدورة قمرية كالأشهر العربية وهي ثابتة في دورتها ، وقد تكون شمسية وهي ثابتة على نظامها كذلك لا تتخلف ؛ لأنهما وفق تسخير حكيم أراده الله يوم خلق السماوات والأرض ، نظام يرتبط به سعي الناس للكسب والحياة ، وعلم السنين والحساب .

والشمس والقمر آيتان تدلّان على إتقان وجمال وعظمة خلق الله سبحانه وتفرده عز وجل بالوحدانية والتدبير وولاية أمر عباده ، فما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحداً ، فتعاقب الليل سكوناً وراحة ، والنهار شمساً وضياءً وسراجاً ودفناً وأشعة ضرورات لدورة الحياة ، بها تعرف الأيام والليالي ، وبالقمر ونوره ومنازله تعرف الشهور والأعوام ، والمواقيت الشرعية والأحكام ، يقول عز وجل : ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرَ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ وَالْقَمَرَ قَدَّرْتَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿ لاَ الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [ يس : ٣٨ - ٤٠ ] ، ويقول سبحانه : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ﴾ [ البقرة : ١٨٩ ] ، وقوله ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ



ضياءَ والقمر نوراً وقدره منازل  
لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق  
الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم  
يعلمون ﴿ [ يونس : ٥ ] .

روى الشيخان وأحمد - واللفظ  
له - أنه ﷺ خطب في حجة الوداع  
فقال : ( إن الزمان قد استدار كهيئته  
يوم خلق الله السموات والأرض ،  
السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة  
حرم : ثلاث متواليات ذو القعدة ، وذو  
الحجة ، والمحرم ، ورجب مضر الذي  
بين جمادى وشعبان ) . ثم قال :  
« ألا أي يوم هذا ؟ » قلنا : الله  
ورسوله أعلم ، فسكت حتى ظننا أنه  
سيسميه بغير اسمه ، قال : « أليس  
يوم النحر ؟ » قلنا : بلى ، ثم قال :  
« أي شهر هذا ؟ قلنا : الله ورسوله  
أعلم ، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه  
بغير اسمه ، قال : « أليس ذا  
الحجة ؟ » قلنا : بلى ، ثم قال : « أي  
بلد هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم ،  
قال : أليست البلدة الحرام ؟ قلنا :  
بلى ، قال : « فإن دماءكم  
وأموالكم - وأعراضكم - حرام عليكم كحرمة  
يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم  
هذا ، وستلقون ربكم فيسألكم عن  
أعمالكم ، ألا لا ترجعوا بعدي كفاراً  
يضرب بعضهم رقاب بعض ، ألا هل  
بلغت ، ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب  
فعل من يبلغه يكون أوعى من بعض  
من سعه » .

فهذا تقرير منه ﷺ وتثبيت للأمر  
على ما جعله الله في أول الأمر من  
غير تقديم ولا تأخير ، وشاء الله  
وقدر أن يكون حج رسول الله ﷺ  
في تلك السنة في توقيته السليم ، فقد  
كانت العرب لسأت بتأخيرها حرمة  
بعض الشهور ، وسميت حرمًا ؛  
لأنها معلمة بأمر الله ، وتتضاعف  
فيها الحسنات ، ويحرم القتال فيها ،  
أما مكة فهي حرام بحرمة الله تعالى

إلى يوم القيامة ، وإنما كانت الأشهر  
الحرم أربعة ، ثلاثة سرًا ، وواحد  
فرد لأجل مناسك الحج والعمرة ،  
فحرم قبل شهر الحج شهرًا وهو ذو  
القعدة ؛ لأنهم يقعدون فيه عن القتال  
ويسافرون إلى مكة ، وحرم شهر ذي  
الحجة ؛ لأنهم يؤدون فيه مناسك  
الحج ، وحرم بعده شهرًا وهو  
المحرم ليرجعوا فيه إلى أقصى بلادهم  
آمنين ، وحرم شهر رجب في وسط  
الحول لأجل زيارة البيت وعمارته ،  
هذا معنى قصده الدين ليحترم الناس  
الدين ويدركون أن حياتهم لا تستقيم  
إلا به ، ومعان أخرى من الأمن  
ليترك الناس الاعتداء ، ومن السلام  
حتى لا يبقى بينهم نزاع ، وإدراك  
البناء في حياة المجتمع حتى لا  
يستمر الهدم ، والتربية في حياة  
الفرد وسلوكه ، وأن هذا نظام أقامه  
العليم الخبير وقام عليه نظام الكون  
من أول يوم ، يوم خلق السموات  
والأرض ، وكتاب الله في الآية هو  
أول اللوح المحفوظ ، ثم هو كتاب  
الكون المنظور ، وهذا النظام البديع  
المتقن المتناسق المتكامل الذال على  
وحدانية الله وحكمته وهيمته ،  
وجاء به الكتاب الكريم هذا هو الدين  
والشرع المستقيم من امتثال أمر  
الله ، ذلك الدين القيم قوام الأمة  
ونهبته وركونها إلى الله ، فهي  
أبدأ في حماه وطاعته ، وهو سبحانه  
يسد خطاها ويمنحها عونه وتوفيقه  
ونصره ، قل بأسلوب العصر : هذه  
هي حقوق الإنسان : أمنًا وسلامًا  
وبناءً وحرية واعتمادًا على القوي  
العزیز ، مع إعدادهم لمقومات الحياة  
العزیزة ، تركها الكثير من المسلمين  
وذهبوا يتخبطون في ظلمات الجهل  
والذل يلتمسون الأمن في جانب  
الوحوش الضارية التي تداعت اليوم  
على المسلمين حينما غفلوا عن الحق  
والهدى ، ولن يكون أمنًا وسلامًا

وعزًا وفلاحًا إلا يوم أن يعودوا إلى  
حظيرة هذا الدين القيم وقيمه من  
طاعة واستجابة وإخلاص في حب  
الله وعبادته وحده ، وقودة صادقة  
برسوله ﷺ ، وتنفيذ التناصر  
والتالف على كلمة الله أمة واحدة في  
مواجهة أعداء المسلمين ، يذل الجهود  
والأرواح والأموال في سبيل الله ،  
بذلك تطيب الحياة ويتحقق وعد الله  
بغلبة المؤمنين على أعدائهم .

وفي سورة البقرة آية توضح أمرًا  
في الأشهر الحرم ، وهو أن تحريم  
القتال فيها لا يمنع الجهاد والدفاع طالما  
كان هناك عدو وحرب ، طالما كانت  
هناك فتنة واعتداء : ﴿ يسألونك عن  
الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه  
كبير وصد عن سبيل الله وكفر به  
والمسجد الحرام وإخراج أهله منه  
أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل  
ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم  
عن دينكم إن استطاعوا ومن يردد  
منكم عن دينه قيمت وهو كافر  
فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا  
والآخرة وأولئك أصحاب النار هم  
فيها خالدون ﴿ إن الذين آمنوا والذين  
هাজروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك  
يرجون رحمت الله والله غفور  
رحيم ﴿ [ البقرة : ٢١٧ ، ٢١٨ ] .

وسبب نزولها أنه ﷺ بعدما  
هاجر إلى المدينة عمل على تأمين  
سلامة المؤمنين وتبليغ دينه وإعلاء  
كلمته ، وكان من خطة الأمن أن  
يبعث بالسرائيا تستطلع وتتعرف حتى  
لا يؤخذ المسلمون على غرة ، وكانت  
سرية عبد الله بن جحش في رجب  
من السنة الثانية بعد الهجرة إلى  
نخلة بين مكة والطائف ، فدانية في  
سبيل الله للتعرف على أخبار  
الأعداء ، واقتل المشركون ضجة  
للتشهير بعمل المقاتلين المسلمين في  
الأشهر الحرم ، وفتاتهم ما ارتكبه  
من قبل من حرمان انتهكت في

# يوم عاشوراء ...

بقلم : راشد محفوظ - وزارة الأوقاف - أبوظبي

عن أبي قتادة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سئل عن صيام يوم عاشوراء ، فقال : « يكفرُ السنة الماضية » . [ مسلم ، نووي ٤١/١٠ ، جزء من الحديث رقم (١٩٦) ] .

● وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « لنن بقيت إلى قابل - أي عام مقبل - لأصومن التاسع » . [ مسلم ، نووي (١١/١٠) ، حديث رقم (١٣٤) ] .

● وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ صام يوم عاشوراء وأمر بصيامه . [ متفق عليه ] .

الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين إخوة لعلات ( إخوة من أب واحد ) بينهم واحد ، وأمهاتهم شتى ، قال ﷺ : « نحن معاشر الأنبياء إخوة لعلات ديننا وولد » . ولقد كان لكل فترة من عمر هذه الدنيا نبي أو رسول كيفما أراد الله وشاء ، يعمر بينهم ما شاء الله أن يعمر - ليخرجهم من الظلمات إلى النور بإذن ربهم - حتى كان النبي محمداً ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين المصدق به من الأنبياء السابقين ، والمؤمنين به وبما جاءه من كتاب وحكمة ، كما قال الحق تبارك وتعالى في سورة « آل عمران » : « وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ » [ آل عمران : ٨١ ] .

فبعث ﷺ للنقلين : الجن والإنس ، فكانت رسالته ﷺ أكمل الرسالات ، ونبوته خاتم النبوات ، فلا نبي ولا رسول بعده ، قال تعالى وقوله الحق في سورة الأحزاب : « مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ » [ الأحزاب : ٤٠ ] .

محاربة المسلمين واضطهادهم : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾ ، ونزلت الآيات وفي ختامها تركية عمل عبد الله ورفاقه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاءَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ، ويلتقي الكفاح في هذه الآية مع آية التوبة : أن لا هزيمة أمام القوى الباغية ، أن لا تفريط في الإيمان الذي شرفهم الله به ، أن لا هودة مع المشركين والمعتدين ، وكالت هذه الأحداث هي المقدمة لما أراد الله بعد شهر واحد من وقوعها ، عندما جمع رجالات مكة وخيرة أهل المدينة على موعد غير منظور في بدء يوم الفرقان ، فالقضية قضية دين ، والدين أمرة ، والقاعدة أن الذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تغلوه - أيها المسلمون - تكن فتنة في الأرض وفساد كبير ، أما الوصية في الآية فهي قوله عز وجل : ﴿ فَلَا تَقْتُلُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ ﴾ ؛ لأن الظلم في الأشهر الحرم أعظم خطيئة ووزيراً من الظلم فيما سواها ، وإن كان الظلم على كل حال عظيماً ، وهو ظلمات يوم القيامة ، والله لا يحب الظالمين ، ولكنه سبحانه يعظم من أمره ما يشاء ، فعظموا ما عظم الله ؛ لأن هذه الشهور وغيرها تفتت للالتزام بالأمن ، ونيل الأجر بمضاعفة الأعمال الصالحة مع مقاومة النفس والهوى وتقويم أفعالنا ومراجعتها مع دين الله العظيم ، ولنفس المعنى والتقاء هذه الشهور مع أشهر الحج تأتي الآية الكريمة : ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزِدُوا بِإِذْنِ خَيْرِ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [ البقرة : ١٩٧ ] ، وما أجمل النداء العلوي في الكتاب الكريم باسم الإيمان : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشُّهُورَ الْحَرَامَ ﴾ [ المفددة : ٢ ] ، وقوله : ﴿ الشُّهُورَ الْحَرَامَ بِالشُّهُورِ الْحَرَامِ وَالْحَرَمَاتِ قِصَاصٌ فَمَنْ اعتدى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعتدى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [ البقرة : ١٩٤ ] ، ويقول المولى الكريم مجيباً فيما عنده : ﴿ ذِيكَ وَمَنْ يُعْظَم حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ ﴾ [ الحج : ٣٠ ] ، والنهوض بالدعوة والعبادة : ﴿ ذِيكَ وَمَنْ يُعْظَم شَعَائِرَ اللَّهِ فَيَقْبَلُهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ [ الحج : ٣٢ ] ، ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [ آل عمران : ١٣٨ ] ، وما توفيقى إلا بالله .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله أجمعين .

# سعة رحمة الله

إعداد / أحمد طه نصر

حتى ترفع الدابة حافرها عن وليدها خشية أن تُصيبه، وأمسك عنده تسعة وتسعين رحمة يرحمُ بها المؤمنين يوم القيامة.

يقول ﷺ: «لما خلق الله الخلق كتب في كتاب عنده فوق العرش: أن رحمتي تسبق غضبي»، وقد حاول المفسرون توضيح لفظ الرحمن. ولفظ الرحيم، فكان مما تردّد أن الرحمن هو الذي تتصف ذاته بالرحمة، فهو الخالق الرازق المنعم ويتعهد العباد من المهدي إلى اللحد، والرحيم لأنه عز وجل أمدهم بما يحفظ حياتهم وبالرسالات لهدايتهم، ويفعل بهم رحمة يعفو بها عن خطاياهم ويغفرها لهم فضلاً منه عز وجل، فهو رحمنٌ بذاته، رحيمٌ بعباده، فمن لهذه الذنوب التي لا تنتهي في الدنيا غير رحمته التي وسعت كل شيء، واستمرار الرحمة أمرٌ يشمل الحياتين الدنيا والآخرة، فهو سبحانه رحمنٌ الدنيا والآخرة ورحيمهما، ولذلك أمرنا أن ندعوه بلفظ الجلالة أو الرحمن. ﴿أَيُّ مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء: ١١٠]، وكبت الإنسان يتدبر شأنه مع رحمة الله عز وجل، يقول سبحانه: ﴿قُلْ مَنْ يَكْلُؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ نِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرَضُونَ﴾، والآية تشير إلى حفظ الرحمن للخلائق ليلاً: ينام العبدُ ويُسلم نفسه للحفيظ العظيم والحكيم العليم فيحفظ له حياته، نفسهُ ونبضات قلبه، وتجدد خلاياه، ونوره دمه، والليل سكنٌ وراحة له، وجعل له النهار معاشاً ويسر له رزقه وما هو أعزُّ من ذلك كله؛ هدايته

حقيقةً في حياة الإنسان لا تقبلُ الشك ولا تحتاج إلى دليل، هذه الحقيقة هي أن كل لحظة تمرُّ بالإنسان في حياته إنما تُعجلُ من ساعة رحيله، وتُقرِّبه من آخرته التي لا محيد عنها، ويخشى الإنسان هذه الحقيقة ويهربُ من سبب يدفعه إلى الخوف والخشية، ولعل أقواها هو شعوره بأنه أخطأ في هذه الحياة لكثرة ذنوبه.

فهل يياس الإنسان أو يقنط العبد؟ أم ترى أن رحمة الله الواسعة تشمل العباد في الدنيا بالرغم من خطاياهم،.... لهم في الآخرة وهم وقوفٌ بين يديه عز وجل مستغفرين نادمين، إن الله قد فتح باب رحمته وتوبته لعباده: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]، ونجد في سورة الفاتحة التي يفتتح بها القرآن العظيم، والتي يُردُّها المسلمون في كل يوم كثيراً في صلاتهم، ويتكرَّر فيها صفتان عظيمتان من صفات ربنا الرحمن الرحيم، في آيتين من آياتها السبع، في الآية الأولى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، الآية الثالثة: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، لذلك يجب على كل مسلم أن يتدبَّر ويتأمل لعله يهتدي إلى ما تشير إليه هذه الصفات العظيمة التي اهتم بها القرآن الكريم هذا الاهتمام، لقد تكرَّر لفظ الرحمن (٧٥) مرة، ولفظ الرحيم (١١٤) مرة.

وفي الحديث المتفق عليه قوله ﷺ: «إن لله عز وجل مائة رحمة، أنزل منها في الأرض جزءاً واحداً يتراحم به الخلق جميعاً بينهم



ووصولاً إليها في الآخرة، ولأنه تعالى أخبرنا أن رحمته تسبق غضبه حتى لا يياس مخلوق فضلاً عن مؤمن من رحمته عز وجل ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾، ﴿إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

إن «بسم الله الرحمن الرحيم»: بُشِّرَى أَرَادَهَا اللهُ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَأَمَرَنَا بِتِلَاوَتِهَا قَبْلَ كُلِّ تِلَاوَةٍ، «إِنْ بِسْمِ اللَّهِ» فِي كُلِّ الشُّنُونِ بُشِّرَى تَتَاكَّدُ فِي نَفْسِ الْمُؤْمِنِ وَيَكُونُ مِنْ ضِمْنِ مَعَانِيهَا مَا تَشِيرُ إِلَيْهِ آيَةُ الرَّجَاءِ ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾، وَلَيْسَ أَسْعَدَ لِلنَّفْسِ مِنْ أَنْ تَدْعُو دَائِمًا بِالرَّحْمَةِ فِي كُلِّ عَمَلٍ وَكُلِّ حِينٍ؛ ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾، وَهَكَذَا مَا تَدْبِرُ الْمُؤْمِنُ شَيْئًا إِلَّا وَرَأَى أَثَارَ رَحْمَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَنْتَهِيَ الْحَدِيثُ عَنِ رَحْمَةِ اللَّهِ جَلَّ شَانَهُ بِالْإِنْسَانِ وَخَاصَّةً الْمُؤْمِنِينَ، وَقَدْ قَرَّرَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ وَمَنْ حَوْلَهُ الْحَقِيقَةُ الثَّابِتَةُ: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾، وَلِحِكْمَتِهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ لَا يَقُومُ أَيُّ شَيْءٍ فِي الْوُجُودِ إِلَّا بِرَحْمَتِهِ ﴿الرَّحْمَنُ. عَلَّمَ الْقُرْآنَ. خَلَقَ الْإِنْسَانَ. عَلَّمَهُ الْبَيَانَ. الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ. وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ [الرحمن: ١-٦].

وَخَصَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ. الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ ﷺ، وَالْمُؤْمِنُ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ لَا يَعِيشُ وَحِيدًا، بَلْ إِنَّ مَعَهُ مَجْتَمِعَهُ وَأَهْلَهُ وَالْأَحْيَاءَ مِنْ حَوْلِهِ، وَأَنْ مَا يَجِبُ أَنْ تَكُونَ عَلَيْهِ حَيَاتِهِ هُوَ مَعَامَلَةُ النَّاسِ وَالْمُؤْمِنِينَ بِالتَّعَاوُنِ وَتَبَادُلِ الْمَنَافِعِ، وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ الَّذِي رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنَ حَدِيثِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي

تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَنِعْمَتِهِ بِإِنزَالِ الْكُتُبِ وَإِرْسَالِ الرِّسْلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامِ، وَخَصَّنَا بِإِمَامِهِمْ مُحَمَّدٍ ﷺ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ أَجْمَعِينَ، فَهَلِ الْإِنْسَانُ عَاقِلٌ عِنْدَمَا تَغْمَرُهُ نِعْمَةُ اللَّهِ وَفَضْلُهُ؟ فَبَدَلًا مِنْ أَنْ يُخْلِصَ دِينَهُ وَشُكْرَهُ وَطَاعَتَهُ لِرَبِّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، تَرَاهُ يَتَّجِهُ إِلَى الْمَوْتِ وَمَنْ يَسْمُونَهُمُ بِالْأَوْلِيَاءِ يَدْعُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَهُمْ عِبَادٌ لَا يَمْلِكُونَ وَلَا يَجِيبُونَ: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ. أَمْوَاتٌ غَيْرٌ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ. إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [النحل: ٢٠-٢٢].

وَتَجِدُ أَنْ مُعْظَمَ الْآيَاتِ الَّتِي وَرَدَتْ فِيهَا لَفْظُ الرَّحِيمِ تَشِيرُ إِلَى الْآخِرَةِ. وَالْمَغْفِرَةُ إِنَّمَا تَتَجَلَّى عِنْدَ الْحَسَابِ فِي يَوْمِ الدِّينِ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، ﴿أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، وَوَرَدَ لَفْظُ الرَّحِيمِ بَعْدَ التَّوْبَةِ: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا...﴾ ﴿فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾، وَمَعَ لَفْظِ الْعِزَّةِ عِزَّةُ اللَّهِ الْعَظِيمِ: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾، وَاجْتَمَعَ مَعَ لَفْظِ الرَّحْمَنِ فِي آيَاتٍ مِنْهَا: ﴿تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، فَهَلِ أَنْ لِلْعِبَادِ أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَالْأَعْبَادُ إِلَّا إِيَّاهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ، لَهُ النِّعْمَةُ وَهُوَ الْفَضْلُ، وَهُوَ الثَّنَاءُ الْحَسَنُ، لَا نَحْصِي ثَنَاءً عَلَى اللَّهِ، هُوَ كَمَا أَثْنَى عَلَى نَفْسِهِ: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾. عَلَى أَنْ الْمُرَادَ لِمَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ أَنْ يَبْدَأَ بِ «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»: عَوْنًا وَبِرَكَّةً وَاسْتِفْتَاحًا بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ، وَتَمَّ شَيْءٌ آخَرَ هُوَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْزَلَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ هَدَايَةً إِلَى ابْتِغَاءِ هَذِهِ الرَّحْمَةِ فِي الْحَيَاةِ بِالاسْتِجَابَةِ وَالْعَمَلِ

توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعت له سائر الأعضاء بالحمى والسهر»، فإن خير ما يحرص عليه المؤمن في حياته هو اليقين والإيمان برحمة الله ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨]، ومن حديث الشيخين يقول ﷺ: «مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ»، ولما كانت رحمة ربنا عز وجل مترتبة على أن يرحم بعضنا بعضاً، إذن وَجِبَ علينا أن نتخلق بها ونعرف بمن تكون، الرحمة ضد الغلظة، وقد أثنى الله على النبي ﷺ مُبِيناً صِفَتَهُ ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَبِثَ لَهُمْ وَكُوْنُتُمْ فَرْغًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَتَّقُوا مِنَّ حَوْلِكَ﴾. الرحمة رافة ولين جانب وخفض جناح وعطف بإخوانك المؤمنين، وشدة وغلظة على أعدائك وأعداء دينك حفاظاً على عِزَّةِ الإيمان: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾، الرحمة تقتضي معاملة الناس بالحسنى، وهي خَلْقٌ فاضل. وَحَكْمٌ عادل. وعاطفة محمودة مِنْ اتَّصَفَ بها كَانَ محبوباً من الله، وَرَحِمَهُ الناسُ كما يرحمهم، وَمَنْ قَسَا على الناس قَسَوْا عليه وكان شقيماً مُبعداً من رحمة الله، فإن أَلَمَ به أمرٌ فرَّ الناسُ منه فيتنوق وحده أَلْمَهَا، وجاء الحديث: «لَا تُنَزِعْ الرحمة إلا من شقي». حديث حسن رواه أحمد وأبو داود وعنه ﷺ: «إنها رحمة يضعها الله في قلوب عباده، وَمَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ»، متفق عليه. «والراحمون يرحمهم الرحمن»، صحيح رواه أحمد وأبو داود والترمذي. الرحمة تحملك على مَدِّ يد المعونة وإغاثة المهوفين ومساعدة المنكوبين مُحَقَّقاً هدي النبي ﷺ: «مَنْ نَفَسَ على مُسَلِّمٍ كَرْبَةً مِنْ كَرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللهُ عَنْهُ كَرْبَةً مِنْ كَرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ». متفق عليه.

الرحمة تدعو إلى مساعدة الأرامل وكفالة

اليتيم، وكما تَحَسَّنُ الرحمة بعامَّة الناس، فهي بالوالدين والأقارب والزوجات والأبناء، والجيران والعمال والحيوان: أحق وأولى، ولا شيء يعدل أو يسبقُ برَّ الوالدين إلا عبادة الله عز وجل، وعَقُوقُهما من الكبائر، وصلة الأرحام عمل يحبه الله والصدقة عليهم بأجرين، وقد استجارت الرحم بالرحمن، فقال لها: «ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك»، متفق عليه. والزوجة الصالحة أختُ الرجل تقتضي العشرة بالمعروف ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾، ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾، أما الإبناء فلذات الأكباد، وحبَّاتُ القلوب فالرحمة بهم تربية دينية وتاديبٌ وعلم وعدل بينهم بالحبِّ والقوة الصالحة وروح الدين والصلاة ومؤاخاتهم وتقريبهم، وأوصى القرآن بالجيران، وما أجمل هدي النبي ﷺ: «ما زال جبريل عليه السلام يُوصيني بالجار حتى ظننتُ أنه سيورثه» متفق عليه.

وعن العمال - وهم إخواننا - وأمثالهم لهم حقُّ الوفاء وحفظ الحقوق، أما الحيوان فكلنا يعرف أن امرأة دخلت النار في هرة حبستها حتى ماتت، وغفَرَ اللهُ لرجلٍ سَقَى كلباً اشتدُّ عليه العطش، ويجب أن لا تكون الرحمة سبباً في تعطيل حدود الله عز وجل وضياع حقوق عباده، ولا كتمان الشهادة بالحق: ﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ أَثِمٌ قَلْبُهُ﴾، وما توفيقنا إلا بالله. فاللهم آتنا من لَدُنْكَ رحمة وهيء لنا من أمرنا رشداً. اللهم رحمتك نرجو، فلا تكلنا إلى أنفسنا يا أرحم الراحمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله أجمعين.